فاطمة الزهراء «سلام الله عليها»

وتزوجي محمد

تأليف

الأستاذ سليمان كتاني

فاطمة الزهراء . .

وترٌ في غمد

تأليف

الأُستاذ سليمان كتّاني

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net

nktba.net رابط بديل

تحقيق

الشيخ محمّد الساعدي

اسم الكتاب: فاطمة الزهراء .. وتر في غمد

المؤلف: الأُستاذ سليمان كتّاني

المحقّق: الشيخ محمّد الساعدي

الموضوع: تاريخ وسيرة

الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الأُولىٰ

المطبعة: ليلى

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٢٩ هـ

ISBN: 978-964-529-316-9

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

www.ahl-ul-bayt.org

E-mail: info@ahl-ul-bayt.org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعتبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية . وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين ، وتقدّم للأُمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية ، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها ، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية .

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوءة للإسلام ، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة ، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر .

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها ؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم ، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة .

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقدم لطلاّب الحقيقة

مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ، أو من الذين أنعم الله عليهم بالالتحاق بهذه المدرسة الشريفة، وكذلك حتّى من غير المسلمين ، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً ؛ لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحق ، لتنفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت عليهم السلام الرسالية للعالم أجمع ، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد .

ونتقدّم بالشكر الجزيل لسماحة الأُستاذ الشيخ محمّد الساعدي لتحقيقه هذا الكتاب ، ولكل الإخوة الذين ساهموا في إخراجه .

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً .

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المعاونية الثقافية

مقدّمة المحقّق

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لقد كثرت الدراسات التي تناولت حياة وشخصية السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام بأقلام من كلا الفريقين السنّة والشيعة، وتعدّى تأثير هذه الشخصية المباركة ليشمل حتى أقلام غير المسلمين من المسحيّين، أمثال الأُستاذ الألمعي سليمان كتاني، فكتب حولها هذا الكتاب القيّم بأسلوب جديد يختلف عن الإسلامي المتبع عادة في الكتابة حول الشخصيات الإسلامية مبعداً عن أُسلوب السرد التاريخي و«العنعنة» قدر الامكان، وقد أبدع في كتابه هذا أيما ابداع . .

وقد قدّم لكتابه هذا سماحة السيّد موسىٰ الصدر بما يتناسب وأهمية موضوعه ذاكراً شيئاً مختصراً عن حياة الزهراء عليها السلام فكفانا مؤونة البحث من هذا الجانب، وسنذكر الكلام في الأسطر التالية حول حياة ومؤلّفات الأُستاذ كتاني ومميزات هذا الكتاب ومنهجيتنا في التحقيق إن شاء الله تعالى .

* * *

بطاقة المؤلف الشخصية :

* ولد في ٢٩ / شباط / ١٩١٢م ، وذلك في بسكنتا بصنّين ـ لبنان .

* تناول دروسه في المرحلة الابتدائية في مدارس بسكنتا .

* درس بمدّة سنتين في معهد عينطورة قرب جونية .

* حاز شهادة الفلسفة من معهد الحكمة في بيروت سنة ١٩٢٢م، دارساً إيّاها ـ إلى الفلسفة ـ باللغتين : العربية، والفرنسية .

* انخرط في سلك التعليم بعنوان أُستاذ مادّتي اللغة والأدب العربي قرابة العشرين عاماً في عدّة مدارس لبنانية .

* تزوج عام ١٩٤١م من السيّدة إيلان قرباش من ذوق مكايل .

* توقّف عن التعليم ؛ ليتفرّغ للتأليف ، وأصدر الكتاب تلو الكتاب ، وذلك في أدب أنيق ، وفكر عميق ، ومعالجات وفيرة الصدق محفوفة بالرصافة ،، ممّا جعله يحرز العديد من الجوائز في لبنان والعراق وإيران .

* توفّي في ٢٩ / شباط / ٢٠٠٤م، عن عمر ناهز (٩٢) سنة .

* * *

استعراض مؤلّفات الأديب سليمان كتّاني :

١ ـ فاطمة الزهراء . . وتر في غمد .

وسيأتي الحديث عن هذا الكتاب مفصّلاً في الصفحات القادمة .

٢ ـ الإمام جعفر . . ضمير المعادلات.

تقديم د. ميشال كعدي ، ونشر دار الهادي ، بيروت، طبعة ثانية لسنة ١٤٢٨ هـ ، في (١٦٨) صفحة .

كُتب للدورة المختصّة بتأليف الكتب عن الإمام الصادق برعاية السيّد عبّاس علي الموسوي عميد مكتبة أهل البيت العامّة في مدينة النبي شيت .

من مواضيع الكتاب : الرسالة والإمامة في شبه دراسة ، الحرز ، الجوهرة ، الدخول المستريح ، أزاميل ، الوصول المستريح ، المواهب ، ضمير المعادلات[١] .

ومن كلام المصنّف في مقدّمة الكتاب : «إنّه الإمام جعفر الصادق ، ولا

(١) الإمام جعفر الصادق . . ضمير المعادلات: ٢٢، ٢٦، ٢٩، ٤٧، ٧٤، ١٠٩، ١٢٩، ١٣٧ .

يجوز اعتباره إلّا ركناً متيناً من أركان الإسلام في : الدين ، والفقه ، والعلم ، والفكر . . ونبراساً أساساً في كلّ روعة ، نأخذ منها مبادئ تركيزية لكلّ عمل نعتمده لبناء مجتمعنا العظيم»[١] .

ومن كلامه في أثنائه : «إنّه ـ أي : الإمام الصادق ـ فيلسوف ، وفقيه ، ومشرّع ، وطبيب ، وعالم تشريح ، وفيزيائي ، وكيميائي ، وصاحب معادلات ، ومؤرّخ ، وعالم اجتماع ، وجغرافي ، ومصحّح حدود ، وأديب ، ومؤلّف ، ومدوّن ، وصاحب آراء . . وهنالك غيوب جلاها وسياسات براها من دون أن يستر صدره بقمصانها . . تلك هي عناوين اختصاصاته ، فكيف احتواها ؟! أو أيّ شيء فيه هو الذي احتواها ؟! ولكن الفضاء الذي هو كنه الوجود في رهيب اتّساعه لن يكون له ما للعقل في مهابات ارتفاعه!»[٢] .

ومن كلام المقدّم للكتاب قوله : «أمّا مع الأديب سليمان كتّاني فقد جرىٰ فنّ الكتابة على مدد وفير ، فالأداء كان متغيّراً ، والصورة مشرقة تعيش في روائها . . وجد مسلكاً نهجاً إلى النور فسلكه ، وسعىٰ بكلّ ما أُوتي من قدرة أن يزيّن المعاني باللفظات الوضّاء ، فكان مصقول الجوهر ، مشدودة إلى الدعة والدقّة . . من ميزات فنّه أنّه مباشر يواجه الأشياء بتعاطف ويسر ، هدفه الأُمّة والإخلاص والثقات التي تغمر نفسه ، ناهيك عن سمو الإنسان فيه»[٣] .

٣ ـ الإمام علي . . نبراس ومتراس .

مصدّر بكلمة للشيخ مرتضىٰ آل ياسين ، ومن تقديم : الأُستاذ جعفر الخليلي ، ونشر دار الهادي في بيروت، طبعة ثانية لسنة ١٤٢٨ هـ ، ويقع

---

(١) المصدر السابق: ١٣ .

(٢) المصدر السابق: ١١٣.

(٣) الإمام جعفر الصادق . . ضمير المعادلات: ١١ ـ ١٢ .

الكتاب في (٢٤٠) صفحة .

أحرز هذا الكتاب الجائزة الأُولىٰ في مسابقة الكتابة حول الأمير عليه السلام التي أقامتها لجنة التحكيم في النجف الأشرف بواسطة السيّد جواد شبّر . وقد كتبه المصنّف عام ١٩٦٥م .

من مواضيع الكتاب وعناوينه : من واقع التاريخ ، شخصية الإنسان ، دور ابن أبي طالب ، العدّة الكاملة ، الواقع المؤلم ، حقّ البكارة ، خاصرتا أبي موسىٰ الأشعري ، الغروب المشرق[١] .

ومن كلام الكتّاني في فاتحة كتابه : «قلّة أُولئك الرجال الذين هم على نسيج علي بن أبي طالب ، تنهد بهم الحياة موزّعين علىٰ مفارق الأجيال كالمصابيح ، تمتصّ حشاشاتها لتفنيها هدياً على مسالك العابرين . . من بين هؤلاء القلّة يبرز وجه علي بن أبي طالب في هالة من رسالة وفي ظلّ من نبوّة ، فاضتا عليه انسجاماً واكتمالاً كما احتواهما لوناً وإطاراً[٢] .

ومن كلامه في ثنايا الكتاب : «هكذا انصهرت في هذه الشخصية ـ أي : شخصية الإمام علي ـ مجموعة المواهب ومجموعة الصفات ومجموعة المزايا قيمة بقيمة ووزناً بوزن ومقداراً بمقدار ، فإذا هي يتزاوج بعضها من بعض كما تتزاوج الألوان في لوحة رسّام ، وإذا المعطيات كالفيض تجري كأنّها في سباق وتتساند كأنّها أنداد . . فالعفّة والصدق ريشتان ناعمتان كان لهما من القوّة لديه ما كان لهما منها في زنديه الترس والفرند . . والزهد والجود جناحان رهيفان أفاء عليهما من ظلّه ، فإذا هما بعين المدىٰ يتباعدان

(١) الإمام علي . . نبراس ومتراس : ٦٣، ٧٥، ٩٠، ١٣٨، ١٦٢، ١٨٤، ١٩٣، ٢٢٩ .
(٢) المصدر السابق : ٤٩ .

ثمّ لديه يلتقيان ،فإذا الزهد بالدنيا جود بها ،وإذا الجود بالزهد اكتماله . . .»[١] .

ومن كلام الشيخ مرتضى آل ياسين في صدر الكتاب : «وحسبه ـ أي : كتاب كتّاني عن الإمام علي ـ ميزة أن يبرز بهذا الأُسلوب الرائق الذي أقلّ ما يقال فيه : إنّه أُسلوب بياني بديع له من مقوّمات اللفظ وخصائص المعنىٰ ما يجعله جديراً بكلّ إعجاب وتقدير ، ولعلّه في أُسلوبه البلاغي أوّل كتاب في موضوعه جاء منسجماً مع شخصية لها مثل نهج البلاغة . . فشكراً لمؤلّفه الأُستاذ الألمعي من كلّ ولي للإمام علي عليه السلام »[٢].

ومن كلام المقدّم للكتاب قوله : «لا أشكّ أنّه ـ أي : الكتّاني ـ مجبول من تلك الطينة التي يعنيها مزاج الإنسانية من الوجود كلّه ، هذا المزاج الذي يلذّه حديث المآثر وقصص المروءة وعزّة النفس والتفاني في الحقّ . . وإنّ مثل هذه الطينة المجبولة من هذا المزاج لا تستقرّ ، فهي في بحث دائم واستقصاء مستمرّ عن هذه الخصائص بين الزعماء والساسة والحكماء والأُدباء . . وسهل علينا أن نستشف هذه الروح وهذه الملكة الأدبية من هذه الصفحات المشرقة التي دبّجتها يراعة الكاتب في أُسلوب لا أعدو الحقيقة إذا قلت : إنّه نسيج وحده» [٣].

٣ ـ الإمام الباقر . . نجي الرسول .

من تقديم السيّد جعفر مرتضىٰ العاملي ، ونشر دار الهادي في بيروت، طبعة ثانية لسنة ١٤٢٨ هـ ، ويقع الكتا في (١٧٤) صفحة .

كتبه تلبية لنداء مكتبة أهل البيت العامّة في مدينة النبي شيت في كتابة

---

(١) الإمام علي . . نبراس ومتراس : ٨٠ .

(٢) المصدر السابق : ٧ .

(٣) المصدر السابق : ٤٥ ـ ٤٦ .

كتب وبحوث حول الإمام الباقر وسيرته .

من عناوين هذا الكتاب : إطلالة الشبيه ، الخطّ العريض ، سبّابة الباقر ، امتداد الخطّ ، سجّادات الإمامة ، نجي الرسول ، الرهان ، الجامعة[١] .

ومن كلام الكتّاني في بداية كتابه : «أيّها الإمام الباقر يا نجي الرسول ، أيّها البحّار المدعو إلى الغوص الكبير ، من أنت واقفاً على شاطئ ممدود ؟! تأخذ اليمّ بجفنين غارقين في نصف نعاس فوق عينين غائرتين في ضجيج من مدىً ! وخطّك العريض ـ يا حلقة في الخطّ العريض ـ هو من أتقى وأنقىٰ وأبقىٰ ما انشدّ في عرض الخطوط ، فهو تمثيل الصيانة والحصانة والمتانة في خطٍّ يرسّخه العرض كي يُشرفَ به طول الامتداد»[٢] .

ومن كلامه في طيّات الكتاب : «لقد تكحّلت عينا محمّد الباقر على مدىً عشرة أيّام متعاقبة في ساحات كربلاء بإثمد أحمر لم يفارقها مدىً العمر . . بعد أربع وثلاثين سنة من هذه اللحظة المصبوغة بنبل الدم أغمض عينيه ذلك الذي لقّبه جدّه الرسول بزين العابدين ، وانتقلت خلافة الرسول إلى فتى مفتوح الجبين أشهب الصفات أصهب ، نقل إليه جدّه الرسول شوقاً من أشواقه الميمّمة بالعلم الوسيع والعلم الرفيع والعلم المنيع»[٣] .

ومن كلام المقدّم للكتاب : «إنّ مؤلّفه ـ أي : مؤلّف كتاب الإمام الباقر وهو كتّاني ـ أديب بارع محلّق ، استطاع بجرأته وباتّزانه أن يقتحم الساحة بوعي وثبات وشموخ وشمم ؛ ليمارس حرّيته في الفكر وفي القول فوق قناعاته الراسخة ، رغم كلّ ما يعترض طريقه من أشواك تلامس قدميه ،

---

(١) الإمام الباقر . . نجي الرسول : ٢٩ ، ٤٣ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٨ .

(٢) المصدر السابق : ١٥ ـ ١٦ .

(٣) المصدر السابق : ٣٣ .

لتؤذي روحه وترهق مشاعره . . إنّه الرجل الذي اعتصر الفكرة في الكلمة لتتقاطر منها ، فتكوّن العذب الزلال الصافي الذي يأرج طيباً ويتفاوح عطراً ويتماوح نقاءً ، دون أن يفقد أُسلوبه قوّته ورصانته وأصالته وصفاءه كذلك»[١] .

٤ ـ الإمام الكاظم . . ضوء مقهور الشعاع .

من تقديم د . غالب غانم ، ونشر دار الهادي في بيروت، طبعة ثانيه لسنة ١٤٢٨ هـ ، ويقع في (٢٣٨) صفحة .

كتبه استجابة لطلب مؤسّسة الإمام الحسين في بيروت بكتابة بحث حول سيرة الإمام الكاظم عليه السلام .

من عناوين هذا الكتاب : الموجز ، مناجاة الكاظم ، في مقابر قريش ، نداءات الإمام ، موسوعة الإمام ، حوار فوق جسر الرصافة ، خواطر ، وأنت أيّها الإمام[٢] .

ومن كلام المصنّف في التمهيد لكتابه : «لماذا أيّها الإمام ، وأنت في تمام الصدق وتمام العزم وتمام التعبير عن توقٍ أصيلٍ يدفع الأُمّة من هيضة سفلىٰ إلى رتبة فضلىٰ يبهر بها عنق المثال ، أجل أيّها الإمام ، وأنت متين القصد وعزيز المثال . . لماذا لم تستجب في تحقيق نجاواك ، وكان لك بدلاً عن ضعف المنال ضعفُ الانخزال ؟! يا للجزاء! تلوّنه السجود بغياهبها ، وتندّيه الأفاعي بهذاك الزعاف!»[٣] .

ومن كلامه في أثناء الكتاب : «لقد تحمّل الإمام موسىٰ كلّ هذا الغيظ الجسيم والمتفرّع اللقطات ، وهو الصابر والمعلّم الأُمّة كلّها صبراً شبيهاً بصبره

---

(١) الإمام الباقر . . نجي الرسول : ١٢ .

(٢) الإمام الكاظم . . ضوء مقهور الشعاع : ٩١، ١١٥، ١٥٩ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ١٩٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ .

(٣) الإمام الكاظم . . ضوء مقهور الشعاع : ٢١ ـ ٢٢ .

حتّىٰ لا ينالها التشفّي ولا الاضطهاد . . تحمّله بصبر عجيب وبإيمان بالله المنيل الصابرين حسن الجزاء . . تحمّله بأناة كريمة الصفاء ، من دون أن يتذمّر منه ، ومن دون أن يخسر من عزّة نفسه ولا مقدار حبّة سمسم . . تحمّله بكلّ إباء ، ولم يلتمس تخفيفه عنه ولا مقدار شعرة . . تحمّله بكبرياء النفس قصداً منه أن يجعل الضيم المتعدّي على الحقّ شهادةً على الجائر بجبروته المتوحّش ووساماً يتّسم به المتحمّل وطأة الهمجية . . وتحمّله أخيراً كأنّه قرص الغداء ، يعلّم الأُمّة التحمّل إلى أن يأتيها يوم الظفر»[١] .

ومن كلام المقدّم للكتاب : «أُنوّه بطائفة من الميزات رافقت مراميه ـ أي : الكتّاني ـ مثل هذا اللون من ألوان التأليف الطوّافة في التاريخ الإسلامي وفي سير أهل البيت ومسارهم . . ومن ذلك أنّه لم يكتفِ باستنطاق الأحداث لإعادة صوغها صوغاً حيادياً أو باهتاً ، بل سكب في أعراقها من تطلّعاته الفكرية ، وحمّلها قسطاً من همومه الاجتماعية والإنسانية . . . ومن ذلك أنّه واجد لديه عناقاً مثالياً بين مقتضىٰ العقل ومقتضىٰ الوجدان من سطور البداية حتّى سطور النهاية في الكتاب . . . ومن ذلك أخيراً أنّ في عالم الأساليب الأدبية نسيجاً خاصّاً مزهراً بالبيان معمّقاً بالتأمّل نبّاضاً بالحركة والحياة»[٢] .

٥ ـ الإمام زين العابدين . . عنقود مرصّع .

تقديم السيّد محمّد حسين فضل الله ، ونشر دار الهادي في بيروت، طبعة ثانية لسنة ١٤٢٨ هـ وعدد صفحات الكتاب (٢٧٦) صفحه .

أحرز هذا الكتاب الجائزة الثانية في مسابقة التأليف عن

---

(١) المصدر المتقدّم : ١٩١ ـ ١٩٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٥ ـ ١٦ .

الإمام السجاد عليه السلام .

من مواضيع الكتاب : غزالة ، علي الصغير ، رجوع القافلة ، الحزن يلوّن الصور ، ظلّ النقوش ، رمق الشهادة ، من يثرب إلى يثرب ، البعد البياني[١] .

ومن كلام المصنّف في بداية كتابه : «يا أيّها الإمام الغارق في معجن اللطف ، ويا أيّها السيّد الأنيق الساجد فوق القبب ، أراني الآن أنقر وتري إليك ، وهو وترينغم فيك بعد أن نقعته بطيب حوّشته منك ، وأنا أتلقّف حروف كلّ صحيفة من صحائفك المبلولة بذلك ! يا لذلك الكبير يسحقك بين يدي ربّك ! ويا لربّك الأنصح والأكبر ينشر ذلّ الطيّبين عزّاً فوق صهوات القناطر !»[٢] .

ومن كلامه في طيّات الكتاب : «لقد ذاب علي بن الحسين في الصفة التي نعتته ، ومنذ اللحظة تلك ابتلع أفعل التفضيل اسم مولاه ، وأصبحت صيغة الاسم الجديد ـ أي : زين العابدين ـ قائمة بذاتها . أمّا علي بن الحسين فلنفتّش عنه في كربلاء ، وعند عبيد الله بن زياد ، أو عند يزيد بن معاوية ، أو ـ إذا عزّ بنا التفتيش ـ خلف عتبات صامتة حيث يسجد كلّ يوم ألف سجدة ، من دون أن نبقي له إضبارة من وقت ينصرف لمعالجة شؤون الناس ، وهو القيّم على إمامة لا تستقيم ضلوعها إلّا اهتماماً بشؤون الناس»[٣] .

ومن كلام المقدّم للكتاب : «إنّني أُقدّر للصديق الأديب سليمان كتّاني أدبه وفنّه وشاعريته في خياله وأُسلوبه ، كما أُقدّر له هذه التجربة التي إذا لم تستطع أن تمنحنا الصورة الميدانية الواقعية للإمام السجّاد فقد منحتنا بعض

---

(١) الإمام زين العابدين . . عنقود مرصّع : ٤٧ ، ٧١ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٥٩ ، ١٦٩ ، ١٩٥ ، ٢٦٥ .

(٢) المصدر المتقدّم : ١٩ .

(٣) المصدر السابق : ٢٢٩ .

الملامح الرائعة للأجواء التي عاشتها هذه الشخصية المميّزة . إنّها أُسلوب جديد في كتابة السيرة الذي قد تجد فيه ما لا تجده في الكتب المنهجية لكتابة السيرة»[١] .

٦ ـ محمّد . . شاطئ وسحاب .

تقديم السيّد موسى الصدر ونشر دار الهادي في بيروت ، طبعة ثانية لسنة ١٤٢٨ هـ ، ويقع في (٢٢٤) صفحة .

من مواضيع الكتاب : خطّ الرجولة ، سدانة الأصنام ، حينونة ، عودة اليتيم ، آماق السحاب ، شاطىء وسحاب ، سيف الحقّ ، ساحة المجد[٢] .

ومن كلام المؤلّف في فاتحة كتابه : «يا ابن عبد الله ، يا أطهر زيت في في سراج ، يا ألمع ضوء في زجاجة هادت مضاويك ، يا ارتسام الصفاء على الصفحة البيضاء ، يا تلاميح البهاء في الليلة الدكناء ، يا رسول الله ، جلّ الله سناؤك»[٣] .

ومن كلامه في أثناء الكتاب : «لقد اشتغلت في إنسان محمّد قيمة الإنسان ، لقد وجدت فيه الجهاز الأصيل للبروز بروعة الإنسان ، مرّة أُولى ـ ولكنّها عظيمة ـ أثبت الإنسان (إنسان الجزيرة) صدق مواهبه في مضمار الوجود الإنساني . فلقد كان محمّد في عظيم إطلالته ذلك البرهان ، تقتنصه الجزيرة من عميق ما لديها من شعور وتوق»[٤] .

ومن كلام المقدّم قوله : «عزيزي الأديب الكبير الأُستاذ سليمان كتّاني

---

(١) الإمام زين العابدين . . عنقود مرصّع : ١٧ ـ ١٨ .

(٢) محمّد . . شاطئ وسحاب : ٢٢ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ١٥٠ ، ١٨٧ ، ١٩٧ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٩ .

(٤) المصدر المتقدّم : ١١٠ .

المحترم : عرفتك بين قاصدي القمم الشاهقة سبّاقاً وإلى صيد النسور توّاقاً . . عشت حياة العباقرة الإلهيّين في عروج طويل ، ثمّ مددت خيوط مدادك المغموس بالطيب ، من هناك ، مددتها إلى بني قومك تجتذبهم إلى سماء البطولات إلى آفاق النور حيث لا تفاهات ولا صغائر »[١].

٧ ـ الإمام الحسن . . الكوثر المهدور .

من نشر دار الهادي في بيروت، طبعة ثانية لسنة ١٤٢٨ هـ ، ويقع الكتاب في (١٩١) صفحة .

أحرز هذا الكتاب الجائزة الأُولى في مسابقة التأليف عن الإمام الحسن عليه السلام .

من مواضيع الكتاب : حروف مبعثرة ، القيمومة ، الجلوة ، غمزة ، المواجهة ، أي كرسي هو الحكم ؟! ، القرار ، حروف أخيرة[٢] .

ومن كلام المؤلّف في مقدّمة الكتاب : «تلك هي العصمة أتيها الإمام ، جمع إليك حدودها جدّك البعيد المدىٰ ، فإذا هي لك في كنىً توافرت فيها الصفات ، كأنّها قنوات تستقي منها . . فأنت أبو محمّد ، وأنت الزكي ، وأنت السبط ، وأنت الريحانة في الجنّة ، وأنت الإمام قمت أم قعدت ، وأنت السيّد ، وأنت المجتبىٰ» [٣].

ومن كلامه في طيّات الكتاب : «أساساً ، أنت مدعو للحكم ، أنت إمام في ضمير جدّك قبل أن تولد ، وبعد أن ولدت أصبحت قراراً في حزمة من الشوق المبارك . . هنيئاً لأُمّك بك ، فأنت نسيج من خاصرتها الموصولة بخاصرة

---

(١) محمّد . . شاطئ وسحاب : ٥ .

(٢) الإمام الحسن . . الكوثر المهدور : ١٧س، ٣٦، ٤٣، ٨٢، ١١٩، ١٤٢، ١٥٩، ١٧٧ .

(٣) المصدر السابق : ١٢ .

الحقّ . . وهنيئاً لأبيك بخيوط الارتباط ، تشدّه إلى جدّك بوجد لا ينسلّ له خيط . . ولقد علمت أنت بذلك ، أخبرتك أُمّك وأخبرك أبوك أنّك أنت من البيت الذي هو بحدّ ذاته قضية . . ولقد فهمت ملياً أنّك أنت القضية ، بالحسّ الضمني فهمت ، ومن عطف العين والحضن واليدين فهمت ، ومن التصرّف الكبير الوسيع الحدّ والبليغ الإشارة فهمت ، وبالتعيين والتخصيص فهمت » [١].

٨ ـ الإمام الحسين . . في حلّة البرفير .

من نشر دار الهادي في بيروت، طبعة ثانية لسنة ١٤٢٨ هـ ، ويقع في (١٩٢) صفحة .

أحرز ذها الكتاب الجائزة الأُولى في مسابقة التأليف عن الإمام الحسين عليه السلام المقامة من قبل مركز الدراسات والبحوث العلمية في بيروت .

من مواضيع الكتاب : الأحضان ، الأساس ، إنّه هنا الحسين ، المعاناة ، المبايعة ، الشرارة ، روعة التصميم ، كربلاء[٢] .

ومن كلام المؤلّف في توطئته للبحث : «لم تكن مسيرة الحسين غير ثورة في الروح ، لم ترض بسيادة العي والجهل والغباء . بالأمس كان أخوه الحسن قدوة بيضاء ، وها هو اليوم الحسين يقوم بقدوة حمراء ، وكلا القدوتين مشتقّ من مصدر واحد هو المصدر الأكبر ، من أجل بناء المجتمع بناء تتحزّز في تطويره وتتنوّع كلّ السبل»[٣] .

ومن كلامه في طيّات الكتاب : «ما أروع الحسين يجمع عمره كلّه ويربطه

---

(١) المصدر السابق : ١٤٤ .

(٢) الإمام الحسين . . في حلّة البرفير : ١٩ ، ٣١ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٦٣ .

(٣) المصدر المتقدّم : ١٦ .

بغيض من معاناته ، ويجمعه إلى ذاته جمعاً معمّقاً بالحسّ والفهم والإدراك ، فإذا هو كلّه تعبير عن ملحمة قائمة بذاتها ، صمّم لها التصميم المنبثق من واقع إنساني عاشه وعاناه وغرق فيه ! إنّ الملحمة التي قدّمها على خشبة المسرح في كربلاء هي الصنيع الملحمي الكبير ، ما أظنّ هوميروس تمكّن من تجميع مثله في إلياذته الشهيرة»[١] .

٩ ـ الإمام الخميني شرارة (باسم الله . . واحترق الهشيم) .

من نشر دار الحقّ في بيروت ، طبعة أُولى سنة ١٤١٨ هـ ، ويقع الكتاب في (٢٤٨) صفحة .

من مواضيع الكتاب : الشرارة ، المدارج الصاعدة ، التقييم ، العزم المشحون ، حزار الشاه ، خمير الثورات ، واحتراق الهشيم ، النعاس الخالد[٢] .

ومن كلام المؤلّف في مقدّمة الكتاب : «إنّه الإمام الخميني ، أصبحت الآن أراه بوضوح ، يملأ إيران كلّها ، وهو يرسمها بذات النهج المخطّط للقيادة الإمامية صدقاً وحدباً ونظافةً وسياسةً لا تقبل التمويه ولا الالتواء عن كلّ ما يرفع الأُمّة إلى سبيلها الإنساني السوي»[٣] .

ومن كلامه في طيّات كتابه : «إنّ إمامنا الخميني ما صاغ قراره إلّا بلسان الأُمّة ، وهو مختلٍ في قدسية سرّه ، يناجي الأُمّة ويسترسل بها من محطّة تخمل فيها اليقظات إلى محطّة أُخرى تنشط بها الحركات . . فالغد في مرمى نظراته وخفقات فؤاده هو الفسحة الثانية الطالعة عليها شمس تشعّ بكلّ أحلام

---

(١) المصدر المتقدّم : ١٦٤ .

(٢) الإمام الخميني شرارة (بسم الله . . واحترق الهشيم) : ٣٩ ، ٥٧ ، ٨٥ ، ١٠١ ، ١٢٣ ، ١٨١ ، ٢٠١ ، ٢٣٩ .

(٣) المصدر السابق : ١١ .

النور» [١].

هذه هي الكتب العشرة التي تحت متناول يدي ، تـنبئك عـن المـؤلّف وقلمه . . ما يكتنف المؤلّف من : سـلامة الذوق ، ورهـافة الحسّ ، ورحـابة الفكر . . وما يكتنف القلم من : جودة التعبير ، ودقّة الإفصاحات ، وخـلابة الألفاظ .

ومن جملة المصادر التي اعتمد عليها كتّاني فـي كـتاباته سـالفة الذكـر : تاريخ الأُمم والملوك للطبري ، تاريخ التمدّن الإسلامي لجرجي زيدان ، تاريخ العرب لفيليب حتّي ، مروج الذهب للمسعودي ، مختصر تاريخ العرب للسيّد أمير علي ، تاريخ ابن خلدون ، أعيان الشيعة للسيّد مـحسن الأمـين ، سـيرة الأئمّة الاثني عشر للسيّد الحسني ، دولة التشيّع لنجيب زبيب ، مجموعة سير العرب لمغنية ، نهج البلاغة ، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي للشيخ محمّد مهدي شمس الدين ، الإمام الحسين للشـيخ بـاقر شـريف القـرشي ، الإمـام الحسين بن علي للشيخ القرشي ، عصر الإمام الصادق للشيخ القرشي ، الإمام زين العابدين للشيخ القـرشي ، الإمـام مـحمّد البـاقر للشـيخ القـرشي ، زيـن العابدين للسيّد عبد الرزّاق المقرّم ، فـي رحـاب الصـحيفة السـجّادية للسـيّد عباس علي الموسوي ، الإمام الصادق لأسد حيدر ، الإمام الصـادق لمـحمود جواد فضل الله ، الإمام الصادق كما عرفه علماء الغـرب للـدكتور نـور الديـن علي .

أمّا باقي مؤلّفات الأديب سليمان كتّاني ـ والتي ليست بأيدينا ـ فكالتالي :

١ ـ يسوع . . أبد الإنسان .

---

(١) المصدر السابق : ٩٦ .

٢ ـ جبران خليل جبران في مداره الواسع .

٣ ـ مي زيادة . . في بحر من ظمأ .

٤ ـ ميخائيل نعيمة . . بيدر مفطوم .

٥ ـ لبنان على نزيف خواطره .

٦ ـ نفرتيتي .

٧ ـ الجذور .

٨ ـ الوشم .

٩ ـ أمل ويأس .

١٠ ـ جوزة الدبّ .

١١ ـ غزالة قاع الريم .

١٢ ـ طابخ السمّ آكله .

وبذلك يبلغ مجموع مؤلّفات الأديب سليمان كتّاني (٢٢) مؤلّفاً .

* * *

حول هذا الكتاب :

حسب الظاهر يعدّ كتاب «فاطمة الزهراء . . وتر في غمد» ثالث كتاب ألّفه الأديب سليمان كتّاني في سلسلته حول أهل البيت عليهم السلام ، حيث سبقه إلى الظهور كتابا : «محمّد . . شاطئ وسحاب» ، و«الإمام علي . . نبراس ومتراس» . .

وقد ألّفه استجابةً لطلب مكتبة العلمين الطوسي وبحر العلوم العامّة في النجف الأشرف في كتابة بحوث حول سيرة السيّدة الزهراء عليها السلام ، وذلك سنة ١٣٨٧ هـ ، حيث عقدت هذه المكتبة هيئة تحكيم برئاسة السيّد حسين محمّد تقي بحر العلوم ، لاختيار أفضل بحث مقدّم إليها حول السيّدة فاطمة عليها السلام ،

بالإضافة إلى اختيار بحثين آخرين يحتلان المرتبتين الثانية والثالثة في المسابقة ، ورصدت لهذه المراتب ثلاث جوائز تبرّع بها الوجيه السيّد حسين الصرّاف ، فنال كتاب كتّاني هذا الجائزة الأُولى ، أمّا الثانية والثالثة فقد حازهما بالترتيب : كتاب : «الزهراء فاطمة بنت محمّد» للمرحوم عبد الزهراء عثمان محمّد ، وكتاب : «فاطمة الحوراء الإنسية» للباحث جاسم هاشم العبادي . أمّا بقيّة البحوث التي قدّمت إلى لجنة التحكيم فكانت كالتالي : «أُمّ الشهداء . . فاطمة بنت محمّد» لمهدي الحسيني ، «رائدة فخر النساء» لحيدر علي السعدي ، «الزهراء سيّدة الكساء ونساء اليوم» لكريم أحمد الصائغ ، «الزهراء في محراب الألم» لعبد الكريم توفيق الطائي ، «الصدّيقة فاطمة الزهراء» لمحمّد رضا الحسّاني ، «الصدّيقة فاطمة الزهراء . . بنت الرسالة المحمّدية» لعبد المجيد سماوي الجلّوب ، «فاطمة بضعة المصطفىٰ» لحيدر الشديدي ، «فاطمة الزهراء . . أُمّ أبيها» لفاضل الحسيني الميلاني ، «فاطمة الزهراء . . شهاب النبوّة الثاقب» لحسن عيسى الحكيم ، «فاطمة الزهراء . . نداء الملايين» لمحمّد تقي الخراساني ، «فخر النساء» لخليل الرشيد .

وقد طبع كتاب كتّاني هذا عدّة طبعات ، أوّلها طبعة النجف الأشرف في (١٧٦) صفحة ، وتكرّرت طبعاته في بيروت ، منها : طبعة مؤسّسة الوفاء سنة ١٤٠٤ هـ في (١٩٢) صفحة ، وطبعة دار الكتاب اللبناني .

وقد ترجمه إلى اللغة الفارسية السيّد جعفر الطباطبائي بعنوان «فاطمة الزهراء . . زهي در نيام» في (٢٩٣) صفحة من القطع المتوسّط ، وطبعت هذه الترجمة بنشر منشورات طوس بمشهد المقدّسة سنة ١٣٤٩ هـ . ش ، وكذلك سنة ١٣٥٤ هـ . ش .

ومن الجدير بالذكر أنّ مقصود كتّاني من تعبيره في عنوان الكتاب «وتر في غمد» هو الكناية عن قيام الزهراء بوجه الظلم الذي حاق بأمير المؤمنين عليه السلام، بمعنىٰ: الغضب أو الشجاعة التي قامت بتحريك سيف المبارزة والتي أصبحت باعثاً ووقوداً للثورة ضدّ الحكومة آنذاك وما تلا ذلك من أحداث سبرها التاريخ.

ويصف كتّاني كتابه عن فاطمة الزهراء عليها السلام بقوله: «وعن فاطمة الزهراء كتبت مبهوراً بوهج الجمال والعفاف والحبّ المطهّر»[١].

ويصف كذلك تعبيره في الكتاب بقوله: «جاء ـ أي: التعبير ـ مع ابنة الرسول وأُمّ الحسنين كأنّه زهر ملفوح بنار»[٢].

ويقول كذلك: «... الزهراء الواقفة فوق لوحات الميدان، كأنّها قضيب من رمح، أو كأنّها وتر في غمد، ولكنّها أبداً ملفوفة بكلّ قمصان أبيها»[٣].

ويقول مخاطباً لقلمه: «... ثمّ تتالىٰ إليك النداء مربوطاً بمنديل كانت تعتصب به فاطمة الزهراء، فعصرت منه زيتاً لسراجك، تكحّلت به شعاعاً، مشيت به معها من فدك إلى باحة المسجد»[٤].

ويقول واصفاً الزهراء عليها السلام: «تلك التي نبتت بين ذراعي أبيها، كأنّها أعزّ من شجرة الدرّ، يكفيها أنّها مشت أقصر طريق من بيتها الذي قُلعت من باحته شجرة الأراك إلى باحة المسجد الذي كان يصلّي فيه خليفة المسلمين؛ لتعلمه أنّ العدالة الممهورة بجنان أبيها محمّد والمسبوكة من معدن زوجها

(١) الإمام الخميني شرارة (بسم الله.. واحترق الهشيم): ٩.
(٢) الإمام الحسين.. في حلّة البرفير: ٨.
(٣) الإمام زين العابدين.. عنقود مرصّع: ١٩.
(٤) الإمام الحسين.. في حلّة البرفير: ١١.

علي هي التي ترزم الأُمّة وتجعلها قدوة بين الأُمم . إنّ الطريق القصير الذي مشته فاطمة الزهراء لايزال حتّى الآن يمتدّ عبر الأجيال ، تخفق فيه ثورة نادرة المثال ، تعلّم البنّائين كيف يعالجون أساس الصرح الذي يليق لسكنىٰ الإنسان»[١] .

هذا ، ويمكن درج ما يمتاز به كتاب «فاطمة الزهراء . . وتر في غمد» في الأُمور التالية :

الأوّل : كتابة سيرة الزهراء عليها السلام بطريقة جديدة من طرق التأليف ، تمتاز بأُسلوبها الأدبي البارز ، من أجل أناقة تصوير الفكرة وجعلها في منزلة المحسوس .

الثاني : اعتبار الخيال فيه بعض الشيء ، من أجل تنزيل الواقع في إطار الحدث .

الثالث : إعطاء الملامح الرائعة للأجواء التي عاشتها فاطمة الزهراء عليها السلام .

الرابع : متانة النسيج الأدبي الخاصّ الذي يمتاز به الكتاب ، معمّقاً بالتأمّل ، مزهراً بالبيان ، نبّاضاً بالحياة والحركة .

الخامس : سكب تطلّعات المؤلّف الفكرية في أعراق الأحداث ، وتحميلها قسطاً من همومه الإنسانية والاجتماعية .

السادس : الموافقة المثالية بين مقتضىٰ العقل ومقتضىٰ الوجدان .

السابع : الإنصاف الذي يلقّ فلسفة بعض الأحداث .

الثامن : التحليل الرائع لبعض الأفكار المستفادة من حوادث التاريخ .

* * *

(١) المصدر المتقدّم : ١٣ .

منهجية تحقيق الكتاب:

١ ـ الاعتماد في تحقيق الكتاب على النسخة المطبوعة بدار الكتاب اللبناني في بيروت .

٢ ـ تقويم نصّ الكتاب ، والإخراج الفنيّ له ، وتصحيح الأخطاء والمقابلة .

٣ ـ تخريج الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، والنصوص والأحداث التأريخية ، وغيرها ، ممّا ورد في الكتاب .

٤ ـ التعليق على بعض الموارد التي نرىٰ أنّ الأُستاذ سليمان كتّاني لم يقم بالتفحّص التامّ وأطلق القول فيها .

٥ ـ شرح الألفاظ اللغوية الغريبة بالاعتماد على المعاجم اللغوية المختلفة .

٦ ـ ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في طيّات الكتاب بالاعتماد على المعاجم الرجالية المطلوبة .

٧ ـ التقديم بدراسة مختصرة حول الكتاب ومؤلّفه .

٨ ـ وضع الفهارس الفنّية العامّة للكتاب ، كفهارس : الآيات ، والروايات ، والأعلام ، والمصادر ، وغيرها .

* * *

كلمة شكر وتقدير :

ولا يسعني في مقامي هذا إلّا أن أتقدّم بآيات الشكر والتقدير للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام على إتاحته الفرصة لتحقيق هذا الكتاب القيّم ، ولسماحة الشيخ محمّد هادي اليوسفي الغروي على إرشاداته المفيدة ، وللأُخت العزيزة (أُمّ عمّار) على مقابلتها الكتاب .

وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين .

محمّد جاسم الساعدي

١١ / محرّم / ١٤٢٩ هـ

تقديم

بقلم السيّد موسى الصدر

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

فاطمة الزهراء

«إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة ، ويرضىٰ لرضاها»[1] ، «فاطمة بضعة منّي ، من آذاها فقد آذاني ، ومن أحبّها فقد أحبّني»[2] ، «فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ»[3] ، «فاطمة سيّدة نساء العالمين»[4] .

هذه الشهادات وأمثالها[5] تواترت في كتب الحديث والسيرة من رسول الله محمّد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، ولا يتأثّر بنسب أو سبب ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

مواقف من نبي الإسلام الذي ذاب في دعوته ، وكان للناس فيه أُسوة ، فأصبح خفقان قلبه ، ونظرات عينيه ، ولمسات يده ، وخطوات سعيه ، وإشعاعات فكره ، [و] قوله ، وفعله ، وتقريره ، وجوده كلّه ، أصبح تعاليم الدين ، وأحكام الله ، ومصابيح الهداية ، وسبل النجاة .

---

(١) قارن : عيون أخبار الرضا ٢ : ٤٦ ، دلائل الإمامة : ٥٢ ، روضة الواعظين : ١٤٩ ، كشف الغمّة ٢ : ٩٣ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٠٣ ، جامع الأحاديث ٢ : ٤٩٣ ، الصواعق المحرقة : ١٧٥ ، كنز العمّال ١٣ : ٦٧٤ .

(٢) لاحظ : المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٥٢٦ ، المعجم الكبير للطبراني ٢٢ : ٣٣٧ ، كفاية الأثر : ٣٧ و ٦٤ و ٦٥ ، الأمالي للصدوق : ٣٩٤ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي ١٠ : ٢٠١ ـ ٢٠٢ ، الطرائف : ٢٦٢ ، عوالي اللئالي ٤ : ٩٣ .

(٣) انظر : كفاية الأثر : ٣٧ ، الأمالي للصدوق : ٣٩٤ ، بشارة المصطفىٰ : ٣٠٦ ، كشف الغمّة ٢ : ٧٨ ، نور الأبصار : ٩٥ .

(٤) ستأتي الإشارة إلى مصادر هذا الحديث في طيّات الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٥) كقوله ﷺ : «فاطمة أعزّ الناس عليّ» . راجع : الأمالي للطوسي ١ : ٢٤ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٢٣ .

أوسمة من خاتم الرسل على صدر فاطمة الزهراء تزداد تألقاً كلّما مرّ الزمن ، وكلّما تطوّرت المجتمعات ، وكلّما لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه لها : «يا فاطمة ، اعملي لنفسك ، فإنّي لا أُغني عنك من الله شيئاً»[١] .

فاطمة الزهراء ، هذه مثال المرأة التي يريدها الله ، وقطعة من الإسلام المجسّد في محمّد ، وقدوة في حياتها للمرأة المسلمة وللإنسان المؤمن في كلّ زمان ومكان .

إنّ معرفة فاطمة فصل من كتاب الرسالة الإلهية ، وإنّ دراسة حياتها محاولة لفقه الإسلام وذخيرة قيّمة للإنسان المعاصر .

* * *

مع المؤلّف

بهذا الإحساس كنت أستمع إلى الأُستاذ الجليل والأديب العبقري (سليمان كتّاني) في صومعته في بلدة (بسكنتا)[٢] وعلى سفح جبل (صنّين)[٣] ، وهو يتلو كتابه العزيز «فاطمة الزهراء . . وتر في غِمْد» . .

---

(١) لاحظ : الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٢ : ٢٥٦ ، مسند إسحاق بن راهويه ١ : ٢٦١ ، سنن الدارمي ٢ : ٣٠٥ ، صحيح البخاري ٣ : ١٠١٢ ، صحيح مسلم ١ : ١٩٢ ، سنن النسائي ٦ : ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ ، شرح معاني الآثار ٣ : ٢٨٥ ، ٢٨٦ و ٤ : ٣٨٧ ، رياض الصالحين للنووي : ١٦ ، نظم درر السمطين : ٢٩٥ ، الدرّ المنثور ٥ : ٩٦ ، كنز العمّال ١٦ : ٩ و ١٠ و ١٧ ـ ١٨ و ١٩ و ٢٠ ، بحار الأنوار ١٩ : ٦٦ ، مسند الشاميين ٤ : ١٦٩ ، مع بعض الاختلافات .

(٢) سيأتي الكلام عن هذه البلدة عمّا قريب .

(٣) صنّين : جبل تقع فيه قصبة بسكنتا في لبنان ، يبلغ ارتفاعه ٨٧٨٠ قدماً ، وقد ولد في سفحه بعض الأعلام ، كيواصاف الدبسي رئيس أساقفة صور عام ١٧٦٩م ، والأُستاذ الصحافي عبدالله غانم الذي أصدر جريدة باسم هذا الجبل . (معجم المؤلّفين ١٣ : ٢٥٧ و ٤٠٠) .

كنت استمع إليه وأرى أمامي لوحات رائعة تكشف بوضوح جمال ذوقه وروعة فنّه .

سِرتُ معه ساعاتٍ في دنيا فاطمة الرحبة المشرقة ، فأشعر بسموّ الرفعة ، وأُنعم البصر والبصيرة ، وأعتزّ بعقلي وقلبي أمام هذا التراث المجيد الموجّه .

متعة العمر كانت هذه الساعات أمام الجمال الإلهي في جلوة فاطمة المنعكسة على فكر وقلب هذا الرجل المرآة الوديع .

وعدت إلى مقدّمة الكتاب ، فسمعته يتابع ويقرأ : «لهذا فسوف أكتب في فاطمة الزهراء متنكّراً قدر الإمكان لحرف الجرّ هذا ـ يعني : حرف «عن» الأداة المستعملة في كتب السيرة ـ وسأكون متنكّراً للسرد أيضاً ، فالريشة التي في أنملي ليس عليها أن تكون مختبراً يحلّل نسبة الحديد والكبريت في ساق زهرة ، أكثر ممّا لها أن ترسم اللون فيها وتهتزّ من فوح العبير» .

قلت له : وهل خصّصت لعرضك الفاطمي البديع هذا بالذين عرفوا فاطمة واطّلعوا على حياتها عن طريق كتب السيرة والسرد ، ومنعت الذين يريدون أن يطّلعوا على سيرتها ؟ ! هلّا رسمت الطريق للوصول إلى عين الشمس ونبع الحياة ؛ لكي يتمكّن مجتمعنا الذي يقرأ الكتاب من تربية المرأة الفاطمية والرجل الفاطمي ؟ !

قلت له : إنّ هذه اللوحات الرائعة سوف تعجب وتجتذب أرواح الناس الحائرة التي ضاقت بالأبحاث والآراء والتجارب عن المرأة ، حتّى أصبحت المرأة هي عقدة العقد في المجتمع القديم والحديث ، وهذا الإعجاب والاجتذاب بدورهما يؤدّيان إلى البحث والتفتيش عن المواد التي كوّنت هذه اللوحات ، عن الحديد والكبريت ، وعن المدخل إلى هذه البيوت التي أذن الله أن ترفع .

إنّ الباحثين الجدد في معالم الحضارة الحديثة يسمّونها : حضارة الجنس[١] ! وهذا يكشف عن خطورة عقدة الرأي في المرأة ، وعن الأخطاء الكبرىٰ التي تعانيها من جرّاء الخطأ في تجربة الحضارة حول المرأة .

إنّ آراء الكتّاب وعلماء النفس والمادّية المتحكّمة في كلّ شيء وفي المرأة بالذات قد أظلمت الدروب وأغرقتها في الأهواء ، فضاع الصواب ، وطغت الحيرة ، وانهارت إنسانية المرأة تحت وطأة التجارب القديمة والحديثة .

إنّنا نشعر اليوم أكثر من أيّ وقت مضى بالحاجة إلى سرد موجز لحياة فاطمة الزهراء ؛ لكي نجعلها قائدة ، ونقتبس من فيض سيرتها في طريق الصلاح والإصلاح .

قلت له هذا كلّه ، فسمعته يقول بصوتٍ واثق وبشعور مَنْ أدّى الواجب: «لقد تركت لك هذا الأمر ؛ حتّى تكتب في مقدّمة الكتاب وتؤدّي هذه المهمّة ، فيكتمل العقد ويبلغ الكتاب النصاب» .

شعرت بالإحراج الكبير أمام الغاية السامية وأمام الوسيلة أيضاً ، فقلت له كلام المقدّس الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين[٢] في تقريظ له على

---

(١) انظر الفكر الإسلامي الحديث : ٤٠٢ .

(٢) عبدالحسين بن يوسف بن جواد بن إسماعيل بن محمّد شرف الدين الموسوي العاملي : أحد أعلام الإمامية ومن مشاهير علماء الإسلام . ولد سنة ١٢٩٠ هـ في الكاظمية ، وتدرّج في دراسته الحوزوية حتّى حضر مرحلة الأبحاث العالية على أعلام النجف : محمّد كاظم الخراساني ، ومحمّد طه نجف ، ورضا الهمداني ، وشيخ الشريعة الإصفهاني ، وعبدالله المازندراني . انتقل إلى بلدة صور سنة ١٣٢٥ هـ ، فتصدّر بها للتوجيه والإرشاد والإصلاح ، وباشر التأليف ، ودعا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وأكبّ على المطالعة والبحث، فأصدر على أثر زيارته ولقائه بالشيخ سليم

←

كتاب «الإمام علي صوت العدالة الإنسانية» مخاطباً مؤلّفه الأديب اللامع[١] : «أعرني قلمك لكي أُقرّظ به كتابك»[٢] .

هذه كلمات مَنْ أضاءت كتبه ورسائله سماء الكتب وعالم الأبحاث والرسائل ، فكيف بقلمي القاصر وببضاعتي المزجاة ؟ !

ومع ذلك كلّه ، فلسوف أستمدّ من فاطمة الزهراء في هذه المحاولة المتواضعة ، وأُؤدّي الواجب قدر المستطاع سائلاً المولىٰ لي وللقارئ الكريم توفيق الرؤية الصائبة والاقتباس .

* * *

المرأة

الحقيقة أنّ اكتشاف موقف الإسلام تجاه المرأة في هذا الوقت لا يخلو من بعض الصعوبات ، حيث إنّ هناك آثاراً دينيّة إسلاميّة تبدو في بادئ الأمر أنّها متفاوتة ومتخالفة ، وزادت الصعوبة حينما اختلطفت بعض العادات التي كانت ولا تزال عند بعض الشعوب الإسلامية ، اختلطت هذه العادات بالتعاليم الإسلامية الأصيلة ، فخيّل للباحث أنّ جميعها من الإسلام .

ـ البشري كتاب «المراجعات» ، وارتحل إلى دمشق ، وذاع اسمه فيها ، وسافر إلى فلسطين ، وعاد إلى بلده ، وأشرف على بعض الإنجازات العمرانيّة . توفّي سنة ١٣٧٧ هـ تاركاً بعض المؤلّفات ، كشرح تبصرة المتعلّمين ، وتحفة الأصحاب في طهارة أهل الكتاب ، والنصّ والاجتهاد ، والفصول المهمّة في تأليف الأُمّة ، وسبيل المؤمنين في الإمامة .

(تكملة أمل الآمل : ٢٥٦ ـ ٢٥٨ ، معارف الرجال ٢ : ٥١ ـ ٥٣ ، أعيان الشيعة ٧ : ٤٥٧ ، ريحانة الأدب ٣ : ١٩٤ ، معجم المؤلّفين ٥ : ٨٧ ، معجم رجال الفكر والأدب ٢ : ٧٣٦ ـ ٧٣٨ ، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤ : ٣١٨ ـ ٣٢١) .

(١) المقصود به الأديب اللبناني والكاتب المسيحي المرموق جورج جرداق .

(٢) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ١ :

وإذا لاحظنا آراء المستشرقين ، حتّى أصحاب النوايا الحسنة منهم ، ودرسنا ماكتبه بعض الكتّاب المسلمين أيضاً ، نجد أنّ هذه الصعوبات الدراسية جعلت الموقف الحقيقي الإسلامي تجاه المرأة غامضاً ، حتّى أنّ أكثرهم تبنّوا آراءً بعيدة عن الحقيقة ، وبعضهم اعتبر المرأة مظلومة في الإسلام[١] .

والحقيقة أنّ عند المسلمين نوعين من التراث الديني : فهناك تعاليم دينيّة مأثورة ، وعادات موروثة غير واردة في الآثار الدينيّة، ويجب الاهتمام بكلّ دقّة بفصل إحداهما عن الأُخرى . .

ثمّ إنّ الآثار الدينيّة الإسلاميّة أيضاً نوعان : قسم يتحدّث عن واقع المرأة في مرحلة معيّنة من التاريخ ، والقسم الآخر ينحصر في التعاليم الأساسية الخالدة .

وتوضيحاً لهذا الرأي أُلفت نظر الباحث إلى مصطلح علماء المنطق وأُصول الفقه ، حيث يفرّقون في كلّ خبر ـ وحسب مصطلحهم : كلّ قضية ـ بين القضية الحقيقيّة والقضية الخارجيّة ، حيث إنّ الأُولى تبحث عن الأحكام الثابتة للموضوع أينما وُجد وفي كلّ زمان ومكان ، في حين أنّ الثانية تنظر إلى الموضوع القائم في زمان صدور الحكم وتبحث عن حالته في ذلك الوقت دون سواه[٢] .

ولأجل اكتشاف حقيقة الموقف الإسلامي تجاه المرأة علينا أن نجعل من

---

(١) تأثير الإسلام على أُوربا : ١٢١ ـ ١٢٣ .

(٢) انظر : أجود التقريرات ١ : ١٢٥ ـ ١٢٨ و ٤٤٢ ، فوائد الأُصول ١ : ١٧٠ ـ ١٧٨ ، نهاية الأفكار ٤ : ١٦٢ ـ ١٦٣ ، نهاية الدراية ٢ : ٢٠٦ و ٢٨٩ ، حقائق الأُصول ٢ : ٤٧٦ ، منتهى الأُصول ١ : ١٥٨ ـ ١٦٢ و ٢ : ٤٦٥ ، المنطق لمتّى : ٦٠ ـ ٦١ .

الآيات القرآنية أساساً للبحث عن المرأة وإطاراً سليماً لمعرفة التعاليم الحقيقيّة لا الخارجيّة بالنسبة للمرأة ، وعندئذٍ فقط نتمكّن من فصل العادات عن الأحكام ومن معرفة الأحكام الثابتة وتمييزها عن الآراء المرحليّة .

رأي القرآن في المرأة

القرآن الكريم على خلاف جميع الآراء الفلسفيّة والمذهبيّة والعادات التي كانت قبل حال نزوله ، وعلى خلاف كثير من الآراء والعادات المتأخّرة ، يجلّ المرأة ويعتبرها مثل الرجل في الحقيقة وفي الذات[١] ، ثمّ يُعلن أنّها تشارك مشاركة جوهريّة في تكوين الطفل ، وليست ممرّاً لإنجاب الرجل ولا حقلاً لبذره[٢] .

وقد جعل الله النبيّ محمّداً بالذات شاهد صدق على هذا الموقف ، حيث جعل نسله من فاطمة ، وردّ على من سمّاه : (أبتر)[٣] بعد موت إبراهيم ابنه من مارية[٤] القبطية[٥] في السنة الثانية من الهجرة .

---

(١) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ [سورة الروم ٣٠ : ٢١]. (الصدر).

(٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء ٤ : ١] . (الصدر).

(٣) الذي سمّى الرسول ﷺ بالأبتر هو العاص بن وائل بن هشام ، وقيل : أبو جهل .
راجع : الكشف والبيان ١٠ : ٣٠٧ ، التبيان ١٠ : ٤١٨ ، التسهيل لعلوم التنزيل ٤ : ٤٢٧ ، اللباب في علوم الكتاب ٢٠ : ٥٢٤ ، الجوهر الثمين ٦ : ٤٥٨ ، روح المعاني ٣٠ : ٢٤٧ ـ ٢٤٩ .

(٤) أُمّ إبراهيم مارية بنت شمعون القبطيّة : زوج الرسول ﷺ وأُمّ ابنه إبراهيم ، كانت من كورة أنصاء ، بعثها جُريج بن مينا المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ سنة ٧ هـ مع أُختها سيرين أو شيرين وبعض الحاجيات بيد حاطب بن أبي بلتعة ـ وكانت بيضاء جميلة ـ فأنزلها الرسول ﷺ في ←

ويؤكّد القرآن في كثير من الآيات هذه المساواة ، ويكرّر عبارة : (بَعْضَهُم مِن بَعْضهنّ)[٦] ، ثمّ يسنّ قوانين لاحترام نفس المرأة وكلّ حقوقها[٧] ، ولاحترام عمل المرأة مادياً[٨] ومعنوياً[٩] وأقتصادياً[١٠] وسياسياً[١١] ، ويؤكّد احترامه لقرابتها من الميراث[١٢] وفي جميع شؤون الحياة .

العالية (مشربة أُمّ إبراهيم)، وكان ﷺ يختلف إليها، فحملت بإبراهيم وولدته سنة ٨ هـ ، وقد وهب سيرين لحسّان بن ثابت الأنصاري ، فولدت له عبدالرحمٰن. ماتت سنة ١٦ هـ ، وقيل : ١٥ هـ ، وصلّى عليها عمر بن الخطّاب ، ودفنت بالبقيع .

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١ : ١٣٤ و٣ : ٧ و٨ : ٢١٢ ـ ٢١٦ ، المعارف : ١٣٢ و١٤١ و١٤٣ و٣١٢ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٨٥ و٨٧ ، الإكمال لابن ماكولا ٤ : ٢٨٤ و٧ : ٩٥ ، إعلام الورىٰ ١ : ٢٧٦ ، السيرة النبويّة لابن كثير ٤ : ٥٧٩ و ٦٠٠ ـ ٦٠٣).

(٥) ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر ١٠٨ : ١ ـ ٣] (الصدر).

(٦) لا توجد هكذا عبارة في الكتاب العزيز، وقريب منها ما في سورة آل عمران (٣ : ١٩٥) : ﴿بَعْضُهُم مِن بَعْضٍ﴾، وسورة النساء ٤ : ٣٤ : ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ، وسوره التوبة (٩ : ٧١): ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ .

(٧) الطرف في مصطلح الفقهاء : أجزاء الجسد مقابل النفس ، أي : الحياة . والدية والقود والقصاص ثابتة بالنسبة للرجل والمرأة ، على تفصيل مذكور في مظانّه من الكتب الفقهية . (الصدر).

أقول : راجع : معجم ألفاظ الفقه الجعفري : ٢٦٩ ، معجم لغة الفقهاء : ٢٩٠ .

(٨) من المحرّمات الكبيرة فرض عمل على الرجل وعلى المرأة حتّى من زوجها ، أو منع الرجل أو المرأة من العمل وحجز حرّيتهما ، أو حرمان العامل أو العاملة أُجرتهما . (الصدر) .

(٩) ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [سورة آل عمران ٣ : ١٩٥] . (الصدر).

(١٠) ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [سورة النساء ٤ : ٣٢]. (الصدر)

(١١) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾ [سورة الممتحنة ٦٠ : ١٢] . (الصدر) .

(١٢) ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [سورة النساء ٤ : ٧]. (الصدر).

ولا نجد في جميع الآيات القرآنية ما يمنع المرأة من التصرّف في أموالها حتّى بعد الزواج[١] ، أو يسمح بفرض الزواج عليها دون رضاها[٢] .

والآيات التي تضيف المرأة على الرجل لبيان الأحكام أو التقدير أو المواعظ أو العبر كثيرة جدّاً ، دون أن تقلّل من مقامها ، أو تحتقرها[٣] ، أو تعتبرها أقلّ شأناً من الرجل .

ومن خصوص الحياة الزوجيّة ولأجل صيانة الزوجة وعدم وصول الحياة بين الزوجين إلى مأزق ، وحتّى يمكن البتّ بالأُمور العابرة إلى شؤونهما المشتركة ، جعل للرجل على زوجته درجة ، وذلك بعد أن أكّد تماثل الحقوق والواجبات في الآية الكريمة : ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾[٤] . وهذه الدرجة هي التي عبّر القرآن الكريم عنها في مكان آخر : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا**﴾[٥] .

والمتمعّن في دراسة القرآن الكريم يجد أنّ الفروق التي يثبتها بين الرجل

---

(١) لا تزال بعض القوانين في العالم المعاصر وفي البلاد المتحضّرة تحجر على المرأة بعد الزواج في مالها . (الصدر) .

(٢) وحقّ الوالد في زواجها الأوّل حقّ استشاري ، وليس له فرض الزواج عليها . ثمّ إنّ الوالد إذا عضل ومنع البنت من الزواج مع وجود المصلحة والكفاءة يسقط حقّه . (الصدر).

(٣) ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [سورة النحل ١٦ : ٩٧] . ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ [سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٥] . (الصدر).

(٤) سورة البقرة ٢ : ٢٢٨ .

(٥) سورة النساء ٤ : ٣٤ .

والمرأة تكرّس المساواة الذاتيّة وتولّد الاهتمام العادل بأمرهما على حدٍّ سواء ، فالتفاوت في الأحكام وفي الواجبات والحقوق إنّما يرجع إلى التفاوت في الكفاءات بينهما ، وإلى اختصاص كلّ منهما في أكثر الأحيان بنوع خاصٍّ من الاستعداد يختلف عن الآخر . .

فالمرأة بمقتضى خلقها الجسدي والروحي تصلح للأُمومة ولتربية الطفل ، وهذه المهمّة هي التي اعتبرت أهمّ بناءٍ في الإسلام بموجب الحديث النبوي[١] .

إنّ هذه المهمّة لا تقلّ تأثيراً عن أيّ مهمّة حياتيّة أُخرىٰ ، حيث إنّها تصنع الفرد ، وهو قوام المجتمعات القاهرة ، تتناسب مع المرأة ، فالإسلام ينصّ بتحمّل هذه الرسالة دون أن يفرض عليها[٢] ، ثمّ يحاول تهيئة الجوّ المناسب لها لكي تتفرّغ لأداء هذه المسؤولية ، فيفرض على الرجل أن ينفق عليها تسهيلاً لمهمّتها ، ثمّ يفرض على الرجل بمضاعفة حصّته في الميراث لحصّتها ؛ حتّى تتحقّق العدالة، وحتّى لا يكون المال : ﴿**دُولَةً بَيْنَ ٱلأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ**﴾[٣] على حدّ تعبير القرآن الكريم .

ويبني الإسلام على أساس هذا الاختصاص وهذه الممارسة سائر أحكامه ، فيحكم بقبول شهادة المرأة في إطار عملها واختصاصها[٤] .

---

(١) «ما بُني في الإسلام بناءٌ أحبّ عند الله من الزواج» . (الصدر).

لاحظ : الهداية للصدوق : ٢٥٧ ، بحار الأنوار ١٠٠ : ٢٢٢ ، مستدرك الوسائل ١٤ : ١٥٢ ـ ١٥٣ .

(٢) فليس الزواج واجباً عليها ، ولا أداء هذه المهام مفروضة عليها ، حسب التفاصيل المذكورة في كتب الفقه . (الصدر).

(٣) سورة الحشر ٥٩ : ٧ .

(٤) ضابطة ذلك في الشرع : كلّ ما يعسر اطّلاع الرجال عليه من أحوال النساء ، كالولادة ،

←

أمّا موضوع الغطاء في الإسلام فليس المقصود منه تحقير المرأة أو حبسها أو التفخيم والتمجيد الزائد لها ، كما كان متعارفاً عند بعض الشعوب ، بل إنّه سلاح للمرأة ومنع لطغيان الأُنوثة على المرأة ؛ لئلّا يتغلّب هذا الجانب على جميع كفاءاتها .

إنّ هذا القصد واضح في الآيات القرآنية التي تمنع الخضوع في القول ، أو الضرب بالأرجل في المشيء أو التبرّج ، أو إبداء الزينة[1] .

والحقيقة أنّ إبداء مفاتن المرأة يؤدّي إلى طغيان جانب الأُنوثة على

ـ والاستهلال ، وعيوب النساء الخاصّة . حيث يثبت بشهادة النساء منفردات أو منضمّات ، وكلّ مورد يثبت به الحقّ بشهادة النساء منفردات فلا يكفي فيه أقلّ من أربع . وإذا لم يكمل النصاب كانت شهادتهنّ لغواً ، إلّا في موردين : الأوّل : الوصيّة التمليكية ، فإنّه يثبت بالواحدة ربع وبالاثنين نصف ، وبالثلاث ثلاثة أرباع ، وبالأربع الكلّ . والثاني : الاستهلال (أي : الشهادة بولادة الجنين حيّاً) ، فيثبت بالواحدة ربع الميراث ، وهكذا .

وهناك من الحقوق ما يثبت بشاهد وامرأتين ، وهي كلّ ما يقصد منه المال أصالة ، كالديون من القرض ، أو القراض ، والغصب ، وعقود المعاوضات ، كأنواع البيوع ، والإجارات ، والرهن ، والوصيّة التمليكيّة ، والجنايات الموجبة للدية ، والوقف على قول .

ويوجد من الحقوق ما يثبت بشهادة ثلاثة رجال وامرأتين ، والمقصود منها زنى المحصن الموجب للرجم . وما يثبت بشهادة رجلين وأربع نساء ، وهو زنى غير المحصن الموجب للجلد. ويلحق بالزنى أخواه : اللواط ، والسحاق .

وأمّا القصاص فقد قبل بعض فقهائنا قبول شهادة النساء مع الرجال فيه ، ورده بعضهم.

وأمّا النكاح فحاله حال القصاص بين قابل لشهادة النساء فيه منضمّات إلى رجل وبين رافض لذلك .

راجع كتاب «تحرير المجلّة» (بتحقيقنا) ٤ : ٢٩٩ ـ ٣٠٣ ، حيث ذكرتُ هناك في الهامش عدّة منابع للمسألة مع تفاصيلها.

(١) الآيات القرآنية في هذا الشأن كثيرة ، نذكر بعضها منها :

﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٢] ، و﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [سورة النور ٢٤ : ٣١] ، و﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٢] ، و﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [سورة النور ٢٤ : ٣١] (الصدر) .

وجود المرأة ، فيحوّلها إلى لوحة فنّية فقط ، وهذا احتقار لها ، وتنكّر لكفاءاتها ، وتقليل من فرصتها الغالية من حيث يؤدّي إلى التخفيف من مركزها ودورها السامي في خدمة الأُمومة .

هذه هي المعالم الرئيسية لموقف الإسلام تجاه المرأة ، وعلى هذا الأساس يمكننا معرفة العادات وتمييزها عن الأحكام ، ونتمكّن أيضاً من اكتشاف الروايات التي تستعرض وضع المرأة في مرحلة تاريخيّة معيّنة .

وقد بذل رسول الله ﷺ جهداً متناهياً في رفع مستوىٰ المرأة التي تعيش في عصره والتي كانت تحمل تبعات الاضطهاد الماضي الطويل وعقده ، [كذلك بذل جهداً] في تحسين نظرة الناس إليها ، فقد اعتبر أنّ : «خير الأولاد البنات»(١) ، وأنّ : «أحسن الناس أحسنهم لزوجته»(٢) ، وأنّ : «المرأة محبّبة عنده مع الصلاة»(٣) ، وأنّ : «النساء أمانة في أُمّته»(٤) .

وإنّني أعتقد أنّ ما نقل عن الإمام علي ﷺ حول المرأة ممّا جعل بعض الباحثين من المستشرقين وغيرهم يعتبرونه عدوّ المرأة ننظير قوله : «النساء

---

(١) ورد الحديث بلفظ : «نعم الولد البنات» في : الكافي ٦ : ٥ ، روضة الواعظين : ٣٦٩ ، فردوس الأخبار ٢ : ٣٦٧ ، مكارم الأخلاق ١ : ٤٧٢ ، عدّة الداعي : ١٠٩ ، وسائل الشيعة ٢١ : ٣٦٢ ، كشف الخفاء ٢ : ٣٧٩ .

(٢) لم أعثر على حديث بهذا النصّ أو قريب منه في المجاميع الحديثيّة.

(٣) حيث قال رسول الله ﷺ : «حبّب إليّ من الدنيا ثلاث : النساء ، والطيب ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة» ، وقريب هذا من الألفاظ .

انظر : المصنّف للصنعاني ٤ : ٣٢١ ، مسند أحمد ٣ : ١٢٨ و ١٩٩ و ٢٨٥ ، سنن النسائي ٧ : ٦١ و ٦٢ ، المسند لأبي يعلىٰ ٦ : ١٩٩ ـ ٢٠٠ و ٢٣٧ ، المعجم الأوسط للطبراني ٦ : ٣٦١ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٧ : ٧٨ ، وسائل الشيعة ٢ : ١٤٤ و ٨ : ١١٦ .

(٤) لم أعثر على هكذا رواية .

عيٌّ وعورة، فاستروا عيهنّ بالسكوت، وعورتهنّ بالبيوت»[١] ، وأمثال ذلك ، إنّ هذه العبارات ، على افتراض صدورها عن الإمام ، إنّما هي من قبيل القضايا الخارجيّة في نظرات خاصّة معيّنة تعبّر عن وضع المرأة في مرحلة تأريخيّة معيّنة .

وللإمام ﷺ نظرات وحكم أُخرى تنطبق تماماً على ما استنتجناه من القرآن الكريم . وهو في بعض الأحيان يحاول أن يعطي تفسيراً رائعاً ممّا كان شائعاً بين الناس من الأمثال حول المرأة ، فحينما يسمع المثل الشائع : «إنّ النساء ناقصات العقول ، ناقصات الحظوظ ، ناقصات الإيمان»[٢] يفسّرها بمثل ما شاهدناه من التعاليم القرآنيّة من التفاوت في الميزان والشهادة ، وبالتفاوت في أداء بعض الفرائض في حالات خاصّة . وهذا الأُسلوب هو موقف تربوي رائع نجده ونجد مثله في حياة النبي وسائر الأئمّة وفي حياة الزهراء ﷺ .

---

(١) قارن : الكافي ٥ :٥٣٥ ، كتاب المجروحين لابن حبّان ١ : ١٢٣ ، دعائم الإسلام ٢ : ٢١٤، الفقيه ٣ : ٣٩٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠ : ٣١٠ ، وسائل الشيعة ٢٠ : ٦٦ ، بأدنى تفاوت .

(٢) لاحظ : نهج البلاغة : ١١٤ ، مسند أحمد ٢ : ٣٧٣ ، صحيح مسلم ١ : ٨٦ ـ ٨٧ ، سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٢٦ ـ ١٣٢٧ ، أحكام القرآن للجصّاص ٢ : ٢٤ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي ١ : ٣٠٨ و٤ : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ و١٠ : ١٤٨ ـ ١٤٩ ، مجمع الزوائد ٣ : ١١٨ ـ ١١٩ ، وسائل الشيعة ١٥ : ٩٥ و٢٧ : ٢٧٢ ، ٣٣٥.

أقول : إنّ الله تعالى قد خصّ المرأة بوظيفة إنسانيّة عظيمة، ألا وهي تربيّة الأجيال وإنشاء رجال المستقبل ، ولمّاكانت هذه الوظيفة تقتضي الحنان والعطف ـ وهذا من حكمة الباري عزّ وجلّ ـ جعل الله تعالى جانب العاطفة عند المرأة غالباً على جانب التروّي ، وهذا من كمال وظيفتها حتّى تكون أمناً ومسكناً ، ولذلك وجدنا الدين الإسلامي يعظّمها ويكرّمها ويقف ضدّاً لإهانتها وامتهان كرامتها ، وكلّ من المرأة والرجل مكلّفان بأحكام الشريعة ، ويمكنهما استيعابها وفهمها ، وكذلك مقابلة ما يصادفهما من أُمور الحياة ، إلّا أنّ قابليّة الرجل لاستيعاب مصاعب الحياة أكثر بعض الشيء ؛ لأنّ ذلك يتطلّب نوعاً من الخشونة ، وهذا من طبع الرجل .

سرد موجز

وُلدت فاطمة بعد مبعث الرسول الأكرم بخمس سنوات ، أي : قبل الهجرة بثمان سنوات[١] ، وهي آخر أولاد الرسول من خديجة . ولدت في مكّة ، وفي بيت الوحي والجهاد ، وفي أجواء الصبر والصمود وتحمّل المشاق ، وترعرت في غمار العواطف الصادقة والحبّ الطاهر المتبادل بين رسول الرحمة وبين خديجة التي ما نسي النبيّ عواطفها وإخلاصها طوال حياته .

هاجرت بعد رسول الله من مكّة إلى المدينة مع الأُخريات من أهل البيت وبرعاية علي بن أبي طالب عليه السلام[٢] ، والتحقوا جميعاً بموكب الهجرة في منزل قبا[٣] بالقرب من المدينة .

وتزوّجت من علي بن أبي طالب ، وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، من السنة الثانية من الهجرة ، يعني : حينما بلغت العاشرة[٤] ، وقد أكّد النبيّ

---

(١) راجع : الكافي ١ : ٤٥٧ و٤٥٨ ، الهداية الكبرى : ١٧٥، دلائل الإمامة : ١٠ ، روضة الواعظين ١ : ١٤٣ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٧ .

(٢) انظر : دلائل الإمامة : ١١ ، كشف الغمّة ٢ : ٧٥ ، بحار الأنوار ٤٣ : ١٠ .

(٣) قبا : أصله اسم بئر عُرفت القرية به ، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار ، وهي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكّة ، وفيها مسجد التقوى . (معجم البلدان ٤ : ٣٠١ ـ ٣٠٢) .

(٤) هذا هو المشهور في روايات أهل البيت عليهم السلام [الكافي ١ : ٤٥٨ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٦ ـ ٩]، وهو أقرب إلى السيرة المتّبعة من استحباب الإسراع في تزويج البنت .
وهكذا فإنّ عمر فاطمة وقت زواجها كان عشر سنوات بموجب هذا النقل [ملحقات الإحقاق ٢٥ : ١٠ ، الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ٥ : ٢٦٩] .
أمّا النقل الثاني عن ابن عبّاس ـ وهو أنّ ولادتها قبل البعثة بخمس سنوات ـ فيكون عمرها حال

←

لأصحابه أنّ تفضيل علي من بين الخاطبين الكُثُر لفاطمة كان بنصيحة من الغيب ولعدم رضاها بغير علي[١] . . لقد رضيت به دون سواه بالرغم من محاولات كثيرة بذلتها نساء المدينة ، حيث نصحن فاطمة بعدم الإقدام على الزواج من علي ؛ لفقره ، ولانصرافه للجهاد المستمرّ ، ولصلابته في ذات الله !

عاشت مع علي ثمان سنوات حياة مثالية كانت عنوان الحياة الزوجيّة ، وأنجبت له : الحسن ، والحسين ، وزينب ، وأُمّ كلثوم ، ومحسن[٢] الذي أجهضته بعد وفاة أبيها في غمرة الأحداث المؤلمة التي وقعت آنذاك .

وتوفّيت بعد أبيها بأشهر قليلة[٣] ، ودفنت في مكان

← الزواج عشرين سنة . [مقاتل الطالبيّين : ٣٠ ، تذكرة الخواصّ : ٣٠٦ ، ذخائر العقبى : ٢٦ ، نظم درر السمطين : ٢٣٣ ـ ٢٣٤] .

أمّا استغراب الحمل والولادة في السنين المتأخّرة من حياة خديجة فيثبته إمكان حيض المرأة القرشية والنبطية إلى ستّين سنة ، وهذا أصل مشهور بين الفقهاء . [ذكرى الشيعة ١ : ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ، المهذّب البارع ٣ : ٤٩١ ، مسالك الأفهام ١ : ٥٨ (نسبه للمشهور) و ٩ : ٢٣٥ ـ ٢٣٧ ، مدارك الأحكام ١ : ٣٢٢ ، كشف اللثام ٢ : ٦١ ـ ٦٢ ، غنائم الأيّام ١ : ٢٢٤ ، مستند الشيعة ٢ : ٣٧٨ ، جواهر الكلام ٣ : ١٦١ ـ ١٦٣ ، مستمسك العروة ٣ : ١٥٣ ـ ١٥٤] . (الصدر) .

(١) راجع : الذرّية الطاهرة : ٩١ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ١١٩ ، بحار الأنوار ٤٣ : ١٣٦ .

(٢) قارن : الاستيعاب ٤ : ٤٤٨ ، مناقب آل محمّد : ٨٥ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ١١٩ ، الأئمّة الاثنا عشر لابن طولون : ٥٨ ـ ٥٩ ، المناقب للشيرواني : ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، إتحاف السائل : ٣٦ ، بحار الأنوار ٢٢ : ١٦٧ ، ملحقات الإحقاق ٢٥ : ١٥ .

(٣) المشهور أنّها بقيت بعده ستّة أشهر . (سير أعلام النبلاء ٢ : ١٢٧ حيث روي عن عائشة ، فتح الباري ٧ : ٣٩٧ ، إتحاف السائل : ١١٥ و ١١٦) .

وقيل : ثلاثة أشهر . (مقاتل الطالبيّين : ٣١ ، المعجم الكبير للطبراني ٢٢ : ٣٣٣ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ١٢٨ حيث عزاه الذهبي إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام) .

وقيل : بل بقيت بعده شهرين . (المستدرك للحاكم ٣ : ١٧٨ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ١٢٨ حيث رواه الذهبي عن عائشة) .

←

مجهول[1] حسب وصيّها . كما وإنّ دفنها وتشييعها حصلا سرّاً وفي الليل

← والمعروف عند الإماميّة أنّها بقيت بعده ﷺ خمسة وسبعين يوماً . راجع : الكافي ١ : ٤٥٨ و٣ : ٢٢٨ و٤ : ٥٦١ ، العمدة لابن البطريق : ٣٩٠ . وروي في الإمامة والسياسة ١ : ٣١ .

وروي عن ابن عبّاس وسلمان : أنّها بقيت بعده أربعين صباحاً . (المستدرك للحاكم ٢ : ٢١٠ ، بحار الأنوار ٤٣ : ١٨٦ و٧٨ : ٢٥٦).

(١) ذكر في محلّ دفنها (صلوات الله عليها) عدّة أقوال :

الأوّل : إنّها دفنت في بيتها في موضع فراشها .

قاله النميري في تاريخ المدينة ١ :١٠٨ .

الثاني : دفنت في بيتها الذي أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد النبوي .

قاله ابن النجّار في الدرّة الثمينة ، ونقله عنه القندوزي في ينابيع المودّة ٢ : ٢٦ .

الثالث : إنّ قبر فاطمة بين قبر النبيّ ﷺ والحجر .

قاله الزهري عن علي بن الحسين ، عن ابن عبّاس أنّه شهد دفنها ، نقله ابن حجر في لسان الميزان ٢ : ٧٠ .

الرابع : إنّها دفنت في البقيع ، ويستدلّ له بقول الإمام الحسن ﷺ لأخيه الحسين ﷺ : «فإن فعلوا فلا تراجعهم ، وادفنّي في بقيع الغرقد إلى جنب أُمّي فاطمة» .

قاله الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين : ٢٦١ ، والمسعودي في التنبيه والإشراف : ٢٥٠ .

أقول : يحتمل أنّه ﷺ أراد أُمّه فاطمة بنت أسد .

الخامس : إنّها دفنت في زاويةٍ في دار عقيل ، أو حذو دار عقيل ، ممّا يلي دار الجحشيين ، مقابل طريق بني نبيه من بني عبد الدار .

قاله ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨ : ٣٠ ، والنميري في تاريخ المدينة ١ : ١٠٥ .

وأمّا قول الإماميّة فالمشهور عندهم ثلاثة أقوال :

الأوّل : إنّها دفنت في الروضة بين قبر النبيّ ﷺ ومنبره الشريف ؛ لقوله ﷺ : «بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة» ، وقبرها روضة من رياض الجنّة .

وهو مختار الشيخ المفيد ، نقله الطوسي في التهذيب ٦ : ٧و٩ .

وقال المحدّث البحراني في الحدائق : «وعن الشيخ المفيد الأمر بزيارتها في الروضة» . (الحدائق الناضرة ١٧ : ٤٢٧) .

وقال الشيخ الطوسي : «وينبغي أن يزور فاطمة من عند الروضة». (المبسوط ١ : ٣٨٦) .

وقال المحقّق الحلّي : «يستحبّ أن يزور فاطمة من عند الروضة». (شرائع الإسلام ١ : ٢١٠) .

←

ـ وقال المجلسي : «من المحقّق أنّ قبر فاطمة الزهراء عليها السلام إمّا في بيتها ، أو الروضة النبوية» . (بحار الأنوار ٤٨ : ٢٩٨).

وقال الشهيد الثاني في المسالك : «أبعد الاحتمالات كونها في الروضة» . (المسالك ٢ : ٣٨٣) .

الثاني : إنّها دفنت في بيتها ، ولمّا زادت بنو أُميّة في المسجد صار القبر في المسجد ؛ لما روي في الصحيح عن ابن أبي نصر البزنطي ، قال : سألت الرضا عليه السلام عن قبر فاطمة عليها السلام ، فقال : «دُفنت في بيتها ، فلمّا زادت بنو أُميّة في المسجد صارت في المسجد» .

روي في : الكافي ١ : ٤٦١ ، التهذيب ٣ : ٢٥٥ ، الفقيه ١ : ٢٢٩ ، وسائل الشيعة ١٤ : ٣٦٨ .

وقال الصدوق : «هذا ـ أي : ما رواه البزنطي ـ هو الصحيح عندي ، وإنّي لمّا حججت بيت الله الحرام كان رجوعي على المدينة بتوفيق الله تعالى ذكره ، فلمّا فرغت من زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله قصدت إلى بيت فاطمة ، وهو من عند الأُسطوانة التي تدخل إليها من باب جبرئيل إلى مؤخّر الحظيرة التي فيها النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقمت عند الحظيرة ويساري إليها ، وجعلت ظهري إلى القبلة ، واستقبلتها بوجهي وأنا على غسل ، وقلت : السلام عليك يا بنت رسول الله ، السلام عليك يا بنت نبي الله .. إلى آخر الزيارة». (الفقيه ٢ : ٥٧٢ ـ ٥٧٣) .

وقال المجلسي : «قد بيّنا في كتاب المزار أنّ الأصحّ أنّها مدفونة في بيتها». (بحار الأنوار ٤٣ : ١٨٨) .

وقال صاحب الرياض : «والأصحّ ـ وفاقاً للصدوق وجماعة ـ أنّها دفنت في بيتها ، وهو الآن داخل في المسجد ؛ للصحيح» . ثم ذكر رواية البزنطي . (رياض المسائل ٧ : ١٩٤) .

ومال إليه . السيّد العاملي في مدارك الأحكام ٨ : ٢٧٩ ، والشهيد الأوّل في ذكرى الشيعة ٣ : ١٣٧ ، والسبزواري في ذخيرة المعاد : ٧٠٧ ، قال : «والأولى التعويل في ذلك على ما رواه الشيخ» ، ثمّ ذكر رواية البزنطي .

الثالث : إنّها مدفونة إمّا في بيتها أو الروضة .

وهو مختار الشيخ الطوسي ، قال : «اختلف أصحابنا في موضع قبرها ، فقال بعضهم : إنّها دُفنت بالبقيع .

وقال بعضهم : إنّها دُفنت بالروضة ، وقال بعضهم : إنّها دُفنت في بيتها ، فلمّا زاد بنو أُميّة ـ لعنهم الله ـ في المسجد صارت من جملة المسجد ، وهاتان الروايتان كالمتقاربتين . والأفضل عندي أن يزور الإنسان من الموضعين جميعاً ، فإنّه لا يضرّه ذلك ، ويحوز به أجراً عظيماً . وأمّا من قال : إنّها دفنت في البقيع ، فبعيد عن الصواب». (التهذيب ٦ : ٩) .

وأمّا التعليق على القول بأنّها قد دُفنت في البقيع ، فقد قال الشيخ الطوسي : «وروي : أنّها مدفونة

←

تنفيذاً لرغبتها[١] .

وبعض الآثار التاريخية والأحداث المأثورة تؤكّد أنّ قبرها في أحد الأماكن الثلاثة : في البقيع ، أو في بيتها الملتصق بقبر النبيّ ، أو في الروضة الشريفة التي هي بين محراب الرسول وقبره والتي تتميّز الآن بأعمدة خاصّة .

أمّا عمرها فيبلغ ثمان عشرة سنة وأشهر[٢] ، وهو عمر قصير ، ولكنّه مثال كامل شامل لحياة المرأة التي يريدها الله ويسعى لتحقيقها دين الله .

إنّ التعاليم الدينيّة تحتاج إلى نماذج من البشر يجسّدونها ويحقّقون تنفيذها تحقيقاً كاملاً ؛ لكي يخرجوها عن الفرضية المثالية «أيديالية»[٣] ، وحتّى لا يكون للناس على الله حجّة .

← بالبقيع ، وهذا بعيد» . (المبسوط ١ : ٣٨٦) ، ومثله قال في التهذيب ٦ : ٩ .

وقال النجفي في الجواهر : «فأمّا من قال : إنّها دفنت في البقيع ، فبعيد عن الصواب . وكذلك استبعده ابنا سعيد وإدريس والفاضل في التحرير وغيره» . (جواهر الكلام ٢٠ : ٨٦) .

وقال المجلسي : «الظاهر والمشهور وممّا نقله الناس وأرباب التواريخ والسير أنّها عليها السلام دفنت بالبقيع» . (بحار الأنوار ٤٣ : ١٨٧) .

والحاصل من ذلك : أنّ قبرها في الروضة بين القبر والمنبر ، وهو مختار المفيد ، أو في بيتها وصار في المسجد ، وهو مختار الصدوق تبعاً لرواية البزنطي عن الرضا عليه السلام ، وبعض حكم بتقارب الروايتين ولم يعيّن ، وهو مختار الشيخ الطوسي في التهذيب . وأمّا كون قبرها في البقيع فهذا ما استبعده أكثرهم .

(١) لاحظ : تاريخ اليعقوبي ٢ : ١١٥ ، دلائل الإمامة : ٤٥ وما بعدها ، الأمالي للمفيد : ٢٨١ ، الأمالي للطوسي ١ : ١٠٧ ، الهداية الكبرى : ١٧٨ ـ ١٧٩ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٤١١ و٤١٢ ، بحار الأنوار ٢٩ : ٣٨٧ و٤٣ : ١٨٢ ـ ١٨٣ و٧٨ : ٣٩٠ و١٠٠ : ١٨٦ ، مرآة العقول ٥ : ٣٢١ ، ملحقات الإحقاق ٣٣ : ٣٨٣ .

(٢) الكافي ١ : ٤٥٨ ، ذخائر العقبى : ٥٢ .

وتوجد أقوال أُخرى ذكرها الأكرواي في إتحاف السائل : ١١٥ ، فراجعها .

(٣) إيدآل : كلمة فرنسية الأصل تأتي في الفارسية بمعنى غاية وكمال المطلوب أو نهاية الأُمنية . (لغت نامه ٣ : ٣٦٨٥) .

وحينما أراد الرسول أن يباهل ـ والمباهلة : ابتهال إلى الله لكشف الحقيقة بعدم اقتناع الخصم بالحجّة وقد كانت الوسيلة الناجحة الأخيرة في دعوة الأنبياء وفي نصر الله للدين الحقّ ـ أمراً بذلك بموجب الآية الكريمة : ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [١] ، فأصبح الرسول الكريم في مقام عرض الأبناء والنساء والأنفس الذين يمثّلون رجال الإسلام ونساءه وأبناءه ، عند ذلك اختار عليّاً وفاطمة والحسنين [٢] معلّقاً بذلك إيمانه بالحقّ ولتمثيل هؤلاء لدينه تمثيلاً كاملاً .

فلندرس بصورة موجزة هذه المرأة فاطمة الزهراء التي هي الممثّلة الصحيحة للمرأة المسلمة بعد هذا السرد المقتضب لحياتها .

* * *

أُمّ أبيها

إنّ فاطمة الفتاة تحاول أن تشارك في جهاد أبيها ، فتسعى مخلصة لسدّ الفراغ العاطفي الذي كان يعيشه الرسول بعد أن فقد أبويه في أوّل حياته ، وهذا الفراغ كان يزعج النبيّ وينعكس على قلبه الرهيف المشتاق إلى الحبّ لقد كان بحاجة إلى عطف الأُم ورعايتها في حياته ، وفي عمله الشاقّ المضني ،

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ٦١ .

(٢) قارن : فضائل الصحابة لابن حنبل : ٧٧٦ ـ ٧٧٧ ، مسند أحمد ١ : ١٨٥ ، تاريخ المدينة لابن شبّة ٢ : ٥٨٣ ، سنن الترمذي ٥ : ٢٢٥ و٦٣٨ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٦٣ ، معرفة علوم الحديث : ٥٠ ، دلائل النبوّة للإصفهاني ٢ : ٢٩٧ ـ ٢٩٩ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٧ : ٦٣ ، المناقب لابن المغازلي : ٢٦٣ ، الشفا ٢ : ٤٦ ، كنز العمّال ٢ : ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

وانظر كذلك : تفسير الحبري : ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ، أسباب النزول للواحدي : ٩٠ ـ ٩١ ، تفسير البغوي ١ : ٣١٠ ـ ٣١١ ، أحكام القرآن لابن العربي ١ : ٢٧٥ ، زاد المسير ١ : ٣٣٩ ، تفسير النسفي ١ : ١٦١ ، البحر المحيط ٢ : ٤٧٩ ـ ٤٨٠ ، فتح القدير ١ : ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

وفي مواجهته ببيئته القاسية بالنسبة إليه ، وقد وجد كلّ هذا العطف في فاطمة .

إنّ التاريخ لا يحدّثنا إلّا نتفاً من هذه المواقف الأُمومية التي كانت تصدر عن فاطمة بالنسبة للرسول ، ولكنّه يؤكّد نجاح فاطمة في هذه المحاولة التي أعادت إلى محمّد الاكتفاء العاطفي الذي ساعده دون شكٍّ في تحمّل الأعباء الرساليّة الكبرىٰ .

إنّ التاريخ يؤكّد هذا حينما ينقل تكراراً عن لسان النبيّ : «فاطمة أُمّ أبيها»[١] ، وحينما نرى أنّه كان يعاملها معاملة الأُمّ ، فيقبّل يدها ، ويخصّها بالزيارة عند كلّ عودة منه إلى المدينة ، ويودّعها منطلقاً من عندها إلى كلّ أسفاره ورحلاته[٢] ، وكأنّه يتزوّد من هذا النبع الصافي عاطفة لسفره .

ومن ناحية أُخرى نجد أنّ إحساس النبيّ بالأُبوّة كان يتجسّد في صِلاته مع فاطمة ، وحينما أمر الناس بأن يخاطبوا محمّداً برسول الله ، ونفّذت فاطمة هذا الأمر منعها رسول الله ، وطلب منا أن تدعوه «يا أبه»[٣] .

ونلاحظ من سيرة الرسول الأكرم كثرة دخوله عليها في حالات تعبه وآلامه ، أو حينما يرجع جريحاً من الحروب ، أو حال جوعه ، أو فقره ، فتقابله فاطمة الأُمّ ، وترعاه ، وتحتضنه ، وتضمّد جروحه ، وتخفّف من آلامه[٤] .

* * *

(١) ستأتي الإشارة إلى مصادر هذا الحديث ، فانتظر .

(٢) راجع : الأدب المفرد : ٢٨٨ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٧ : ١٠١ ، الأمالي للطوسي ٢ : ١٤ ، ذخائر العقبىٰ : ٤١ ، تحفة الأشراف ١٢ : ٤٧١ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٢٥ ، مرآة العقول ٥ : ٣٢٤ و٣٢٥ .

(٣) لاحظ : المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٣٦٧ ، الدرّ النظيم : ٤٦٢ ، الصافي ٥ : ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، البرهان في تفسير القرآن ٥ : ٤٢٩ ، تفسير نور الثقلين ٣ : ٦٢٨ ـ ٦٢٩ .

(٤) راجع الموسوعة الكبرىٰ عن فاطمة الزهراء (الجزء الثامن)، حيث تجد مئات المصادر تتحدّث عن ذلك .

كلمة توجيه

هذه هي المرأة المسلمة الكريمة ابنة أعظم نبيّ ، وزوجة إمام وبطل ، وأُمّ أينع بزغتين في تاريخ الإمامة التي يقدّم فيها الأُستاذ الكريم (سليمان كتّاني) كتابه الأدبي الملوّن الذي هو فيض إشراقة لأطهر وجه عرفه تاريخ الإسلام .

فلنتابع مع هذه الريشة المغموسة بالطيب وباللون قراءة الكتاب على مهل ، مكتشفين مع كلّ صفحة من صفحاته لوحة فنّية رائعة ، نستشفّ ضمن خطوطها ومع كلّ من أظلالها وجه فاطمة الزهراء مشرقاً وضّاءً وعفيفاً شيّقاً .

وبعد أن ننهي القراءة ، فلنغمض أعيننا متأمّلين . . سوف يتجسّد أمام خاطرنا ذلك الوجه الناعم وجه ابنة النبيّ مغموراً باللون ومتموّراً[١] بالطيب .

موسى الصدر[٢]

صور

---

(١) مار : سال وجرى وانصبّ . (العين للفراهيدي ٨ : ٢٩٢) .

(٢) موسى بن صدر الدين الصدر الموسوي : زعيم شيعي ، أصله من عائلة من جبل عامل في جنوب لبنان . ولد سنة ١٩٢٨م في مدينة قم الإيرانية ، وأنهى دراسته الدينية ثمّ الجامعية في كلّية الحقوق بجامعة طهران ، وأصدر في قم مجلّة «مكتب إسلام» ، وقدم إلى صور سنة ١٩٥٩م ، وانتخب عام ١٩٦٩م رئيساً للمجلس الشيعي الأعلى بلبنان ، وانشأ حركة «أمل» العسكرية سنة ١٩٧٦م ، ودافع عن تحرير جنوب لبنان من اليهود ، وتجوّل في بلدان كثيرة لعرض حقيقة الأخطار المحدقة بلبنان آنذاك ، وكانت آخر محطّة له هي ليبيا سنة ١٩٧٨م ، ولم يعد منها ، ولم يوقف له على أثر ! من كتبه : الإسلام عقيدة راسخة ومنهج حياة .

(موسوعة السياسة ٦ : ٤٤٣ ، شخصيات لها تاريخ : ٢٦٠ ـ ٢٦١ ، تتمّة أعلام الزركلي ٢ : ٢٧٠).

هدايا

عناصر البحث

* إلى لجنة التحكيم
* اهداء
* إلى القارئ
* إلىٰ فاطمة

إلى لجنة التحكيم[1]

بواسطة سماحة السيّد حسين بحر العلوم[2] الجزيل الاحترام
إلى النجف الأشرف منه وإليه أُقدّم كتابي :

---

(١) المقصود من لجنة التحكيم هيئة التحكيم التي عقدتها مكتبة العلمين الطوسي وبحر العلوم العامّة سنة (١٣٨٧ هـ) في النجف الأشرف لاختيار أفضل بحث مقدّم لها حول سيرة السيّدة الزهراء عليها السلام. ومن جملة البحوث التي قدّمت للّجنة : أُمّ الشهداء فاطمة بنت محمّد لمهدي الحسيني ، رائدة فخر النساء لحيدر علي السعدي ، الزهراء سيّدة الكساء ونساء اليوم لكريم أحمد الصائغ ، الزهراء فاطمة بنت محمّد لعبد الزهراء عثمان محمّد (حصل على الجائزة الثانية) ، الزهراء في محراب الألم لعبدالكريم توفيق الطائي ، الصدّيقة فاطمة الزهراء لمحمّد رضا الحسّاني ، الصدّيقة فاطمة الزهراء بنت الرسالة المحمّدية لعبد المجيد سماوي الجلوب ، فاطمة بضعة المصطفى لحيدر الشديدي ، فاطمة الحوراء الإنسية لجاسم هاشم العبادي (حصل على الجائزة الثالثة) ، فاطمة الزهراء أُمّ أبيها لفاضل الحسيني الميلاني ، فاطمة الزهراء شهاب النبوّة الثاقب لحسن عيسى الحكيم ، فاطمة الزهراء نداء الملايين لمحمّد تقي الخراساني ، فخر النساء فاطمة لخليل رشيد .

وقد فاز كتاب «فاطمة الزهراء . . وتر في غمد» للأُستاذ سليمان كتّاني بالجائزة الأُولى من بين هذه الكتب المقدّمة . (أعلام النساء لدختيل : ١٦٨، مجلّة تراثنا ١٤ : ٦٣ و٧٣ و٧٥ و٧٩ و٨٢ و٨٤ و٨٦ـ ٨٨ و٩٠) .

وقد تبرّع بالجوائز الوجيه السيّد حسين الصرّاف. (أعلام النساء لدختيل : ١٥٩).

(٢) السيّد حسين بن محمّد تقي بن حسن بن إبراهيم آل بحر العلوم : أحد الأعلام . ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٤٨ هـ ، وتربّى تربية فضل وأدب وأخلاق ، وتلقّى العلوم على يد جملة من الأفذاذ ، كالسيّد حسن البجنوردي ، والشيخ باقر الزنجاني ، والسيّد أبي القاسم الخوئي ، والسيّد محسن الحكيم . وهو عالم ممتاز وأديب كبير وشاعر فطحل ذو شخصية محبّبة للجميع . من مؤلّفاته : شرح تبصرة العلّامة ، تقريرات بحوث السيّد الخوئي والسيّد محمّد تقي بحر العلوم ، تعليقة على شرح التجريد ، أدب الطفّ ، جعفر الطيّار ، وله مسرحية شعرية تحت عنوان «رياض وجميلة» . (الفوائد الرجالية ١ : ١٧٠ـ ١٧٢) .

«فاطمة الزهراء . . وتر في غمد»

إنّ امرأةً كفاطمة : رهيفة الحسّ ، ذكيّة المعدن ، كبيرة القلب ، نيّرة اللبّ ، حريّ أن يكتب فيها إبرازاً لمثال ، وتجسيداً لقدوة . . إنّ المجتمعات العربية في حاجة لبناء الأُسرة الفاضلة ، تدعيماً لكيان اجتماعي ناضج ، يكون امتداداً صحيحاً لتأريخها الماضي المجيد .

بين يديكم هذا القصد منّي ، فإنّ يكن التوفيق فلكم منّي الشكر على إتاحة الفرصة ، ولفاطمة الزهراء فضل جلوة الخاطر .

المؤلّف : سليمان كتّاني

بسكنتا[1]

(١) بسكنتا : إحدى قرى لبنان المعروفة ، كانت مسقط رأس بعض الأعلام ، كبطرس حبيقة الأسقف ، والشاعر رشيد أيوب ، والمحامي اللغوي نجيب خلف . (الأعلام للزركلي ٢ : ٥٩ و ٣ : ٢٢ و ٨ : ١١) .

إهداء

إلى كلّ امرأة تفتش :
عن مرود[1] . .
عن قارورة طيب . .
عن ريشة خضاب . .
أُقدّم فاطمة الزهراء

(١) المِروَد : المِيل . (صحاح اللغة ٢ : ٤٧٩) .

إلى القارئ

لا! لست أكتب سيرةً ، حسبي من السيرة مضض[1] الشواهد والأسانيد! حسبي منها حلقات لا تجد لحمتها إلّا في «عن» ، حرف له أبرز شهرة بين حروف الجرّ[2]! وحسبي منها سرد كأنّه ناجذ[3] جرذ في جدار!

ولا أذكر أنّي قرأت سيرة إلّا انزلقت عينيّ عن كلّ «عن» فيها ، لتستقرّ على ما يبرز بعد آخر كلّ «عن» ، ولا تتبعت أيّ سردٍ من سرودها إلّا الذي تتقعّر حروفه برأي أو تهتزّ بأثير .

لهذا سوف أكتب في فاطمة الزهراء متنكّراً قدر الإمكان لحرف الجرّ هذا ، وسأكون متنكّراً للسرد أيضاً ، فالريشة التي في أنملي ليس عليها أن تكون مختبراً يحلّل نسبة الحديد والكبريت[4] في ساق زهرةٍ ، أكثر ممّا لها

---

(١) المضض : الألم . (القاموس المحيط ٢ : ٣٥٧) .

(٢) لحرف الجرّ (عن) أربعة معانٍ ، أحدها : المجاوزة ، نحو : «سرت عن البلد» ، والثاني : البعدية ، نحو ﴿طبقاً عن طبقٍ﴾ ، أي : حالاً بعد حالٍ ، والثالث : الاستعلاء ، كقوله تعالى : ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ ، أي : على نفسه ، والرابع : الأجليه ، نحو ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ ، أي : لأجله . (أوضح المسالك ٢ : ٩٠ ـ ٩١) .

(٣) الناجذ : السنّ بين الأنياب والأضراس . (العين للفراهيدي ٦ : ٩٥) .

(٤) الحديد : عنصر فلزّي مغناطيسي فضّي البياض قابل للتطريق والسحب ، يعدّ من أكثر العناصر وفرة وأوسعها استخداماً ، وهو يشكّل ٥٪ من قشرة الأرض ، وينصهر في درجة ١٥٣٥° مئوية ، ونقطة غليانه هي ٣٠٠٠° مئوية . (موسوعة المورد ٥ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧) .

أمّا الكبريت فهو : عنصر لافلزّي عرفه الإنسان منذ القدم ، والنقي منه مادّة صلبة صفراء هشّة لا طعم

←

أن ترسم اللون فيها وتهتزّ من فوح العبير .

إنّ فاطمة الزهراء هي أجلُّ من أن تشير إليها الأسانيد ، وأكرم من أن تدلّ عليها السرود ، يكفيها إطاراً كونها ابنة محمّد ، وزوجة علي ، وأُمّ الحسن والحسين ، وسيّدة نساء العالمين .

← لها ولا رائحة ، ولا يذوب في الماء ، وله ولمركّباته استخدامات كثيرة ، حيث يدخل في صناعة الأسمدة والفولاذ والنفط والأصباغ والورق ومبيدات الحشرات وعيدان الثقاب . (المصدر السابق ٩ : ١٣٦) .

إلى فاطمة

إيه فاطمة !

يا ثغراً تحلّى بالعفاف فطاب رضا به[١] ، ويا عنقاً تجمّل بالمكرمات فذكا إهابه[٢] .

لقد عبق خط وصلك ببنت عمران ، يا ابنة المصطفى .

فتلك مريم ما فرشت الأرض إلّا من نتف الزنابق[٣] ، وأنت النفحة الزهراء ، ما نفت الطيب إلّا من مناهل الكوثر .

والخطّ خطّ الطهر والعفاف ، ما زنّر[٤] الأرض إلّا خفّف إرهاقها ، ولا عانق الأجيال إلّا لوّن آفاقها .

والأرض ـ لولا هذا الأثير يغمرها ـ تأجن[٥] ، والزمن ـ لولا هذا العبير يرشفه ـ يأسن . يا بتول ، يا أُمّ أبيك . .

لقد كانت النبوّة طفلك البكر : داعبتيه بيد ، قبّلتيه بفم ، عانقتيه بعين ،

---

(١) الرُضاب : الريق ، أو : الريق المرشوف ، أو ما تحبّب وانتشر من البزاق . (تاج العروس ٢ : ٤٩٩) .

(٢) الإهاب : كلّ جلد ، وقال قوم : هو الجلد قبل أن يدبغ . (مجمل اللغة : ٦٠) .

(٣) الزنبقة أو زنبقة الوادي : زهرة حدائق فوّاحة الرائحة ، لكلّ زهرة من أزهارها شكل جرس صغير ، وله لون أبيض تتدلّى في مجموعات على ساق رقيقة . وهي نبات معمّر ، يزهر بصورة طبيعية في نهاية الربيع ، وتصنع من زهوره الكولونيا . (الموسوعة العربية العالمية ١١ : ٦١١) .

(٤) زنر الإناء : ملأه ، وتزنّر الشيء : دقّ ، والزنانير : الحصن الصغار . (لسان العرب ٢ : ١٦٩٨).

(٥) أجن الماء : تغيّر غير أنّه شروب ، وأسِن : إذا لم يشربه أحد لشدّة نتنه . (تهذيب اللغة ١١ : ١٣٨) .

رافقتيه بقلب ، حضنتيه بروح ، ضممتيه بشوق . . فأشعلت بين حناياك أشواق السماء ، والتهبت في محجريك أثقال المعاني .

لقد ذاب التراب في المصهر ، يا ابنة الجنّة . .

هكذا ـ يا ابنة أبيك ـ أصحبت الوصيّة . . يا طيب الأُمومة ، يا منتهى العفّ ، يا طهارة المردن[١] ، يا نحيلة!

أيّ فتى هو فتاك؟! ما اندغمت في حرابه إلّا كما ينغم النور في كأس شفيف . .

يا عناق الحبّ ، يا وصلة العمر ، يا امتزاج المسك بالعنبر ، يا اعتصار الشقوق من قلب العفر[٢] ، يا أُمّ ريحانتين جسّدا أشواق النبوّة .

يا لبنة البقيع . .

يا كبرياء النفس في عنفوان الجفر . .

أيّة دمعة ليس لها أن تحرق مقلتيك ، وأنت فوق ضريح ثوى فيه مخمل الكفّ ، وحنوة القلب ، ورنوة العين ، وهلّة الجبين ، ودفقة المبسم، وهالة كالديمة[٣] موصولة العبق[٤] بغار حراء ومسحة كالنور فيها كلّ العزاء . .

وذاب حبر الوصية يا أنوق . .

وبقيت على الخطّ الكريم ، يا عديلة مريم . .

---

(١) المردن : المِغزل الذي يغزل به الرَدَن ، وه و ـ أي : الردن ـ : الغزل الذي يُفتل إلى قُدّام . (جمهرة اللغة ٢ : ٦٤٠) .

(٢) العَفَر : التراب ، أو : أوّل سقية سُقِيها الزرع ، والعُفْر من الظباء : التي يعلو بياضها حمرة ، قصار الأعناف . . (صحاح اللغة ٢ : ٧٥١ و ٧٥٢) .

(٣) الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (القاموس المحيط ٤ : ١١٥) .

(٤) العبق في الأصل : لزوم الشي الشيء ، ومن ذلك قولهم : عبق الطيب به ، إذا لصق ولازم . (معجم مقاييس اللغة ٤ : ٢١٢) .

يا قيثارة النبي . .
يا ثورة اللحد . .
ويا وَتَراً في غِمد .

تكوين الإطار

عناصر البحث

* نبذة
* تاريخ ـ اجتماع (ما قبل الإسلام)
* الشرارة الأُولىٰ (خديجة)
* الأمين محمّد ـ القافلة ـ البعث ـ أحداث
* الجبهة الجانبية ـ بيت عليّ
* الجبهة المعارضة ـ السقيفة
* فدك
* خاتمة البحث

نبذة

كيف يفيد الحديث عن فاطمة الزهراء إن لم يلجأ إلى نبذة تأريخيّة اجتماعية ، لا تطال فقط الفسحة التي امتدّت بين ساعة أبصرت فيها النور وساعة انطفأت فيها من عينيها لمعة الحياة ، بل وتمتدّ بشمولها إلى تأريخ الجزيرة قبل مولدها وتتجاوز اليوم الذي غيّبها في ضريح حتّى الساعة الحاضرة؟!

ليس الشمول في البحث على هذا الطراز شرطاً من شروط كتابة كلّ سيرة ، فهنالك من تكتب فيه السيرة محصورة في فسحة عمره ، وقد تحصر في فاصل معيّن من هذه الفسحة ، كان فيها بروز صاحب السيرة بشكل فذّ ، حقّق لفت النظر إليه وجدارة الاهتمام به . وهنالك من لا تكتب السيرة فيه إلّا في إطار مشدود بماضيه وحاضره وما يأتي بعده من زمن . تلك هي عبقريّة الأفراد يربطون حياتهم بحبال التأريخ ليغيّروا وجه التاريخ .

وفاطمة الزهراء إن لم تكن من أولئك الأفذاذ ، فهي على الأقلّ ابنة نبي هزّ ، ليس تأريخ الجزيرة وحسب ، بل جذور الفكر في الإنسان ، وقفز به فوق الأجيال . وهي زوجة رجل ، هو الآخر قطب من أقطاب الفكر ، وخطّ من خطوط الأصالة ، وركن من أركان الحقّ ، وامتداد لأعظم عبقري جدل النور في قرآن .

وليس ذلك ليكفي ، فهي انجذاب بين قطبين ، عبّت من الأوّل كما عبّت من الثاني ، فإذا نهجها في الحياة امتداد لنهج مرسوم .

وكان لها من كرم الخالق جمال ، هو انعكاس لكلّ ما فيها من عقل وطيبة وصفاء ، ولكلّ ما فيها من جاذبيّة وإيحاء ، فاستأثرت بحبّ أعظم أبٍ وحبّ أعظم قطب ، فانحصرت فيها ذريّة أبيها ، لتكون ذخيرة يتوارثها كلّ جيل عن جيل .

ذلك كان جوّها ، عاشت فيه ، وشعّت عليه ، وامتدّت به ، وعبّرت عنه فكراً وإنتاجاً .

لقد غدت خطّاً في الرسالة التي انطلقت ثورة ، وأصبحت هي من لونها ، وستتبرّك به الأجيال ، حتّى إذا قامت فيما بعد دولة في مصر أخذت من اسمها ما تيمّت به . فالدولة الفاطمية[١] ، والجامع الأزهر[٢] ، يمنّ بها وفيض تبرّك . ولن ينسى الإسلام ـ خاصّة في شيعته ـ أنّها كانت أعزّ من أحبّ النبي ، وأنّها أُمّ لأشرف نسب . لذلك دخلت التأريخ ، ولن تكون لها سيرة بغير استدراج صفحات التأريخ .

---

(١) الدولة الفاطمية : دولة شيعية إسماعيلية ، نشأت في المغرب على أكتاف المغاربة من بربر كتامة وصنهاجة سنة ٢٩٧ هـ ، ثمّ انتقلت إلى مصر سنة ٣٥٨ هـ ، واستطاعت أن تمدّ نفوذها إلى معظم بلاد الشرق العربي ، إلى أن سقطت أخيراً على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ في عهد العاضد الخليفة الفاطمي الرابع عشر .

وللاطّلاع على تاريخها وعقائد الفاطميّين ودورهم الحضاري راجع : موسوعة الحضارة العربية ٦ : ٤٧ ـ ١٧١ ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ١٦ : ٢٦٢ ـ ٣٦٣ .

(٢) الجامع الأزهر : أهمّ الصروح العلمية الإسلامية في مصر وأقدمها ، أنشأه جوهر الصقلي قائد جيوش المعزّ لدين الله الفاطمي سنة ٣٥٩ هـ ، واستغرق إنشاؤه عامين ونيّف ، وكان يتألّف في البداية من ثلاثة إيوانات حول الصحن ، ثمّ أخذت الزيادات تترى ، وكان أهمّها ما تمّ في العصر المملوكي ، ثمّ أبدى العثمانيّون بالأزهر اهتماماً بالغاً ، وغدا لرجالاته دور قيادي في الدولة . (مفردات من الحضارة الإسلامية : ١٢٥ ـ ١٢٦) .

تاريخ ـ اجتماع

ما قبل الإسلام

إنّ البيئة التي ولدت فيها فاطمة لم تكن تحترم المرأة ، فتأريخ الجاهلية ينبو فيه وَأْدُ البنات ، وما ذلك إلّا لهزال الرابطة الاجتماعية التي تكون قوّتها غير مظهر من مظاهر العمران والازدهار الاقتصادي ، وهذا ماكان يفتقر إليه مجتمع الجزيرة . فالأرض التي فتحت على أبعاد شاسعة كان يخنقها الشحّ ويضنيها القحط ، فكان مجتمعاً مشروراً هنا وهناك ، قبائل قبائل ، لا يضبطها نظام اقتصادي مدروس ، ولا توجيه فكري موحّد ، فاعتمدت على الغزو والاختباء في طيّات الفيافي[1] أكثر ممّاكان عليها أن تعتمد التنظيم في توجيه اقتصادها مستوحية العقل والعلم . وكان لها في الجوار ما يوفّر لها الاقتباس ، فهنالك ما بين النهرين وعلى طول الخط المؤدّي إلى الشام والأردن وسواحل البحر الأبيض كانت تعتزّ مدنيّات مجتمعات قويّة وناهضة في اعتمادها على نفسها واستنبات الخير من أراضيها وتنظيم تيّاراتها الفكريّة ومعاولها الاقتصاديّة .

ولقد انفتح منذ القديم هذا الجوّ من الجوار أمام هجرات قويّة ومتعدّدة من الجزيرة ، لم تجن الجزيرة منه إلّا قليلاً ، واستمرّت تصدّرها هجراته ، ولبث من بقي فيها على الاستمرار في الأنماط المألوفة ، يمارس بعض الزراعات

---

(١) الفيفى : المفازة التي لا ماء فيها . (مجمل اللغة : ٥٥٧) .

الخفيفة ، ويجمع بعض العطور والأطياب في تجاراته المعتادة التي كان يجهّز لها بعض القوافل الموسميّة .

وكانت الهجرات تنهب من رجال الجزيرة دون نسائهم ، وكان الغزو أيضاً يقلّل من هذا العدد ، فظهر الاختلال في هذا المجتمع بالعدد النسبي بين الرجل والمرأة ، بحيث اختلّ تكوين الخليّة الاجتماعية التي لا تجد قوامها إلّا في الجنسين المترافقين المتلاحمين ، فكان الوأد خَلَلاً من الخلول التي ما عدّلت خللاً ، حتّى عطّلت قيمة فكريّة اجتماعيّة ، كان في فقدانها ذيّاك الانحطاط .

ولقد شمل الانحطاط جميع مرافق الحياة : زراعيّة ، اقتصاديّة ، فكريّة . . فلم تنشأ أيّة زراعة متطوّرة ، ولم يتبدّل سير القوافل ، ولم يتغيّر نمط التجارة ، وبقي النزوح عينه النزوح ، والغزو ذاته الغزو ، وبقيت الكعبة نفسها الكعبة ، تتربّع في زواياها حجارات منحوتة بغير هندسة ، وبقي الخلاف في تحديدها إيّاها الخلاف : أهي نصب ، أم أنّها أوثان؟ وبقيت رابعة الأثافي[1] وحدها رابعة الأثافي أمام كلّ خيمة مهجورة أو وتد منسي .

كلّ ذلك قد كان وما لبث مستمرّاً ، حتّى جاءت على الخطّ قافلة الأمين محمّد ﷺ ، فتوقّف التأريخ بالقافلة ليجعلها حدّاً فاصلاً بين عصرين : عصر الجاهليّة ، وعصر صدر الإسلام .

---

(١) الأثفية: حجارة تُنصب عليها القدور . (العين للفراهيدي ٨ ٢٤٥) .

الشرارة الأُولى (خديجة)

إنّ القافلة التي اعترضت طريق القوافل هي قافلة خديجة ، ما سارت إلّا لتتوقّف ، وما توقّفت إلّا لتنطلق ، لقد تغيّر فيها مركز القيادة .

وخديجة بنت خويلد ، هي الشرارة الأُولى في الثورة الاجتماعية التي قلبت الأوضاع ونقضت القديم .

لقد تلقّطت بيديها بزمامين ، بيمناها زمام ، وبيسراها زمام ، بهذين الزمامين توقّفت قافلتها على المفرق الفاصل بين عصرين .

لقد ذاقت مرارة الوأد ، ثمّ تذوّقت نشوة الانبعاث ، إنّها خديجة بنت خويلد ، من أشراف قريش ، ومن أصبح نسائهم وجهاً وأنبههنّ ذكاءً .

كانت صغيرة لما سيقت إلى زواج باكر من عتيق بن عابد ، وسريعاً ما بتر الموت هذا الزواج ، فسيقت إلى زواج آخر تقدّم به منها شريف يدعى أبا هالة ، ورزقت منه ولداً أسمته هنداً ، ثمّ عاد الموت ، ففصم عروة الزواج الثاني[1] ، فتوقّفت خديجة عن تلبية العروض في تكرار زواجها ، وكان

---

(١) اختلفت المصادر في اسم والد عتيق ، هل هو عائذ بن عبد الله المخزومي ، أو عابد بن عبدالله ، وكذلك في اسم أبي هالة ، هل هو النبّاش بن زرارة ، أو عكسه ، أو هند ، أو مالك ، وهل هو صحابي ، أو لا ، وهل تزوّجته السيّدة خديجة قبل عتيق ، أو تزوّجت عتيقاً قبله . وكذلك اختلفت في أنّ هنداً الذي ولدته خديجة ، هل هو ابن هذا الزوج ، أو ذاك ، فإن كان ابن عتيق فهو أُنثى ، وإلّا فهو ذكر ، وهل أنّه قتل مع الإمام عليّ عليه السلام في حرب الجمل ، أو أنّه مات بالطاعون في البصرة .

وعلى كلٍّ فراجع : السيرة النبوية لابن هشام ٤ : ٢٩٣ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ : ١٤ ـ ١٥ و

←

رفضها بمثابة ضربة أدّتها عن نفسها ، تعويضاً عن زواجين سابقين لم يكن لها فيهما كبرى شأن .

ومرّت الأيّام ، وفي يمناها زمام جاهلي ، تقوده على طريق مكّة ـ الشام ، بقافلة جاهليّة المولد ، جاهليّة الرحل ، جاهلية العير[١] ، جنت منها أرباحاً طائلة لم تكن غير جاهليّة .

وبدأ لها في الطريق جبين وضّاح ، فيه من من العزم أكثر ممّا فيه من الفتوّة ، وفيه من الجدّ أبلغ ممّا فيه من السكون ، فرأت تلاميحه ، واستبشرت بفكّ رموزه ، وأقدمت دون أن يثنيها قنوط الأربعين[٢] ، واستسلمت دون أن يؤثّر عليها أيّ اعتبار .

وكان لها ما أرادت ، فتزوّجت بملء حرّيتها ، مكسورة من حولها طوق التقاليد .

← ٢١٦ ، تاريخ الطبري ٢ : ٤١١ ، الذرّية الطاهرة : ٤٣ ـ ٤٤ ، تاريخ مدينة دمشق ٣ : ١٦٨ و ١٧٢و ١٧٤ و ١٧٩ و ١٩١ و ١٩٣ ، أُسد الغابة ٤ : ٣٢١ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٢٥ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ١١١ ، البداية والنهاية ٥ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ، السيرة النبوية للحلبي ١ : ٢٠٤ ، الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم ﷺ ٢ : ١٢ ، موسوعة التاريخ الإسلامي ١ : ٣٣٧ .

كما أنّه قد ذكر بعض المحقّقين : أنّ الرسول ﷺ تزوّج خديجة وكانت عذراء ، وقد ذكرت عدّة أدلّة على ذلك ، فمن أحبّ الاطّلاع فليراجع الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم ﷺ ٢ : ١٢٢ ـ ١٢٦ .

(١) العَير : الحمار . (جمهرة اللغة ٢ : ٧٧٧) .

(٢) هذا هو أحد الأقوال في عمر السيّدة خديجة حين تزوّجت من الرسول ﷺ ، وعتبر عنه ابن العماد بالصحيح ، وتوجد أرقام أُخرى في عمرها ذكرت في كتب السير والتاريخ ، وذلك كـ (٢٥) سنة ، وصحّحه البيهقي ، و(٢٨) سنة ، ورجّحه الكثيرون كما ذكره ابن العماد الحنبلي ، و(٣٠) سنة ، و (٣٥) سنة ، و(٤٤) سنة و(٤٥) سنة ، و (٤٦) سنة .

انظر : أنساب الأشراف ١ : ١٠٨ ، دلائل النبوّة للبيهقي ٢ : ٧١ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢ : ٣٤٢ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ١١١ ، السيرة النبويّة لابن كثير ١ : ٢٦٥ ، السيرة النبويّة للحلبي ١ : ٢٠٤ ، شذرات الذهب ١ : ١٤ ، بحار الأنوار ١٦ : ١٢ ، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٠٣ .

وكان الزوج الجديد الفتى الأمين محمّد بن عبدالله بن عبد المطّلب الهاشمي ﷺ فتىً في الخامسة والعشرين ، لم تدخل حتّى الساعة امرأة في حياته ، وسيم الوجه ، هادىء الطبع ، بريء القسمات ، عميق السكون ، وكان من بيت كريم له في مجتمعه مكانة الزعامة .

وكان الزواج مثار همس ولمز . . امرأة تخطب ، ورجل يتلقّى العرض! ما هكذا توزن كرامات البيوت وأمجاد بني هاشم . . أُثنى ليست لها الحرّية بنسبة ما لها الوأد . . بريق الذهب يعمي البصيرة ! . . إلى آخر ما توصّلت إليه معازيف تلك البيئة المشدودة بحبال التقاليد .

الأمين محمّد ـ القافلة ـ البعث ـ أحداث

ولقد كان بين خديجة ومحمّد قبل الزواج ما يشبه الاختبار والامتحان ، فهي قبل أن تقدم جعلته في قافلتها ، ثمّ انتظرت الوقت يبلور حسّها ويجيب عن حدسها .

وماكان الوقت إلّا ليفرض الحقيقة ، فالأمين محمّد الذي مشى تلك الفيافي ذهاباً وإيّاباً عدّة مرّات ، هو الذي خبر القبائل مشرورة على طول وعرض هذه الرقعة الغرقة تحت الخيام والأطناب[1] ، تزحف مع كلّ غبار ، وتنساق وراء كلّ سرب ، شاهد حجارة الأثافي ونصب الأصنام . .

لقد مرّ على «يعبوب»[2] جديلة طي ، وتوقّف طويلاً أمام «ذي الشرى»[3] صنم «دوس» ، ولم يتردّد عن زيارة «ذي الخلصة»[4] ، كعبة

---

(١) الطُّنُب : حبل طويل تشدّ به سرادق البيت . (تاج العروس ٣ : ٢٧٨) .

(٢) اليعبوب : صنم لجديلة ، وهم بطن من القحطانية ، وجديلة أُمّهم عرفوا بها ، وهي جديلة بنت سبيع بن عمرو الحمرية . وقد كان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، فتبدّلوا اليعبوب بعده . قال عُبيد بن الأبرص :

وتبدّلوا اليعبوب بعد إلههم صنماً فقرّوا يا جديل وأعذبوا

انظر : ديوان عبيد بن الأبرص : ٢٩ ، العين للفراهيدي ٢ : ١٠٢ ، موسوعة الحضارة العربية ١ : ٣٢٠ ، موسوعة قبائل العرب ١ : ٢٢٤ .

(٣) ذو الشرى : اسم صنم لدوس ، حمى به صحابه وشل من ماء يهبط من جبل ، وقد ذُكر هذا الصنم في قصّة إسلام الطفيل بن عمرو .

قارن : السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٣٨٤ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ : ٢٣٩ ، تاريخ مدينة

←

اليمامة ، ليكون فيما بعد للنبيّ حديث فيه : «لا تقوم الساعة حتّى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخَلَصَة»[٥] إشارة إلى ردّة العرب إلى جاهليتهم بعد إسلامهم .

وسيشهد حريق «ذي الكفين»[٦] صنم بني لهب ، يحرقه الطفيل بن

ـ دمشق ٢٥ : ١٤ ، معجم البلدان ٣ : ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٧٤ .

وفي خزانة الأدب (٧ : ٢١٥) : أنّ هذا الصنم إنّما كان لبني الحارث بن يشكر من الأزد ، أمّا اسم صنم دوس فكان يقال له : ذو الكُفين .

(٤) ذو الخَلَصَة : صنم كانت تتعبّد به خثعم وبجيلة ودوس وأزد السراة ومن قاربهم من بطون هوازن ومن كان من العرب بتبالة ، ومن سدنته بنو أُمامة من باهلة . أمّا صفته فهو مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وموضعه بتبالة بين مكّة واليمن ، وله بيت يحجّ إليه . وكانوا يلبسونه القلائد ، ويهدون إليه الشعير والحنطة ، ويذبحون له ، ويعلّقون عليه بيض النعام . وكان صنماً أُنثى ، هدمه جرير بن عبدالله البجلي قبل وفاة النبيّ ﷺ بشهرين .

وقيل : ذو الخلصة : الكعبة اليمانية التي كانت باليمن . وفيه نظر ؛ لأنّ (ذو) لا يضاف إلاّ إلى أسماء الأجناس .

لاحظ : الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١ : ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، الجرح والتعديل ٣ : ١٩١ ، الفائق في غريب الحديث ١ : ٣٣٧ ، النهاية الأثيرية ١ : ٧٤ و٥١٨ ، معجم البلدان ٢ : ٣٨٣ ، تاريخ الإسلام للذهبي ١٠ : ٥٥٧ ، خزانة الأدب ١ : ١٩٤ و٧ : ٢١٤ و ١١ : ٤٦٠ ، بحار الأنوار ٢١ : ٣٧٤ .

(٥) انظر : المصنّف للصنعاني ١١ : ٣٧٩ ، صحيح البخاري ٦ : ٢٦٠٤ ، كتاب السنّة لابن أبي عاصم : ٣٨ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٦ : ٢٠٥ ، الدرّ المنثور ٦ : ٥٤ ، كنز العمّال ١٤ : ٢٠٧ .

ومعنى الحديث : لا تقوم الساعة حتّى ترجع دوس عن الإسلام ، فتطوف نساؤهم بصنم ذي الخلصة وتضطرب أعجازهنّ وترتجّ في طوافهنّ بالصنم ، كما كنّ يفعلن في الجاهلية .

(٦) ذو الكَفين : اسم صنم كان لدوس ، ثمّ لمنهب بن دوس ، وقيل : كان لخزاعة أيضاً . حرقه الطفيل بن عمرو الدوسي بأمر من النبيّ ﷺ .

راجع : المغازي للواقدي ٢ : ٨٧ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٥٥ ، الاستيعاب ٢ : ٣١٤ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٥ : ١٢ و١٧ ، معجم البلدان ٤ : ٤٧١ ـ ٤٧٢ ، فتح الباري ٨ : ٨٣ ، خزانة الأدب ٧ : ٢١٤ ، الأعلام للزركلي ٢ : ٣٠٤ و ٣ : ٥ .

عمرو[١] وهو يقول :

يـا ذا الكـفين لستُ مـن عـبادكا
مـــيلادنا أكـــثر مـــن مـيلادكا
إنّـي حشـوت النـار في فـؤادكـا

وســيناجي «وذّاً»[٢] مـليّاً ـ وهــو واقــف أمــام تــمثاله المتقلّد السيف والمتنكّب القوس ـ ولسوف يهيب بخالد بن الوليد[٣] أن يكسره بعد غزوة

---

(١) الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم الدوسي : أحد الصحابة ، كان يلقّب بذي النور. أسلم و صدّق النبي ﷺ بمكّة ، ثمّ رجع إلى بلاده من أرض دوس ، فلم يزل مقيماً بها حتّى هاجر رسول الله ﷺ ، ثمّ قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر بمن تبعه من قومه ، فلم يزل مقيماً مع رسول الله ﷺ حتّى قبض رسول الله ﷺ ، ثم كان مع المسلمين ، إلى أن قتل باليمامة شهيداً. وقيل : قتل في زمن عمر في معركة اليرموك. وهو الذي حرّق صنم دوس المعروف بذي الكفين وقال شعراً في ذلك.

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ : ٢٣٧ ـ ٢٤٠ ، تاريخ خليفة : ٥٨ ، طبقات خليفة : ٤٣ ، الجرح والتعديل ٤ : ٤٨٩ ، الاستيعاب ٢ : ٣١١ ـ ٣١٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٥ : ٧ ـ ٢٠ ، أُسد الغابة ٣ : ٥٤ ـ ٥٥ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٣٤٤ ـ ٣٤٧ ، العبر ١ : ١٤ ، الإصابة ٣ : ٢٨٦ ـ ٢٨٨) .

(٢) وذ : اسم صنم مذكّر كان لقوم نوح عليه السلام ، ولقريش أيضاً صنم بهذا الاسم ، وهو المقصود هنا ، ويقولون : أدّ ، أيضاً . وكان لبني وبرة بدومة الجندل ، وكانت سدانته لبني الفرافصة ابن الأحوص الكلبيين . قالوا في وصفه : هو تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال ، قد دثّر عليه (نُقش عليه) حلّتان ، متزر بأحدهما ومرتد بأُخرى ، عليه سيف ، قد تنكّب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ، وجعبة فيها نبل . هدمه خالد بن الوليد بعد غزوة تبوك .

لاحظ : تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٥٥ ، تلبيس إبليس : ٥٢ ـ ٥٣ ، معجم البلدان ٥ : ٣٦٦ ـ ٣٦٨ ، تاج العروس ٩ : ٢٨١ ـ ٢٨٢ ، الأعلام للزركلي ٣ : ٢٥٤ و ٥ : ٢٣٠ .

(٣) أبو سليمان ـ وقيل : أبو الوليد ـ خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي القرشي : أحد مشاهير الصحابة . أُمّه لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية أُخت ميمونة زوج النبي ﷺ . اختلف في وقت إسلامه وهجرته ، فقيل : هاجر بعد الحديبية ، وقيل : بل كان إسلامه بين الحديبية وخيبر ، وقيل : بل كان إسلامه سنة خمس بعد فراغ رسول الله ﷺ من بني قريظة ،

←

تبوك[١] .

أجل ، لقد مرّ الأمين محمّد على هذه القبائل ، وشاهد بعينه كلّ ما يغرقون فيه من فقر وسخافات ، ولقد غاص معهم بكلّ تأمّلاته غوص المدرك المتألّم لنفس إنسان تنحطّ عن درجة العقل المتبصّر المتروّي .

ولقد زار الشام وكلّ الدائرة المطلّة على المتوسّط ، وخَبُر فيها الحياة الاجتماعية : ماديّة ، اقتصاديّة ، وفكريّة روحيّة ، وتأمّل واستوعب ، وقارن . . لقد خبر بنفسه كلّ مجالات الجزيرة من أوّل تأريخ هجراتها وتدفّقاتها إلى الساعة ، ولقد أدرك أنّ هذه الأرض التي قدمه عليها الآن قد أصبحت امتداد مجهود شعب قد اختلط حابله بنابلها[٢] ، فامتزج بقرابة تاريخية وبتوحيد مصير .

ورجع بالقافلة على تصاميم ومناهج ، ستبلور قريباً في غار حراء ، رجع

ـ وقيل : بل في أوّل سنة ثمانٍ مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة . بعثه الرسول ﷺ إلى بعض الغزوات ، كالغميصاء ، فقتل أُناساً بغير حقّ ، فوداهم رسول الله ﷺ وقال : «اللهمّ ، إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد» . أمّره أبوبكر على الجيوش ، ففتح اليمامة وغيرها ، كدمشق . قصّة قتله مالك بن نويرة وغصب زوجته معروفة في كتب التواريخ والسير . توفّي سنة ٢٢ هـ أو ٢١ هـ ، بحمص ، وقيل : بل بالمدينة ، وأوصىٰ إلى عمر بن الخطّاب .

(المعارف : ٢٦٧ ، مشاهير علماء الأمصار : ٣١ ، الاستيعاب ٢ : ١١ ـ ١٤ ، أُسد الغابة ٢ : ٩٣ ـ ٩٦ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٧٢ ـ ١٧٤ ، دول الإسلام ١ : ١٦ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٣٦٦ ـ ٣٨٤ ، العقد الثمين ٤ : ٢٥ ـ ٣١ ، تهذيب التهذيب ٣ : ١٠٧ ، شذرات الذهب ١ : ٣٢) .

(١) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، كانت فيه آخر غزوات النبي ﷺ سنة تسع للهجرة . (معجم البلدان ٢ : ١٤ ـ ١٥) .

(٢) قال ابن منظور : «التبس الحابل بالنابل : الحابل : سدّىٰ الثوب ، والنابل : اللُّحمة . يقال ذلك في الاختلاط» . (لسان العرب ١ : ٧٣٠) . أو يقال : الحابل : صاحب الحبالة (الشبكة) ، والنابل صاحب النبل .

وهو مثل . راجع : الأمثال لابن سلّام : ٢٩٨ ، الأمثال العربية : ٢٧ .

ليعرض على خديجة ربح القافلة ، بعد أن كان أميناً على ما حمل .

ولكنّ خديجة التي كانت ترمي بتجارتها كما ترمي الحصاة في بئر سبر الغور ، ما همّها ربح جزيل أكثر ما همّها الاكتشاف الخطير ، فلقد تكشّف لها أنّها أمام رجل لا تنمّ قسماته عن نبل أكثر ممّا تطلّ على شفق ، وإنّ قافلتها التي جعلته فيها ستذوب حتماً فيها .

وفعلاً لم يتمّ الزواج ، إلّا لتصبح خديجة وما تملك ، ليس بين يدي الأمين محمّد ، بل ليصبح الاثنان وما يملكان وقفاً على تأدية رسالة ستعرّيهما من كلّ أثقال التراب ، ليعيشا رغماً عن ثروة ثقيلة في فقر وحرمان ؛ تحقيقاً لفكرة وتدعيماً لإيمان .

وانطوت العائلة على نفسها تنجب ، تنجب الأولاد ؛ تقديساً لمشيئة الحياة ، وتنجب الفكر ؛ تأليها للسموّ . . هنا في الزوايا درجت فاطمة بعد أُمّ كلثوم ، ورقيّة بعد زينب[١] . . وهناك في غار حراء كانت تُفتح الكوّة[٢] يطلّ منها وجه جبريل . . وهنالك قبائل لاتزال تزحف نحو ديدنها ، تأكل الغبار ، وتشرب السراب ، وتنام في الأغلال . .

ما توقّفت قافلة خديجة ، ولكنّها تتريّث . إنّها تستعدّ لإنشاء قافلة كبيرة ، وهي الآن تجلو صوت حاديها ؛ ليغمر الجزيرة وآفاق الجزيرة . لقد تألّفت النواة ، يكفي القافلة الجديدة فتىً يتهيّأ ، ليس عمره سبعاً ، بل سبعة دهور!

لقد ربّي علي في هذا الكنف ، أخذه محمّد ـ يا لسخاء الأقدار! ـ ليخفّف

---

(١) يوجد كلام عند بعض المحقّقين في كون أُمّ كلثوم ورقية وزينب بناتاً للرسول ﷺ أو هنّ ربائبه ، فمن أراد فليراجعه في الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم ﷺ ٢ : ١٢٥ ـ ١٣١ .

(٢) الكوّة : الخرق في الجدار ، يدخل منه الهواء والضوء . (المعجم الوسيط ٢ : ٨٠٦) .

العبء عن كاهل عمّه أبي طالب المعيول[١] .

نطحته العبقريّة بقرن، فذرّ بها قرنه ، وامتصّ كلّ ابن عمّه بكلّ صمت وكلّ هدوء ، فإذا هو ظلّ لا يفارق وطيف لا يمارىٰ ، ليصبح فيما بعد سيف الرسالة ودويّها ، لم ينحصر دوره في الفسحة التي عاش فيها ؛ لأنّ النبيّ زوّجه من أعزّ بناته (فاطمة الزهراء) ؛ ليكون له من ذرّيتهما صلب ميراثه وامتداد قيمومته ، على رسالةٍ وجّهها إلى أهل الأرض .

وكان للبعث قذفة ارتجاج في جوّ مكّة ، أوّل ما سمع صداها في الكعبة وأدار تلك الأيّام ، فهبّت ضجّة قلقة تستفسر الخبر : بيت يفتّش عن زعامته ، جنون يتلقّط بالغيب ليعكسه حقيقة . .

وكانت خديجة في صمتها تصغي ، إنّها بداية الساعة في تحقيق المبهم المرتقب ، إنّها الوصول إلى الكنز الذي ذابت في التفتيش عنه ثروة .

وخفق قلب فاطمة وهي ترنو بوسع حدقتيها إلى الساحة التي يلعب فيها أبوها الكبير ورفيقها البطل لعبة الخلود ، وانطوت على نفسها توسع ضلوعها

---

(١) قصّة ذلك : أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وقحط ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال الرسول ﷺ للعبّاس عمّه ـ وكان من أيسر بني هاشم ـ : «يا عبّاس ، إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق حتّىٰ نخفّف عنه من عياله» ، فأخذ رسول الله ﷺ علياً ، فضمّه إليه ، وأخذ العبّاس جعفراً ، فضمّه إليه . أمّا عقيل فقد قال أبو طالب للنبيّ والعبّاس : «اتركوا لي عقيلاً ، وخذا من شئتما» محبّةً له . فلم يزل علياً عليه السلام مع النبي ﷺ حتّىٰ بعثه الله نبيّاً ، فاتّبعه وصدّقه ، ولم يزل جعفر مع العبّاس حتّى أسلم واستغنى عنه .

راجع : المستدرك للحاكم ٣ : ٦٦٧ ، دلائل النبوّة للبيهقي ٢ : ١٦٢ ، روضة الواعظين : ٨٦ ، الكشف والبيان ٥ : ٨٤ ، إعلام الورى ١ : ١٠٥ ـ ١٠٦ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٢٠٥ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٣٧ ، الطرائف : ١٧ ـ ١٨ ، كشف الغمّة ١ : ٧٩ ، ذخائر العقبىٰ : ٥٨ ، السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٢٩ ، بحار الأنوار ١٨ : ٢٠٨ ـ ٢٠٩ و ٣٥ : ٢٤ .

أمام قلبها الخافق .

وكانت ردّة الفعل ، ولّدها ذعر السدانة ، وتجاوبت بها زعامات القبائل : لقد هبّ أبو سفيان[١] يضغط على ابن ربيعة[٢] ليردّ زينب إلى البيت الذي خرجت منه[٣] ، وهكذا فعلت أُمّ جميل[٤] إذ سلخت رقية عن عتبة و أُمّ كلثوم عن عتيبة لتعودا من زواجهما إلى أبيهما[٥] إرهاقاً له ، وعرقلة لمسيره .

---

(١) أبو سفيان صخر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس القرشي : رأس قريش وقائدهم يوم أُحد والخندق . أُمّه صفية بنت حَزَن بن بُجير . ولد قبل عام الفيل بعشر سنين ، وكان صديقاً للعبّاس ونديماً له في الجاهلية ، وكان حينها يبيع الزيت والأدم . أسلم مكرهاً يوم الفتح ، وكان من دُهاة العرب ومن المؤلّفة قلوبهم ، وما مات حتّى رأى ولديه يزيد ثمّ معاوية أميرين على دمشق ، وكان محبّاً للرئاسة والذكر . توفّي بالمدينة سنة ٣١هـ ، وقيل غير ذلك في سنة وفاته ، وله نحو من تسعين سنة ، وصلّى عليه ابنه معاوية ، وقيل : بل صلّى عليه عثمان بن عفّان بموضع الجنائز ، ودفن بالبقيع . له مواقف كثيرة غير محمودة عدّها عليه كثير من المؤرّخين .
(طبقات خليفة : ٣٩ ، الجرح والتعديل ٤ : ٤٢٦ ، الأغاني ٦ : ٣٢١ ـ ٣٣٤ ، رجال الطوسي : ٤١ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١ : ٢٢٤ ، أُسد الغابة ٣ : ١٢ ـ ١٣ و ٥ : ٢١٦ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٦٩ و ١٧٠ و ٢٤٤ ، العبر ١ : ٣١ ، مرآة الجنان ١ : ٧٢ ، تقريب التهذيب ١ : ٤٣٥ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٣٦١ ـ ٣٦٢ ، شذرات الذهب ١ : ٣٧) .

(٢) ابن ربيعة هذا هو : أبو العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبدمناف . كان من رجال قريش المعدودين مالاً وأمانةً وتجارةً ، وأُمّه هالة بنت خويلد أُخت خديجة . تزوّج بزينب قبل الإسلام ، فلمّا جاء الإسلام وأسلمت بقي هو على شركه . وقصّة أسره وفكّه ومسير زينب إلى المدينة ولحوق أبي العاص بها وإسلامه طويت عنها كشحاً رعايةً للاختصار .

(٣) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ : ٣٠ وما بعدها ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٩٤ ، أعيان الشيعة ١ : ٢٢٣ و ٧ : ١٤١ .

(٤) أُمّ جميل هذه هي : ابنة حرب بن أُميّة ، أُخت أبي سفيان ، وزوجة أبي لهب عمّ النبيّ ﷺ المعروفة بحمّالة الحطب ، كانت أُمّاً لعتبة وعتيبة ومعتّب .

(٥) راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ : ٣٦ و ٣٧ ، المعارف : ١٢٥ ، الذرّية الطاهرة : ٧٨ و ٨٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٣ : ١٢٧ ، أُسد الغابة ٥ : ٦١٢ ، مجمع الزوائد ٦ : ١٨ ، تعجيل المنفعة : ٢٨١ ، أعيان الشيعة ١ : ٢٢٣ .

لقد رمت أُمّ لهب كلّ حقدها في وجهه : بذاءةً من لسانها ، وشوكاً على دربه[١] .

هذا هو الطراز الذي قوبلت به الرسالة ساعة بثّها ، وبمثل هذه الخشونة فوجِئ الوجه الوليد على كفّ القابلة . .

ولكنّها رسالة ، تحمل الحقّ ، تحمل النور ، تحمل الصواب ، تحمل الشوق ، تحمل الإيمان .

لهذا تحمّلت التشريد في هجرتين تمكّنت فيهما من لمّ شعثها ، وكان لها على يد الصحابة والأنصار شدّة أزر ولفّة ساعد وشملة ميعاد .

وعادت تزيح أشواك «حمّالة الحطب» من دربها ، وكان من ألمع أبطالها الفتى عليّ وسيفه ذو الفقار .

وتخطّت الدرب ، عبر «بدر» ، عبر «أُحد» ، عبر «خيبر» ، عبر «مكّة وهواذن» ، وعبر «الكعبة» ، تتحطّم فيها ضلوع «هُبل»[٢] !

واشرأبت نحو الجوار قافلة ، تحمل الأجيال على كفّها ، مآذن وفتوحات .

لقد رسمت للجزيرة خطوط عريضة تعلّمها كيف تأكل ، وكيف تشرب ،

---

(١) انظر : النكت والعيون ٦ : ٣٦٧ ، التبيان ١٠ : ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ، الكشّاف ٤ : ٨١٥ ، تفسير أبي الفتوح الرازي ٢٠ : ٤٥٨ ، زاد المسير ٨ : ٣٢٧ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ : ٢٤٠ ، النزاع والتخاصم : ٥٧ ، نظم الدرر ٨ : ٥٧٤ ، الصافي ٧ : ٥٦٧ .

(٢) هُبل : أعظم صنم لقريش في جوف الكعبة ، كان على صورة إنسان ، مصنوع من عقيق أحمر ، مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش كذلك ، فجعلوا له يداً من الذهب . وكان أوّل من نصبه خُزَيمة بن مدركة ، وكان يقال له : هبل خزيمة . وكان قدّامه سبعة أقداح مكتوب في أوّلها : صريح ، والآخر : مُلصَق . فإذا شكّوا في مولود أهدوا له هدية ، ثمّ ضربوا القِداح ، فإن خرج (صريح) ألحقوه ، وإن كان (ملصقاً) دفعوه . وإذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفراً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده ، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه . (خزانة الأدب ٧ : ٢١٢ ، موسوعة الحضارة العربية ١ : ٣١٣ ـ ٣١٦) .

وكيف تنام . . تعلّمها كيف تضع من الغبار زهرة ، وكيف تستقطر من السراب قطرة ندى . .

تعلّمها كيف تصنع في محجر «هبل» عيناً لها بؤبؤ[١] وريشة هدب . .

تعلّمها كيف تسير إلى الشام ونحو الكوفة على حدو الشوق والحنين ، يحمله حبّ الإنسان للإنسان ، وتحمله قيمة الفكر مبسوطة على سجف[٢] من الوجدان .

والتفّ رجال الصحابة ورجال الأنصار حول النبيّ العظيم ؛ لينفض عن أكتافهم غبار الماضي ، ويثبّت أقدامهم فوق المفارق . ولقد شدّهم بالعقل ، واستوثقهم بالمعرفة ، وربطهم بالأرض بالرباط الذي يليق بالأحرار ، وأفهمهم كيف يعيشون ، وكيف يتزوّجون ، وكيف ينسلون ، وكيف يحيون ، وكيف يموتون ، وكيف يحشرون .

ولقد عاش معهم مجتسداً في نفسه القدوة والمثال قولاً وعملاً ، فكراً وإيحاءً . . قال لهم : «كلوا» ، وأكل ـ «اشربوا» ، وشرب ـ «عفّوا» ، وعفّ ـ «تزوّجوا» وتزوّج ـ «أحبّوا» ، وأحبّ ـ «اعدلوا» ، وعدل ـ «لا تغترّوا بالدنيا» ، ولم يغترّ ـ «أنفقوا في سبيل الله» ، وأنفق .

لهذا لم يترك الدنيا إلّا بعد أن خلع عليها رداءه ، ولم ينزل في قبره إلّا بعد أن سحب منه كساءه .

ومات النبيّ وهو تلك الكثافة .

---

(١) البؤبؤ : حَدَقَة العين ، وهو ثقب مستدير يقع في وسط قزحية العين ، يتحكّم بكمية الضوء الداخل لها . (موسوعة أُكسفورد العربية ٧ : ١٧٢) .

(٢) السجف: الستر . (القاموس المحيط ٣: ١٥٥) .

الجهة الجانبيّة ـ بيت عليّ

على الجبهة الجانبيّة من هذا العرض نتتبع نشوء بيت آخر ، وهو فرع من البيت النبويّ ، وهو انطباق عليه ؛ لأنّه انبثاق منه ، إنّه بيت عليّ . .

رجل كان ربيب النبيّ ، من صلبه ، ابن عمّه ، من معدنه : عقلاً وانجذاباً ، ميلاً واستجابةً ، عملاً وتطبيقاً .

أمِنَ المصادفات أم أنّه تدبير يجهل العقل كنهه كان وجود هذين القطبين في وقت واحد ، ليكون للجزيرة العربية انبلاج[1] شفق وتحقيق تأريخ؟

ولقد تساندا متكاملين في كلّ إنجاز ، ولقد أدرك النبيّ ذلك تمام الإدراك ، فألقى على ابن عمّه أثقال القضية ، وناطه بكلّ جليل .

أمّا فاطمة الزهراء فهي التي خصّ بها عليّ ،كأنّها التدليل على عمق محبّة النبيّ له وإيثاره إيّاه ؛ لأنّ محبّة الأب لابنته فاطمة كانت فريدة من نوعها ، كانت فوق درجة الوله[2] .

ولقد تضافرت العوامل لتزيد هذا الوله تمتيناً وتعميقاً ، فالنبيّ الحريص على رسالته لم يجد لها من صلبه من يتقيّم عليها بالرعاية من بعده ، ويمتدّ بها من مصير إلى مصير . أمّا عليّ القريب القريب وفاطمة النجيبة ، فهما

---

(١) الانبلاج : الإضاءة . (جمهرة اللغة ١ : ٢٦٩) .

(٢) الوله : التحيّر من شدّة الوجد . (صحاح اللغة ٦ : ٢٢٥٦) .

اللذان يكون منهما حبل الرباط .

واشتدّ الوثاق . . إنّ الحسن والحسين أرهقا شعور النبيّ ، حتّى أصبح يشمّ فيهما عبق الجنّة .

تلك هي العترة الطاهرة ، عائلة النبيّ ، أهل الكساء ، المطهّرون من كلّ رجس ، ذرّيته ، أوصياؤه ، أحبّ الناس إليه ، الخطّ الطويل من بعده .

وتشابهت فيما بين هذين البيتين مسالك التأسيس ، وتساوت سبل المناهج ، فكان هذا طباق ذاك .

يكفي الطباق تجانساً فهم الرسالة والتعبير عنها قولاً وعملاً ، فلقد عاش عليّ حياته ممدود الكفّ ممدود الساعد بذلاً ودفاعاً ، ولقد توفّرت له الدنيا فلم يأخذها إلّا بتقتير ، وحياً من عقيدة وتجسيداً لقدوة .

ومثلما ألقت خديجة بين يدي محمّد ثروة ، لا لتؤكل ، بل لتصرف على قضيّة ، هكذا توصّلت إليه ـ عبر زوجته فاطمة ـ نحلة «فدك» ، لا لتؤكل أيضاً ، بل لتصرف على ذات القضيّة . . ومثلما كان ما بين يدي النبيّ مفتاح ثروات الجزيرة ، فلم يقبل إلّا أن يعيش ويموت فقيراً ، هكذا توصّلت إلى عليّ مقاليد الثروات ، ليس من الجزيرة وحسب ، بل حتّى من أطراف إمبراطوريّة طافحة بالذهب ، ولم يقبل إلّا أن يعيش ويموت وهو يخصف نعله[١] ويرقّع مدرعته[٢] ، ومثلما تزوّجت خديجة رجلاً أحبّت فيه طيفاً خلف عينيه ، هكذا تزوّجت فاطمة رجلاً أحبّته طيفاً في عين أبيها .

وعاشت فاطمة تحت ظلّين : ظلّ أبيها ، وظلّ حليلها ، وعانقت

---

(١) خصف النعل : ظاهَرَ بعضها على بعض وخرزها . (تاج العروس ٢٣ : ٢١٢) .

(٢) المِدرَعة : ضرب من الثياب التي تلبس ، ولا تكون إلّا من الصوف . (تهذيب اللغة ٢ : ١١٩) .

ريحانتين : الحسن ، والحسين ، ذرية لرجلين : نبيّ ، وإمام ، وعانقت رهافتين : رهافة الجسم ، ورهافة الحسّ ، واختبرت عصرين : عصر الجاهليّة ، وعصر الانبعاث ، وأحبّت أباها حبّين : حبّ النبوّة ، وحبّ الأُمومة ، وصهرت بصهرين : مصهر الفقدان ، ومصهر الحرمان .

بهذه الازدواجية عاشت فاطمة الزهراء ، صابرةً على مكاره الدهر ؛ اقتناعاً منها بصدق قضية يلزمها الكثير من التجسيد وحسن الإخراج . ولقد جسّدتها ـ كما جسّدها أبوها وزوجها ـ بحبل طويل من الرضوخ والقناعة والاستسلام ، وبسلسلة طويلة من العزم والإقدام والبطولات ، وبالكثير من التضحيات .

ولقد رافق ذلك كلّه شموخ هو انعكاس تلك المتانة في النفس تتصلّب بالشعور بالحقّ وصدق الوجدان . قضية «فدك» إرثها من أبيها ، بلورت فيها هذا الشموخ بكلّ أنواعه ، وما كانت مطالبتها بالإرث إلّا تعبيراً عن هذا الشموخ في تفلّته من عنصر الخوف والاستكانة .

ولقد قطعت شوطاً بعيداً بهذا الدفاع عن حقّها ، لا لتصرفه على نفسها وبيتها لذّة وترفيهاً ، لقد كان يأنف خطّها هذا الترفيه ، بل لتصرفه في سبيل تمديد القضيّة ، قضيّتها وقضيّة زوجها وأبيها .

وما كان أبو بكر الصدّيق ومن خلفه عمر بن الخطّاب إلّا ليجابها امرأة تحرمها الجاهليّة حقّ البروز ، وحقّ التمرّس بكلّ أنواع البطولات ، لولا أنّ الإسلام أمّنَ لها هذه الجلوة ، ولولا أنّ في فاطمة الزهراء عنفوان النفس التي تتخطّى الحواجز .

لمجابهة هذا الخطّ كشفت فاطمة عن معصمها النحيل ، لتخوض معركة جانبيّة عميقة الأسباب بعيدة الجذور ، ولم تدع الألم من فقدان أبيها يؤخّرها

عن متابعة الصراع ، فكان لصوتها في الحلبة رنّة ناقوس الدير يهيب بالرهبان إلى الصلاة!

وهوت فاطمة في الحلبة بعد موت أبيها بقليل ، وبقي بعدها الخطّ يسجّل وَقع خطاها ، وبقيت رنّة الناقوس على نعومتها تتهادى من ظلّ إلى ظلّ ، لتنفجر جهاداً في باحة قصر الخليفة الثالث عثمان بن عفّان زوج أُختيها رقيّة وأُمّ كلثوم في زواجهما المكرّر[١] ، ولتنعقد ولاء لصاحب الحقّ الأصيل بالخلافة الإمام عليّ .

واستمرّت ساحة الإسلام لا يسلس لجوادها قياد ، يرخيه يمين فيجذبه يسار ، ثمّ يرخيه يسار فيجذبه يمين ، وراح الجواد من خبب[٢] إلى خبل ، ومن خبل إلى خبب ، بين تيّارين في مقوده متنافري الجذب متعاكسي الاتّجاه : مفرق إلى الكوفة ، ومفرق إلى الشام ، معركة في البصرة ، ورواغ في صفّين ، أذان في يثرب ، ومنجنيق على الكعبة ، مدّ في الأندلس ، وجزر في الحجاز ، انطلاق في مصر ، وانقباض في بغداد ، ودماء أغزر من دجلة ، وحوار في غبار ، ودموع من سراب!

تلك نتيجة لن يتبرّأ منها اجتماع السقيفة ، ولن تحرم من نعمتها قضية «فدك» .

ليت الرسول يوحي : فتهدم سقيفة بني ساعدة[٣] ، ويُفنى كلّ يهودي في «فدك»!

---

(١) قد شُكّك في هذه المسألة ، ومن أراد الاستزادة والاطّلاع فليلاحظ الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم ﷺ ٢ : ١٢٦ ـ ١٢٩ .

(٢) الخَبَب : ضرب من العَدْو ، وهو خطو فسيح دون العَنَق . (المصباح المنير : ١٦٢) .

(٣) سقيفة بني ساعدة : هي السقيفة التي تمّ فيها انتصاب أبي بكر خليفةً للمسلمين .

في الجهة المعارضة ـ السقيفة

أمّا الجهة المعارضة فهي القديم الذي رضخ للواقع . وما كان الرضوخ يوماً غير الاستسلام ، ولو أنّ الاستسلام يشبه الإقناع لانتهت المشاكل .

والقضية التي جدّت في إقدامها واكتسحت بصدق عزمها وجدت في المساندين لها هذين النوعين من المناصرين : فئة المقتنعين ، وفئة المستسلمين . ولايزال الخطّ حتّى اليوم مقسوماً بين مقتنعين ومستسلمين . . الفئة الأُولى هي : التي ترى الحقّ من أجل الحقّ ، أمّا الفئة الثانية فهي : التي لا ترى إليه إلّا من خلال المصالح الذاتيّة .

ولقد مشى بالإسلام هذان النوعان من التأييد جنباً إلى جنب ، وكانا قوّة فعلت فعلها الجبّار . .كانا جنباً إلى جنب تحت عين القائد الأوّل صاحب الفكرة وربّ القضية ، ولكنّه لمّا ذهب رجع المستسلم يفتّش عن مغانمه ، وبقي المقتنع يتابع تثبيت مغانم الحقّ .

وفئة المستسلمين هي الفئة الأشدّ تنبّهاً لكلّ اقتناص ؛ لأنّها تكون دائماً في مركز التربّص . وهكذا حصل ، فما كاد النبيّ يغمض عينيه حتّى كان أبو سفيان ومن لفّ لفّه من الذين ناهضوا الدعوة في مستهلّها ثمّ إليها استسلموا ، قد انتهوا من تدبير الخطّة التي ما أُحكمت إلّا لتجرّ إليهم وحدهم كلّ المكاسب . .

ذلك كان اجتماع السقيفة (سقيفة بني ساعدة) ، خرج منها المجتمعون بإسناد الخلافة إلى أبي بكر الصدّيق[١] .

إنّه صحابيّ له وزن بين اللفيف الذي عاون في انطلاق الرسالة ، ولقد ربطه النبيّ إليه برباط قُربىٰ ، بزواج . . إنّ عائشة أُمّ المؤمنين الثانية هي بنت الصدّيق ، وهي التي ستقود المعارضة فيما بعد ضدّ ابن عمّ النبيّ وضدّ ابنته فاطمة ، سيكون لها شأن في معركة الجمل .

في الساعة التي مات فيها النبيّ ظهرت على المسرح الألوان ، وانقسمت الساحة إلى جبهتين : جبهة البيت وأهله ومعه الأنصار ، وجبهة قسم من الصحابة ذوي الزعامات القديمة التقليدية في تاريخ الجزيرة .

وسيتو إلى على الحكم ثلاثة من أُولئك الصحابيّين قبل أن ينقلب الحكم إلى مصلحة الإمام عليّ ، وستكون قضية «فدك» مفتاحاً من مفاتيح ذلك الانقلاب .

هكذا تبادل الخطّان المنقسمان دروبهما ، فالذي كان في البدء مستسلماً أصبح في مركز الأصالة ، والذي كان مقتنعاً أضحى من المستسلمين الراضخين ، وبالتالي من فئة المترتبصين .

إنّ الثورة على عثمان بن عفّان كانت نتيجة ذلك الاختلاس والانحراف عن الواقع .

ولكنّ الخلاف أصبح من نوع التجاذب الذي لا ينتهي . . لقد لبسته

---

(١) لمعرفة ملابسات قضية السقيفة راجع : تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٣ ـ ١٢٦ ، الفتوح لابن أعثم ١ : ٢ ـ ٥ ، الشافي في الإمامة ٣ : ١٨٤ ـ ٢٠٠ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٢٢٠ ـ ٢٢٥ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ : ٥ ـ ١٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٤٨٦ ـ ٤٩٦ ، معالم المدرستين ١ : ٥٥٠ ـ ٥٧٥ .

الأجيال سجالاً[١] .

أمّا الجزيرة التي انطلقت الرسالة منها ولها ، فإنّها تمزّقت بين خطّين : واحد ربطها بالشام ، وآخر ربطها بالكوفة ، ثمّ تشعّبت خطوط الضغط عليها ، لتعود فتغرق من جديد تحت ضباب ، ولا فرق إن كان من سراب أم كان من غبار!

(١) السجال : المداولة يوماً على هؤلاء وآخر على أُولئك ، والمساجلة : المفاخرة . (لسان العرب ٢ : ١٧٦٢) .

فدك

في مستهلّ هذه الضجّة التي زعق غبارها برزت قضية «فدك» عاقدة على خصرها زناد حدّاد ، ولقدكان واضحاً خطّ الضغط فيها .

إنّها نحلة من الرسول لابنته فاطمة ، وهي مقاطعة يهودية صالح النبيّ أهلوها بتقديمها إليه هبة دون حرب ، فحقّت له صرفاً[1] لم يشرع في سبيلها حسام ، ولم تُرقْ عليها نقطة دم ، لذلك ليس للجهاد حقّ عليها .

قد يخلق الاجتهاد ما يشاء ، فلنقل مثلاً : لو لم يكن الجهاد هو الذي أكسب النبيّ منعة الجانب ، لماكانت فدك لتصل إليه .

إنّ في ذلك وجهة منطق ، ولكنّ الرسول هو الذي يوصي ، الرسول عينه الذي أغنى الجزيرة بألف فدك . .لماذا لا يحقّ له أن يوصي ؟ !أن يورّث ؟ !

ثمّ إنّ الذي أوصى بفدك ليس النبيّ ، إنّه الأب الذي أنجب . . والوارث من جهة تالية ليس نبيّاً ، إنّها الابنة التي لها لحم ودم ، إنّها التي لا تعيش إلّا بالخبز والماء ، وبكلّ حقّها من الإرث . .

ثمّ هنالك الاحترام ، احترام ذلك الذي كان الملهم المعمّ . . ذلك الذي قسم الشرع ، وظهّر الحقوق والموجبات ، ووضع الحدود والمقاييس ، لقد

---

(١) قارن : تاريخ خليفة : ٣٨ ، تاريخ المدينة لابن شبّة ١ : ١٩٣ ـ ١٩٥ ، المعارف : ١٦٢ و١٩٥ ، التنبيه والإشراف : ٢٢٤ ، إعلام الورى ١ : ٢٠٩ ، معجم البلدان ٤ : ٢٣٨ .

كانت كلّ كلمة من كلماته شرعاً . . لماذا لا يحقّ له أن يوصي ؟!

«كلّ ما يرضي فاطمة يرضيني ، كلّ ما يغضب فاطمة يغضبني»[١] .

لماذا الشهود على الوصيّة في «فدك» ؟ أليست هذه أيضاً وصيّة تثبت كلّ وصيّة ؟ وهذه لم يلزمها أيّ شاهد . .

فلنعد إلى الخطّ التاريخي :

وصلت «فدك» إلى يد النبيّ ، فأوصى بها إلى فاطمة .

مات النبيّ ، فتوصّلت الخلافة إلى أبي بكر الصدّيق في اجتماع السقيفة ، كان غائباً عن هذا الاجتماع عليّ بن أبي طالب ؛ لانهما كه بتجهيز جنازة الرسول .

ماكاد أهل البيت يفيقون من لملمة المصاب حتّى تكشّفت أمام عيونهم خيوط المؤامرة .

مهما يكن من أمر ، تمّ السكوت في قضية الخلافة ؛ درءً لأيّ تفسّخ يضرّ بالوحدة .

قطعت فاطمة عن ميراثها ، فأقدمت تطالب به في مجلس الخليفة بالذات

---

(١) ورد الحديث بألفاظ مختلفة مع الاتّفاق على قوله ﷺ في بداية الحديث : «فاطمة بضعة منّي» ، حيث ورد ما بعد ذلك بلفظ : «يغضبها ما يغضبني» ، وبلفظ : «يرضيني ما أرضاها ، ويسخطني ما أسخطها» ، وبلفظ : «يريبني ما أرابها» ، وبلفظ : «يقبضني ما يقبضها ، ويبسطني ما أبسطها» ، وبلفظ : «يؤذيني ما يؤذيها» ، وبلفظ : «ومن سرّها فقد سرّني ، ومن ساءها فقد ساءني» ، وبغير ذلك من الألفاظ والتعابير .

راجع على سبيل المثال : المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٢٥٦ ، المعجم الكبير للطبراني ٢٢ : ٣٣٧ ، شرح الأخبار ٣ : ٣١ و٥٩ و ٦١ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٣٨٠ ، الطرائف : ٢٦٢ ، الصراط المستقيم ١ : ١٧٠ و٣ : ١٢ ، الجامع الصغير ٢ : ٧٤ ، عوالي اللئالي ٤ : ٩٣ ، كنز العمّال ١٢ : ١٠٦ ـ ١٠٨ و ١١١ ـ ١١٢ ، إرواء الغليل ٨ : ٢٩٣ و ٢٩٤ .

بخطاب مفنّد .

طلب إليها تقديم الشهود بالوصيّة ، قدّمت شهودها ، لم تنجح[١] ، دعمت حقّها بالإرث بكلّ آية وردت في الكتاب الشريف[٢] في ما يختص بيحيى بن زكريا ، إذ يقول : ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[٣] ، أو : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾[٤] ، أو : ﴿وأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[٥] ، أو : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[٦] .

كلّ ذلك لم يلق أُذناً صاغية!

وراحت فاطمة تتربص ، تحرّك المشاعر ، وهي النحيلة الناعمة . . لا أشكّ في أنّها أصبحت وتراً في غمد .

---

(١) قارن : الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ٣١٥ ـ ٣١٦ ، تاريخ المدينة لابن شبّة ١ : ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، بلاغات النساء : ٢٣ ـ ٣٣ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٦٩ ، رسالة حول حديث : «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث» للمفيد : ١٩ ـ ٢٤ ، الشافي في الإمامة ٤ : ٧١ ـ ١٢٠ .

(٢) انظر : بلاغات النساء : ٢٩ ، دلائل الإمامة : ٣٥ ، الاحتجاج ١ : ١٠٢ ، الدرّ النظيم : ٤٧٣ ، كشف الغمّة ٢ : ١١٤ .

(٣) سورة مريم ١٩ : ٥ ـ ٦ .

(٤) سورة النحل ٢٧ : ١٦ .

(٥) سورة الأنفال ٨ : ٧٥ .

(٦) سورة النساء ٤ : ١١ .

ختام البحث

تلك إلمامة لم يتوفّر لها إلّا الخطّ العريض ، أكان تاريخاً واجتماعاً ، أم رأياً وتعليلاً .

في مثل هذا الجوّ عاشت فاطمة الزهراء ، متأثّرةً بمحيطها وبهالة وضّاءة غمر كيانها بها أبوها النبيّ وزوجها الإمام .

بهذه الهالة اتّشحت ، فأنجبت الحسن والحسين ، وبهذه الهالة قادت معركة أبيها وزوجها في الساحة التي برز لها فيها أبو بكر الصدّيق ومن خلفه عمر بن الخطّاب ، وبفعل هذه الهالة انفرط الكرسي من تحت عثمان بن عفّان .

وبقيت لها هذه الهالة في أقصى المغرب وأقصى المشرق ، ليكون لها دولة في مصر فيما بعد بثلاثة قرون ، تتيمّن باسمها وتتبرّك .

وهي عينها اليوم ـ تلك الهالة ـ توحي لها الإجلال والمحبّة والتقدير ، فهي سيّدة كلّ عبق من كلّ طهر وكلّ عفاف .

خطوط

عناصر البحث

* على طريق القوافل
* أكبر القوافل
* قافلة محمّد
* خديجة
* البيت الجديد
* القافلة الجديدة
* دثار
* بعد الإنذار
* الرفيق
* رهافة
* المرأة

على طريق القوافل

والعروبة لم أخطُ خطوة في صحاريها ، ولكنّي اجتزتها بخيالي ، فانفتحت أمام خاطري حرّاتها[1] المحروقة بسيول اللهب ، ونفوذها المطروحة الأمداء ، كأنّها أشباح الليالي الطوال ، أو صرصرات العصور المجدبة .

ولقد انفتحت كلّ آفاقها على أبعاد مترامية الأطرف مغلّفة الرمول بنشفة موحشة .

كان ذلك منذ البعيد البعيد ، منذ انفكّ عن خصرها طوق الجليد ، فانفتلت تغمرها الشموس بدوافق السعير ، لتنشر فوق صحاريها أمواج السراب ، كأنّما هي كلّ أحلامها في استدرار الديم .

هكذا ربيّ الإنسان فيها عدّاء ، وسع فيافيها ، من حرّة إلى حرّة ، ومن فدفد[2] إلى فدفد ، قفزاً على قفز ، طول الليالي . .

لقد ملّ السراب معيناً من ملافح النار ، وبئر زمزم لم تتّسع ريّاً فوّهتها لأكثر من هاجر وابنها إسماعيل ، لذلك امتطى العتمات في كلّ عشيّة وراء كلّ قطرة ندى أو مخايلة سحاب .

---

(١) الحَرّة : أرض ذات حجارة نخرة سوداء ، كأنّها أُحرقت بالنار . (صحاح اللغة ٢ : ٦٢٦) .

(٢) الفَدْفَد : الأرض الغليظة المرتفعة ذات الحصى البرّاق. (جمرة اللغة ١ : ١٩٣ و٢ : ١١٦٣).

وكان العراق مهبطاً من أغضّ المهابط . . وإذا القيلولة تنبسط من شطآن دجلة والفرات لتتوسد كلّ خميلة[١] تزهو على ضفاف (بردى)[٢] ، أو تحت بواسق[٣] (الغوطة)[٤] .

وامتدّ حبل القوافل من مكّة إلى الكوفة ، إلى شنعار الشام والتيماء[٥] ، والبتراء[٦] ، تخرج بالعبير ، وتعود بالحرير . .

واعتاد ابن الجزيرة شدّ الرواحل ، وراح ينقل أسفاره صوب تلك المراوح .

لم يكن ذلك سأماً أكثر ممّا كان توقاً إلى غصن ظليل ونسمة عليلة ، أكثر ممّا كان حاجة لتطوير حياة جمّدتها الأغبرة في نطاق الرتابة ، وهصرتها الشموس تحت الخيام والأطناب ، ولفحها الشحّ برجفان السراب وقحط السحب .

والحقّ يقال : إنّ كلّ تطوير في حياة الجزيرة كان بفضل هذا الجوار الذي انفتح أمام زحوفات القوافل في مدود ارتحالية ومداورات تجارية طويلة الأمد ، سبقت زحوفات الفرس واليونان والرومان ، قبل أن يكون

---

(١) الخميلة : الشجر الكثير الملتفّ ، أو الموضع الكثير الشجر . (تهذيب اللغة ٧ : ١٨٢) .

(٢) بَرَدىٰ : أعظم أنهر دمشق ، مخرجه من قرية يقال لها : قَنوَا . (معجم البلدان ١ : ٣٧٨) .

(٣) الباسق : المرتفع والطويل الأغصان . (لسان العرب ١ : ٢٩٤) .

(٤) المقصود بها غوطة دمشق المعروفة .

(٥) تيماء : بُليدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرىٰ على طريق حاجّ الشام ودمشق . (معجم البلدان ٢ : ٦٧) .

(٦) البتراء : مدينة قديمة واقعة في الجزء الجنوبي ـ الغربي من المملكة الأردنية ، وهي عاصمة مملكة الأنباط (Nabataeans) العربية القديمة ، احتلّها الأمبراطور تراجان عام ١٠٦م ، ثمّ فقدت أهميتها بعد تحوّل طرق التجارة عنها ، وأصبحت أثراً بعد عين . (موسوعة المورد ٨ : ١٧) .

لهؤلاء كيانات اجتماعية منظّمة الروافد ، قبل أن يهبط إبراهيم بهاجر وإسماعيل ، ويتركهما فوق الأرض التي انفجرت منها بئر زمزم .

كان ذلك مع أُولى لمحات التاريخ ، مع أوّل إنسان تمكّن من خرق الخطّ الرملي الكثيف ، مع تلك العهود الأكّادية[١] ، السومرية[٢] ، الكنعانية[٣] ، العمّورية[٤] .

هكذا كان ابن الجزيرة يفيض في هجراته على ظهر القوافل في موجة إثر موجة نزوحاً ورجوعاً ، مع العرب البائدة[٥] من ملوك حِمْيَر وبني كوش[٦]

---

(١) الأكّاديون: شعب سامي قطن في أواسط بلاد ما بين النهرين (العراق) حوالي الألف الثالث قبل الميلاد ، وانتشرت لغتهم الأكّادية في عهد مؤسس الأُسرة الأكّادية المالكة سرجون الأوّل في رقعة عريضة امتدّت من سواحل البحر الأبيض المتوسّط إلى الخليج . (موسوعة المورد ١ : ٦٥) .

(٢) السومريّون: سكّان منطقة سومر العراقية، وفدوا في أغلب الظنون من تخوم بحر قزوين، وأنشأوا ابتداءً من الألف الرابع قبل الميلاد إحدىٰ أقدم الحضارات البشرية، فقد عنوا بالزراعة وتربية الماشية والصناعة والبناء ، وابتكروا الخطّ المسماري، وأقاموا السدود، ووضعوا تقويماً قمرياً خاصّاً بهم. وقد استمرّت حضارتهم حتّى عام ٢٢٠٠ ق . م . تقريباً، ومدينة أُور (Ur) أشهر مدنهم. (المصدر السابق ٩ : ١٣٨) .

(٣) الكنعانيّون : شعب سامي سكن فلسطين وفينيقيا ابتداءً من العام ٣٠٠٠ ق . م . تقريباً، وقد أنشأوا حضارةً اقتبسها عنهم العبرانيّون في ما بعد، وأقاموا عدداً من المدن المسوّرة . ويذهب بعضهم إلى أنّ الكنعانيّين كانوا أسبق الشعوب إلى استعمال الألفباء . (المصدر السابق ٢ : ١٥٨).

(٤) عمّورة : مدينة قديمة مجاورة للبحر الميّت تقع على مقربة من الطرف الجنوبي منه في الأُردن حالياً . (الموسوعة العربية العالمية ١٢ : ٢١٤).

(٥) العرب البائدة : أُمّة سامية انقرضت في ماضي الزمان ، وهي سبع قبائل علىٰ ما قيل : عاد ، ثمود ، صِحار ، جاسم ، وبار ، طَسْم ، وجَديس . وقد كانت مساكنهم بعمان والبحرين واليمامة . (الموجز في الأدب العربي وتأريخه ١ : ٣٩) .

(٦) كوش: اسم النوبة بلغة الفراعنة ، وهي تقع ما بين أسوان والخرطوم ، وبنو كوش قبائل شبه زنجية كانت تعيش في تلك المنطقة . (الموسوعة العربية العالمية ٢٠ : ٢٢٠ ـ ٢٢٦).

وقوم عاد وقوم ثمود والعمالقة[١] ، ومع العرب العاربة[٢] من بني قحطان وحَضرَموت ، ومع العرب المستعربة[٣] بإبراهيم وإسماعيل وعدنان .

وهكذا رسمت خطوط القوافل على طريق الحجاز وعلى طريق البحر الأحمر وخليج العقبة إلى إيلات[٤] ، ومن هناك إلى صور وصيدا ، وإلى طول الشاطئ الفينيقيّ القديم تحت عين (حيرام)[٥] ملك صور .

وهكذا كان ينتقل من الحجاز واليمن : البخور ، والطيب ، والمرّ[٦] ، والعود ، واللؤلؤ ، وموجات من الإنسان . . ويدخل اليها : الذهب ، والقصدير ، والعاج ، وخشب الصندل ، والأبنوس ، وريش النعام ، ويدخل معها الفكر ملقّحاً بثقافات تعبت في نحتها أجيال الإنسان ومدنيات مجتمعاته .

ففي الجوار كانت مدنيّات السومريين والأكّاديين يتوارثها :

---

(١) العمالقة : بنو عملاق بن لاوذ بن إرم ، كانوا ببابل ، فغلبتهم عليها الفرس ، فانتقلوا إلى تهامة بالحجاز ، ثمّ تفرّقوا في الحجاز والبحرين وعمان والشام . وقد عُدّوا في بعض المصادر من العرب العاربة لا البائدة . لاحظ الأعلام للزركلي ٥ : ٨٨ .

(٢) العرب العاربة : هم عرب الجنوب (اليمن) ، ويُنسبون إلى يعرب بن قحطان . ومن قبائلهم : حِمير ، وكهلان . (موسوعة المورد ١ : ١٣٨ ، الموجز في الأدب العربي وتأريخه ١ : ٣٩).

(٣) العرب المستعربة : هم عرب الشمال ، من نسل عدنان . ومن قبائلهم : نزار ، وربيعة ، ومضر ، وبكر ، وتغلب ، وذبيان ، وقريش . (المصدران السابقان) .

(٤) إيلات : مدينة وميناء في الطرف الشمالي من خليج العقبة على البحر الأحمر . (موسوعة المورد ٤ : ٣٦) .

(٥) حيران أو أحيرام : ملك صور الفينقي (٩٦٩ ـ ٩٣٦ ق . م .) ، حسّن ميناء صور تحسيناً كبيراً ، وجاء في العهد القديم أنّه زوّد النبيّ سليمان بخشب الأرز وبعدد من عبيده لبناء الهيكل في بيت المقدس . (المصدر المتقدّم ٥ : ١٠٩) .

(٦) المرّ: مستحضر طيّب الرائحة مرّ الطعم ، يستخرج من شجرة شائكة من فصيلة البخوريات ، تنمو في الحبشة وجنوبي الجزيرة العربية ، أو هو الحنظل . (المنجد في اللغة: ٧٥٣) .

الآشوريّون[١] ، والبابليّون[٢] ، والكنعانيّون ، والفينيقيّون[٣] ؛ ليعكسوها على قبائل الفرس شرقاً ، وعلى قبائل اليونان والرومان في غربي البحر الأبيض المتوسّط .

واشتركت القوافل في نقل هذه التراثات من قواعدها براً على متون الرواحل ، وبحراً على خشبات السفن .

وامتزجت القبائل المهاجرة من الجزيرة بالعائدة إليها في خطّ تمّ فيه الاختلاط والامتزاج والالتحام ، ممّا أضفى على العروبة إطاراً موحّداً لكلّ هؤلاء الذين اندمجوا في خطٍّ تاريخيّ بعيد الغور ، سحيق المدى ، وثيق التفاعل .

لهذا جاء الفتح في صدر الإسلام ـ تحمله القرابة ـ سهلاً هيّناً ، وحيث كانت القرابة أكثر وفرةً كان القبول بالإسلام أكثر يسراً .

على الخطّ الذي كان يصل مكّة بالشام كانت القافلة الكبيرة تسير ، قافلة خديجة .

---

(١) الآشوريّون : سكّان بلاد آشور العراقية ، كانوا أصحاب حضارة عظيمة ، وقد كتبوا نصوصاً قانونية ، وعملوا في الزراعة والصناعة والعمارة ، واستخدموا الكتابة المسمارية . من أشهر ملوكهم آشور بانيبال . (الموسوعة العربية العالمية ٢ : ٢٣٤ ـ ٢٣٩) .

(٢) البابليّون : شعب سامي أنشأ إمبراطورية عظيمة على ضفاف دجلة والفرات من العام ٢٠٠٠ ق .م . عاصمتهم بابل ، ومن أعظم ملوكهم حمورابي الذي اشتهر بمجموعة القوانين المعروفة باسمه . وقد سقطت بابل سنة ٥٣٩ ق . م . في يد كوروش الثاني ملك الفرس . (موسوعة المورد ٢ : ٩) .

(٣) الفينيقيّون : شعب سامي قديم سكن فينقيا حوالي العام ٣٠٠٠ ق . م . وانصرفوا إلى النشاط التجاري البحري ، فكانت سفنهم تجوب حوض البحر الأبيض المتوسّط حاملةً خشب الأرز والصبغ الأُرجواني والزجاج والمنسوجات النفيسة . وقد أسّسوا عدّة مستعمرات أعظمها قرطاجة ، واستنبطوا الأبجدية الفينقية . (المصدر السابق ٨ : ٢٧) .

أكبر القوافل

وكانت على الخطّ قافلة خديجة . . لم تكن الأُولى بين القوافل ، لا بجودة رحالها ، ولا بانتظام سمتها .

ولطالما نظّم عقدها (ميسرة) [1] ، فعرج بها على يثرب ، ليمسح عن أوراكها أوحال الغبار ، وينفض عن كتفيه وعثاء السفر [2] ، ليعود فيستأنف السير في قلب البوادي على حدوأصمّ ، ناشف الخفّ ، يابس الوتر ، لينكبّ في وادي سرحان [3] ، مستأنساً بنسيمات رطيبة تنزلق إليه على طول هذا الساحل المتاخم للبحر الأحمر ، ليشرف ـ بعد طول عناء ـ على البواسق الغوطيّة والمخامل السندسيّة التي تفترشها بلاد الشام .

أجل ، لم تكن قافلة خديجة القافلة الأُولى بين مكّة والغوطة ، أو بين مكّة والعراق ، فطالما شاهد وادي الرمّة [4] وبريدة نجد خطوط القوافل مناسقة على حدوٍ [5] رتيب ، تساجلته أودية الجزيرة ، واستعذبته آذان

---

(١) ميسرة هذا هو : غلام السيّدة خديجة .

(٢) وعثاء السفر : شدّته .. (مجمل اللغة : ٧٥٦) .

(٣) وادي سرحان : وادٍ يقع شرقي الأُردن .

(٤) وادي الرمّة : وادٍ عظيم يعدّ من أطول الأودية ، يبدأ من خيبر في الشمال الغربي من المدينة المنوّرة ، وينحدر متّجهاً نحو الشرق حتّى يصل إلى منطقة القصيم ، ثمّ ينحدر نحو الشمال الشرقي حتّى يصل إلى جبل سنام جوار شطّ العرب في العراق . وهو وادٍ جاف لا يسيل عادة بكامله إلّا وقت الفيضانات التي لا تحدث إلّا نادراً . (الموسوعة العربية العالمية ٢٧ : ١٠) .

(٥) الحدو والحُداء : الغناء للإبل لحثّها على السير . (المصباح المنير : ١٢٥) .

الإبل .

ولكنّ قافلة خديجة هي القافلة التي ستصبح عين القوافل ، هي التي ستفقه معنى الانفتاح ، هي التي ستنتقل بالاحتكاك من مفهومه التجاري المادّي المحدود إلىٰ انطلاقة الخير الواسع المفتوح ، إلىٰ المدىٰ الرحب ، إلىٰ المدىٰ الأرحب الذي يوسع أجواء الجزيرة .

أجل ، أجواء الجزيرة ، الجزيرة بالذات الواسعة ، المفتوحة ، الهائمة الحدود ، المترامية الأطراف ، من خليج عدن إلىٰ الخليج الفارسي ، إلىٰ خليج العقبة ، من حضرموت[١] ، إلىٰ الأحقاف[٢] ، إلىٰ الربع الخالي[٣] ، الدهماء[٤] ، إلىٰ الحجاز ، إلىٰ تيماء النُفوذ . . مع كلّ ما فيها وما عليها من عشائر وقبائل وأنماط عيش ووراثات تقاليد .

كلّ ذلك الوسع كان أضيق من أن يجمع شعباً ويسبغ عليه لوناً مجتمعياً سمح الإهاب رتيب القيافة .

---

(١) حَضرَ موت : ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر ، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف ، وبها قبر النبي هود عليه السلام ، وبقربها بئر برَهوت . (معجم البلدان ٢ : ٢٧٠) .

(٢) الأحقاف: وادٍ بين عمان وأرض مَهرة ، أو : رمل فيما بين عُمان إلىٰ حضر موت ، أو : رمال مشرفة علىٰ البحر بالشحر من أرض اليمن . والقول الأوّل عن ابن عبّاس ، والثاني قاله ابن إسحاق ، والثالث قتادة ،كانت قبائل عاد تسكنها . (المصدر السابق ١ : ١١٥) .

(٣) الربع الخالي : إحدىٰ صحارىٰ شبه الجزيرة العربية الواقعة في المنطقة الجنوبية للحجاز ، وهي أكبر بحر رملي في العالم ، تمتدّ من المرتفعات الغربية في الغرب حتّىٰ مرتفعات عُمان في الشرق ، ومن هضبة نجد في الشمال إلىٰ مرتفعات حضر موت في الجنوب ، بحيث تبلغ مساحتها ٦٤٠٠٠٠ كم تقريباً . وفيها رمال ثابتة ومتحرّكة ، وهي تزخر بثروات ضخمة من : النفط ، والغاز الطبيعي ، والمعادن المشعّة ، والرمال الزجاجية ، والطاقة الشمسية . (الموسوعة العربية العالمية ١٥ : ٦٠) .

(٤) الدهناء أو الدهماء : صحراء حمراء الرمل في الجزء الشرقي من وسط شبه الجزيرة العربية ، تمتدّ من صحراء النفوذ الكبرىٰ شمالاً إلىٰ الربع الخالي جنوباً في المملكة العربية السعودية . (موسوعة المورد ٣ : ١٤٦) .

وتغيّر لون القافلة ، لقد بقي فيها (ميسرة) ليمشي في عيرها . أمّا الأمين محمّد فلقد حلّ فيها ؛ ليشعل النار في أوتادها ، ليحرق أطنابها على الدروب ، ليذريها رماداً في سماء الجزيرة ، قطرات ندىً فوق أحقافها ونفوذها ودهمائها ، ليصبح صوت (بلال)[1] قرار الحدو بين حداتها .

---

(١) بلال بن رياح الحبشي : مؤذّن الرسول ﷺ ، أُمّه حمامة اختلف في كنيته على ثلاثة أقوال ، أوّلها : إنّها أبو عبد الكريم ، وقيل : أبو عبد الله ، وقيل : أبو عمرو . حدّث عنه : أبو بكر ، وعمر ، وأُسامة بن زيد ، وابن عمر ، وكعب بن عجرة ، والصُنابحي ، وسعيد بن المسيّب ، وابن أبي ليلى ، وأبو عثمان النهدي ، وآخرون . كان رجلاً آدم شديد الأدمة نحيفاً طوالاً أحدب الظهر ، له شعر كثيف ، خفيف العارضين . وكان من الذي عذّبوا في الله ، وقد شهد بدراً نكح هند الخولانية ، ولا عقب له . وبعد وفاة الرسول ﷺ توجّه نحو الشام ، إلى أن قضى هناك بالطاعون سنة ٢٠ هـ ، وقيل : سنة ٢١ هـ وقيل : سنة ١٨ هـ ، ودفن بباب الصغير ، وهو ابن بضع وستّين سنة ، وقيل : بل دفن بباب كيسان ، وقيل : بداريّا ، وقيل : بباب الأربعين .

(التاريخ الكبير ٢ : ١٠٦ ، الجرح والتعديل ٢ : ٣٩٥ ، مشاهير علماء الأمصار : ٥٠ ، حلية الأولياء ١ : ١٤٧ ـ ١٥١ ، رجال الطوسي : ٢٧ ، الاستيعاب ١ : ٢٥٨ ـ ٢٦١ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٣٦ ـ ١٣٧ ، رجال ابن داوود : ٥٨ ، تهذيب الكمال ٤ : ٢٨٨ ـ ٢٩١ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٣٤٧ ـ ٣٦٠ ، العقد الثمين ٣ : ٢٤٤ ـ ٢٤٦ ، جامع الرواة ١ : ١٣١ ، شذرات الذهب ١ : ٣١ ، طرائف المقال ٢ : ١٢٩) .

قافلة محمّد

والتهبت قافلة خديجة بلفتة عين ، بهمسة قلب ، بومضة روح ، بشعاعٍ ما لمس ساكبه حتّىٰ سطع وهجه ، بشعور مالمح حسّه حتّىٰ أجّ[1] سعيره .

وانتدب محمّد لقيادة القافلة . . ما عرّج علىٰ يثرب إلّا ليأخذ حفنة من التربة التي امتصّت رفات أبيه ، هنالك ثوى عبد الله وهو يقود قافلة مكّة صوب المناهل ، ولكنّه مات صدياناً[2] ، وإلىٰ مكّة لم يرجع .

ثمّ مشى محمّد ، وهو يعرف كيف يمشي ، ويمشي معه التوق والإيمان ، واختفى من أمامه السراب في ظلّ غمامة . . لقد امتصّت الحفنة التي في يديه من بقايا أبيه أوهام الرحيل وأعباء الطريق . . لقد أدرك في مثوى أبيه سرّ الشهادة . . لقد تمكّن من هضم العناء في السير الطويل .

إنّ الجزيرة التي مشت ـ منذ آلاف السنين ـ علىٰ درب القوافل لم تجن قطّ ثمرة أتعاب المسير علىٰ حدو الرواحل ، ذهبت في عطش ولم تؤب مرّة علىٰ غير عطش .

أمّا (ميسرة) فسيظلّ في يده مقود عير القافلة ، وسيبقى مشدوهاً بين يدي رجل مشى الخطّ الطويل ولم يتعب ؛ لأنّ (ميسرة) الذي كان يمشي بقدميه وأوصاله هو غير محمّد الذي كان ينتقل بفكره وخياله .

---

(١) أُجّت النار : سُمع صوت لهبها . (تاج العروس ٥ : ٣٩٧) .

(٢) الصديان : العَطِش عطشاً شديداً .(العين للفراهيدي ٧ : ١٤٠) .

وسيعود (ميسرة) إلىٰ مكّة عطشاناً ؛ لأنّ ما دفعه إلىٰ السير من مكّة كان ثقل السراب ، أمّا محمّد فإنّ السراب كان تحت قدميه لمّا مشى ، وسيعود بكلّ غمامة تمحو من جوّ الجزيرة أظلال السراب .

ولقد وجد في جوّ الشام سراباً ، فوق بَرَدَىٰ وفوق شواطئ الأردن لمح السراب . . لقد مات عيسىٰ مخنوقاً فوق صليب[١] من وطأة السراب هذا تنفخ به في الجوّ غطرسة روما . . لقد كانت العبوديّة في الشام ذيّاك السراب . . شهد له بذلك علىٰ طريق الراهب (بحيرا)[٢] .

ورجع محمّد يلقي بين يدي خديجة جني القافلة . . ورَنَتْ إليه بعين ، وحدبت عليه بقلب ، وحنّت إليه بروح ، وضمّته بشوق ، لقد أدركت من عينيه تصميم العقل وعزم البطولة ، ورمت تحت قدميه كلّ ما ردّت عليها من قبل أعقاب القوافل ، وألقت بين يديه أحلام المصير .

---

(١) هذا من معتقدات النصارىٰ الفاسدة .

(٢) بحيرا هذا : هو راهب معروف ، كان يسكن قرية يقال لها : الكفر ، بينها وبين بصرىٰ (حوران) ستّة أميال ، ويقال لها : دير بحيرا .

وتجد قصّة لقاء بحيرا بالنبي ﷺ في : السيرة النبوية لابن هشام ١ : ١٨٠ ـ ١٨٣ ، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١ : ١٥٣ ـ ١٥٥ ، الدرّ النظيم : ٨٢ ـ ٨٦ ، السيرة النبوية لابن سيّد الناس ١ : ٦١ ـ ٦٤ ، السيرة النبوية للحلبي ١ : ١٧٢ ـ ١٧٧ .

خديجة

وقلب خديجة كان يتلفّع بالسراب ، على ظمأ في الفكر وفي الروح ، وعلى لوعة الواقف على المفرق الحائر ، وعلى حنين موؤد ، كأنّه عناق الخيال في الكرى ، أو مداعبة الطيف في الخاطر .

تلك أحاسيس النفس يحجبها عن مدى الشوق ستار وعن تذوّق الحقّ إزار . . وما كانت التقاليد الموروثة في مجتمع خديجة لينيلها حقّ التعبير عن مدى الشوق في نفسها إلّا في نطاق مكبوت كان له الوأد بالمرصاد إن فات الحدود .

هكذا تلقّطت خديجة بالأُفق المبهم تتلهّى عن الرجال بشدّ الرحال ، وتلجم النهي بمناجاة السُهى[1] .

وفي اللحظة التي وجدت فيها منطلقاً للإرادة كسرت الطوق وثارت على التقاليد ، وكان لها من الحقّ ما اعتصمت به على الإقدام والتحقيق .

كان ذلك صادقاً في نفسها وفي إيمانها ، لذلك كانت لها قوّة الإقناع ؛ لأنّه كان لها من إيمانها كلّ الاقتناع .

هكذا يتعيّن الحقّ إذ يترسّخ الإيمان به ، ولن يلوى عن الحقّ عنان إذا دلّ عليه صدق الإيمان .

---

(١) السُهى : كويكب صغير خفي ، يقال : إنّه الذي يسمّى : أسلم ، مع الكوكب الأوسط من بنات نعش ، ومنه المثل السائر : (أُريها السُهى وتريني القمر) . (تهذيب اللغة ٦ : ١٩٥) .

لقد خفق الحبّ في قلب خديجة ، وفيه من الصدق مدافق ، وفيه من الحياة تعابير الحياة عن نفسها ، من : صدق الوجدان ، وصدق العقل ، وصدق الإرادة .

لقد فجّر الحبّ في قلب خديجة عقل وسعته التجارب ، فأصبح في وجودها تلك المصفاة التي تنقّى فيها العواطف من أملاح الجسد ، لهذا كان حبّها في غمرته نقياً صافياً ؛ لأنّه حبّ لم ينزلق إلىٰ القلب من الشرايين إلّا بعد أن مرّ علىٰ العقل في مصافيه ، وهذا هو الحبّ الذي يخلد في غمرته .

هكذا أحبّت خديجة محمّداً . . ملامح نور لا ملافح نار ، رجاحة عقل لا غضاضة عود . . أحبّته بعقل الأربعين لا بغفلة التسع ولا بنزوة العشرين . . أحبّته في إرادة التعبير ، فانساقت هي إليه ولم تُسقْ . . ولكلّ امرأة في تنسيق الزواج بين أن تسوق نفسها وبين أن تُساق بشير سعادة أو نذير شقاء . . تلك هي حريّة الإرادة ينبثق منها صدق التعبير في إنشاء العقد الاجتماعي الصحيح الجذور .

وكان لخديجة من قبل زواج باكر لم يمتّعها إلّا بارتشاف السراب ؛ لأنّه كان إرادة مشلولة وقلباً موؤداً ، كان في نشفة الحسّ وتعقيم الشعور ، كان سوقاً ولم يكن شوقاً ، كان تسييراً ولم يكن تعبيراً ، كان عادةً وتقليداً ولم يكن رأياً وتوليداً ، كان وأداً ولم يكن وقداً ، كان وِزراً ولم يكن إزاراً ، كان كسباً ولم يكن حبّاً .

لهذا وقفت ـ بعد أن فرط الموت هذا الرباط ـ حيرى علىٰ المفرق التائه ، تعالج قلبها بكفّ جفّ ملمسها ، وتحنو عليه بعينٍ خفّ لموعها ، وراحت معه تتلقّى علىٰ طريق القوافل .

وأصبح لها علىٰ الدرب الطويل رغبة الكاشف وخبرة الدليل ، مع لمح الذكي وفطنة النبيه .

وتمّت لها في محمّد هديّة القلب إلىٰ المعين ، وكان لها من صدق الحسّ ارتكاز الإرادة علىٰ عاطفة مجلوّة . . لهذا لم تتردّد في ثورة علىٰ التقاليد ، وأقبلت تعرض هي على محمّد تجسيد هذا الحبّ ، وصبّ هذا الحنين في قالبه ، واستمطار هذه الديمة من مجاريها .

وتضاءلت بين يدي حبّها الكبير مجاهيد دنياها ، وذاب من تحت عينيها بريق الذهب . . ذلك كان إيمان الحبّ بالحبّ ، وذلك كان التجريد الذي اختفى من تحته وهج السراب .

أمّا الأمين محمّد فإنّه ما استجاب لهذا الحبّ الذي مرّت عليه البواكير ، إلّا وهو يشعر بأنّ قلب خديجة لم تخفق إلّا اليوم فيه بكارته ، ولقد خفق معه العقل ، فتوحّدت فيه الخلجتان .

ولم يلمح علىٰ جبين خديجة غضون الأربعين ، وفي عينيها كانت تطوف فتوّة الروح وصلابة العزم . . وهو الوحيد المدرك أنّ الجسد ثوية الروح ، ولا قيمة له إلّا بها .

وها هو اليوم في غمرة شبابه وفي ربيعه الخامس والعشرين ما نقرت علىٰ عوده بعد نغمة فيها من الحبّ المستطاب كالنغمة التي ولجت بها خديجة إلىٰ كيانه ، لا بلونها ولا بعمقها . . فلقد كانت جريئة كأنّها البطولة في اقتحام الحصون ، وباهرة كأنّها لمعان السيف سُحب لأوّل مرّة من غِمده .

ولقد وجد في هذا الحبّ ثروة ذابت في كنز ، كأنّها الهشيم لا يجمع إلّا ليحرق في كلّ ليل هابط ؛ استجماعاً لدفء أو استنارة لِقرىً .

هكذا ألقت خديجة بين يديه علىٰ بساط هذا الوله ثروة نبذت قيمتها لتجعلها وسيلة بلوغ إلىٰ أهداف ، كأنّها الشموع التي لا تذاب إلّا في إضاءة المحاريب .

البيت الجديد

ورفّت على البيت الجديد سعادة فيها من الندى كلّ طراوة ، وراح السكون يغلّف كلّ عشية وكلّ سحر .

ودرجت في باحة البيت على التوالي ثمرات هذا الزواج الهاني ، من رقية إلى أُمّ كلثوم ، ومن زينب إلى الوسيمة الزهراء .

وكانت هناك في الركن السموح زاوية كأنّها المظلّة ، يدرج فيها أيضاً فتىً صبوح س، كأنّه بداية الصبح من خلف الأُفق ، فتىً ضمّه العطف إلى كنف ابن عمّه ، فربى فيه كما يربو القلب في حنوة الضلوع . . إنّه الفتى علي .

ومع كلّ سجو أصيل [1] كانت تشهد العشايا انسلال طيف إلى غار ، لا يعود منه إلّا ظلّ سحابة .

وشبّ البيت على تلك الرهافة ، على دعابة لاهية كأنّها البراءة ، وعلى صمت خافق كأنّه الارتقاب ، فكلّ ما في البيت جوّ أنيس ، وكلّ ما في البيت جوّ رهيب ، يلمسه الحنان بكفّ ويخشعه الجلال بجبين ، يأخذه المحيّا بمرح وتضبطه المهابة بإيحاء ، فهو جوّ يشبه الأُفق ، قريب من الأرض وعن الأرض بعيد .

وهكذا مُدّ بين هذا البيت و(غار حراء) سلك مزدوج البطانة ، هذي حرير ، وتلك أثير .

وعاج بالبيت هذا الحرير ، وغام البيت بهذا الأثير . .

---

(١) سجا : امتدّ بظلامه ، أو سكن . (تهذيب اللغة ١١ : ٩٧) .

والأصيل : العَشِي . (المصدر السابق ١٢ : ١٦٩) .

وعمق الحبّ حتّىٰ لمعت به العين . .
وعظّم الإجلال حتّىٰ عمق به الصمت . .
وعزّ الوصف ، فالبيت بيت النبي .

القافلة الجديدة

لقد مات ميسرة! خنقته أغبرة الطريق!

وعير القافلة اختنق ، بمقوده البالي اختنق!

لقد بقيت هناك بعض النوق باركةً تجترّ لعابها وتترأم[1] على فصلانها ، بانتظار من يهمزها إلى سير جديد .

ولن تهمز هذه المرّة على الحدو العتيق ، ولن يستشار في إقلاعها لا رأي المنجّمين ولا ضرب القِداح ، ولن تلجأ إلى اجتناب كلّ نهار محرور أو كلّ ليل مقرور ، ولن تكون موسميّة منتظرة أو جانبية مبتسرة[2] ولن يعرج بها تيمّناً بين يدي العزّى[3] أو تحت أقدام هبل ، ولن يشدّ بها حبل من سراب أو وتر من تراب ، ولن يغذّ[4] السير فيها جهد عقيم أو عزم قاحط . .

كلّ شيء قد أُعدّ للقافلة الجديدة في غار حراء . . لقد شدّ لها العقل ، والشوق ، والإيمان ، [و]الفكر ، والعزم ، والبصيرة ، وتأمّلات كأنّها

---

(١) رنمت الناقةُ ولدها : إذا تعطّفت عليه . (جمهرة اللغة ٢ : ١٠٦٨) .

(٢) البسر : الإعجال ، أو طلب الحاجة في غير أو أنها (لسان العرب ١ : ٢٩٠) .

(٣) العزّى : اسم صنم كان في الجاهليّة ، وهو حجر أبيض ، وقيل : بل هو عبارة عن سمرات أو شجيرات لها حمى ، وكان متعبّدوها يتعبّدون لها بالنذور . وأوّل من اتّخذها هو ظالم بن أسعد . وكانوا يتصوّرونها أمّاً لها بنتان . . ويقال : إنّ ابنتيها هما اللات ومناة ، وكانت لخزاعة وقريش وبني كنانة ، وسدنتها فهم من بني شيبان من بني سليم الذين كانوا حلفاء لبني هاشم على ما قيل . وكانت قريش تخصّ العزّى بالزيارة والهدية . هدمها خالد بن الوليد بعد فتح مكّة بأمر الرسول ﷺ . (موسوعة الحضارة العربية ١ : ٣٠٦ - ٣٠٩) .

(٤) غذا : أسرع . (صحاح اللغة ٦ : ٢٤٤٥) .

الغوص ، وانفتاحات كأنّها الانعتاق ، واستراحات كأنّها الانطلاق ، وتصاميم كأنّها البطولات ، وعبقريّة هي كلّ الارتكاز .

كلّ شيء تهيّأ . .

لقد هتف النداء : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾[1] .

(١) سورة المدثّر ٧٤ : ١ ـ ٢ .

دثار

لقد ارتجف الإنسان في محمّد فادّثر . وإنسان محمّد هو ربيب الجزيرة ، يعرف تقاليدها وأوهامها ، وكلّ حساباتها وأرقامها .

ليس قليلاً على محمّد أن ينفض الغبار عن كلّ هذه الصحاري ، وليس خفيفاً عليه أن يخنق كلّ هذا السراب .

ولم تكن القوافل في الجزيرة إلّا لتأكل من هذا الغبار على غير شبع ، وتشرب من هذا السراب على غير ري .

أن يشبع الجزيرة من جني الجزيرة ، وأن يروي الجزيرة من معين الجزيرة ، كان عليه أن يصقل الجزيرة بإنسان الجزيرة .

ولن يكون العمل الضخم إلّا على حساب عمر يشحنه بالعزم والتصميم والبطولات .

خاف الإنسان فيه فارتجف وادّثر ، واستيقظ الروح فيه فهبّ وأنذر .

بعد الإنذار

إنّ الكوّة التي انفتحت في (غار حرّاء) تلقّطت بالفضاء ، وراحت تربط الأرض بالسماء .

لقد أصبح للجزيرة كتاب يماشيها ويرفع الإنسان فيها إلىٰ مرتبة ، لقد تعيّن الجهاد في سبيل إعلاء قيمة الكلمة ، تلك الكلمة التي تفسّر معاني الحياة في أجلّ معانيها وروابطها .

ولقد بدأ الانطلاق مع التصميم المدروس يثير الهمم ويحرّك الحوافز .

ولقد أخذ الوعي يستشار مع الاستعداد لكلّ عمل خطير، ومع القبول بالتضحيات علىٰ حساب أيّ مصير، ولن يقف في الدرب ، لا خوف ، ولا قلق .

إنّ القضية أجلّ من أن يرهقها الجبن ، وأمتن من أن يجمّدها الخوف ، وأثمن من أن يقيمها الفقر ، إنّ مرحلة الخوف تخطّاها التصميم البطولي . . إنّ الوعي النفسي تجلّت قيمته مع كلّ عزم علىٰ التنفيذ . .

لقد رمي الدثار جانباً ، لقد أصبح مجرّد دثار مغزول من وبر الإبل . إنّ الذي كان تحت الدثار أصبح قوّة انطلاق لا تحتاج بعد اليوم دثاراً يتختّأ تحته رأس «نعامة» .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنذِرْ﴾ .

وكان الإنذار باسم الله توحيداً ، وكان الإنذار نزولاً إلىٰ الساحة الرحبة بذلاً وسخاءً . . بذل أعراق ودموع ، مع السهر الطويل ، مع التشريد ، مع الفقر والجوع ، ومع الصبر الجميل ، ومع الاحتمال والرضا .

أيّ شيء سيتمكّن من الصمود أمام التصميم؟! إنّ الهجرة إلى الحبشة لن تكون غير إرادة ما انسحبت عن الخطّ إلّا لتعود إليه مع الإيمان المتمكّن ومع البطولة المصقولة .

وهبّت الجزيرة تقاوم الزحف المقدّس ، راح المريض يعضّ يد المداوي ، لقد رفضت العين الرمداء جلوة المرود .

ولكنّ قوّة الحقّ هي التي فرضت نفسها في الميدان ، لقد رضخ المريض لمشيئة الطبيب ، ولن تكون الهجرة الثانية إلى المدينة إلّا جمعاً لشمل وترسيخاً لبنيان سوف تشهق من فوقه ذروات المآذن .

في المدينة المنوّرة لاقت فاطمة أباها لتمسح عن جبينه الطاهر أعراق الجهاد ، غبار الدروب عبر الصحاري ، غبار التشريد ، وأتعاب التسهيد[١] ، لتلقي رأسها الصغير على صدره ، فتسمع دقّات قلبه الكبير ، ولتتيه بأبيها كبراً .

لقد تمّ الإنذار ، وتمّ التبشير ، وأصبحت الرسالة تحقيقاً جمع الجزيرة من حواشيها نحو اندفاع ما شهد التاريخ له مثيلاً .

---

(١) السُهد : الأرق وقلّة النوم . (القاموس المحيط ١ : ٣١٥).

الرفيق

نعم الرفيق الفتى الصبوح!

لقد مشى الطريق بعينيه قبل أن يمشيها بقدميه.

شرب السحاب، ولمّا يهمّ بعد السحاب، واستمطر الغمامة، ولمّا تكثّف بعد الغمامة.

وماكان علي بن أبي طالب في هذه السنين القليلة من عمره ـ أكانت سبعاً أم بلغت تسعاً[1] ـ إلّا من هؤلاء القلّة النادرين الذين يقفزون من فوق عتبات المداخل، من هؤلاء الذين يؤمُّون الحياة بواكير في مواسمها.

ولم تكن العشرة السنية لتضفي عليه أكثر ممّا يضفي على المرمر إزميل[2] النحّات، وعلى اللوحة ريشة الفنّان، وعلى الوتر نقرة الموهوب..

وماكان الجوّ الذي ربّي فيه إلّا ليكون له منه، كانعكاس النور على الصفحة الصافية، وكارتجاع الصوت من مجوّف الكهف.

ولقد أدرك نور محمّد أيّة صفحة صقيلة يداعب، ولقد أدرك صوت محمّد أيّ كهف عميق يناجي.

لهذا انفتل علي بين يديه كما تنفتل العجينة في يد العجّان، يرقّها بكفّه، ويخبزها بفرنه.

---

(١) نقل السيّد العاملي الأقوال في سنة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام، وبالتالي مدّة عمره في زمن الرسالة، وذكر في الهامش عدّة مصادر، فمن أراد فليراجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ٢: ١٥٦.

(٢) الإزميل: الشفرة. (مجمل اللغة: ٣٣٣).

وأصبح علي من محمّد : رجع صوت ، وانعكاس نور ، وخبيز فرن ، وركيزة تحقيق ، وصدر مشورات ، وبيكار[١] هندسة ، ومدى انطلاق .

وأصبح سيفاً . .

وأصبح ترساً . .

وأصبح إرثاً ، ووسع مجال .

(١) البيكار أو البركار أو الفرجار : أداة تستخدم في تقسيم الخطوط إلى أجزاء متساوية ، كما تستخدم في نقل الأبعاد من المسطرة إلى الخريطة أو إلى أحد الرسومات . وللفرجار ساقان مدببتان كالإبرة ومتصلان معاً عند القمّة . (المعجم الوسيط ٢ : ٦٧٩ ، المنجد في اللغة : ٥٧٤ ، الموسوعة العربية العالمية ١٧ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦) .

رهافة

بينما كانت هناك الأخوات الكبيرات يتقدّمن إلى عتبات الحياة ، ليخرجن الواحدة تلو الأُخرى إلى مضمار الواقع ،كانت الصغرى فاطمة تودّع كلاً منهن لتزيد من ولوعها بأُمّها و أبيها .

لقد حملت زينب إلى بيتها الجديد ، حيث كان ينتظرها المصير المترجرج بين يدي أبي العاصّ ابن الربيع ، وكذلك تقدّمت أُمّ جميل زوجة أبي لهب وحمّالة الحطب ، فانتشلت من حضن هذا البيت الكريم رقيّة وأُمّ كلثوم ، لتجعلهما في عهدتي ولديها عتبة وعتيبة . .[1] رجلين وصلت إليهما ـ وضاعت ـ سبل المكارم !

وبقيت في البيت فاطمة تملأ الفراغ فيه . . لقد غابت عن البيت مآزر وبقي في البيت وشاح .

وراحت فاطمة تسرح في البيت الخالي ، تعي و تتأمّل . . لقد بقي لها وحدها هذا البيت ، فهي صغيرته . . ولقد أصبحت رابعة ثلاثة فيه لكلّ واحد منهم في قلبها ظلّ مؤنس ، ولها في نفس كلّ واحد منهم عطف خصيب .

وعاشت موفورة الدلال، ملوّنة العواطف ، مرهفة الحسّ ، منزّهة الشمائل ، على أُنوثة تعهدّتها كفّ أُمّها بشملة الحبّ المعفّف ، وعين أبيها بغمرة الحنان المطهّر ، ورفقة علي بخفقة القلب الطهر البريء .

وعين أبيها ـ يا لعين أبيها! ـ تشرب العطف منها مناهل ،كأنّها الصبيب

---

(١) تقدّمت الإشارة إلى مصادر هذه الحادثة قريباً ، فراجع .

السكيب من الكوثر .

وغرقت فاطمة في حضن أبيها ، بين ذراعيه ، وتحت عينيه ، يشمّها كأنّها السوسنة[١] ، يضمّها كأنّها الشوق ، يعانقها كأنّها الحنين ، يلثمها كأنّها البراءة .

لقد تفرّدت فاطمة بالحبّ العظيم . . أيّ شيء فيها كان الموحي؟ أهي الطفولة في براءتها ، أم هي النجابة المتوسّمة؟!

وكبرت فاطمة ، وتجلّت معها براءة الطفولة ، ونما معها الحسّ المرهف ، وتوسّعت حدقتاها . .لقد أصبحت تنظر إلى أبيها فتراه أُفقاً وراء أُفق ، خطّاً خلف خطٍّ ، غراً فوق غور ، حبّاً خلفه مدى ، عطفاً دونه عمق ، فكراً خلفه بصيرة ، حكمة وراءها قصد ، جسماً طيّة روح . .وأصبح حبّها لأبيها حبّاً فيه من الإجلال بقدر ما فيه من التفاني ، وانطوى عطف منه عليها على عطف منها عليه ، فأصبح العطفان من معدن واحد .

لم تخب النجابة المتوسّمة . .لهذا كان حبّ الأب لابنته حبّاً فريداً ، ولهذا كان حبّ الفتاة لأبيها حبّاً غنيّاً ، ولهذا قال الأب الكبير :

«ما يغضب فاطمة يغضبني ، وما يرضي فاطمة يرضيني»[٢] .

وتوالت العوامل فيما بعد على فاطمة تشحذ هذا الحسّ فتزيد رهافته ، ففي الوقت الذي انقلب فيه حبّها لأبيها من نطاق حبّ بنويّ إلى تقدير بالغ الخطورة ، أصبحت لها عين كالسهم ، وأُذن كأنّها الغور ، وأصبح لها قلب كأنّه اللين ، وفؤاد كأنّه الوهج البعيد .

---

(١) السوسن : نبات له أزهار كبيرة جميلة الألوان . ينمو في كلّ المناطق المعتدلة . ويصل ارتفاعه إلى مترين أو أزيد . وزهرة السوسن اسم الزنبق في الفرنسية . (الموسوعة العربية العالمية ١٣ : ٢٤٥ ـ ٢٤٦) .

(٢) تقدّمت الإشارة إلى مصادر هذا الحديث ، فراجع .

لقد تحكّم العقل بهذا المعدن ، فطاب الوجد فيه مع النهي كما يطيب السيف على المشحذ ، وهانت عليها رسالة أبيها ، لم تبق لغزاً خفياً ، فهي رسالة إن تؤخذ بالإدراك المتبصّر فإنّها تؤخذ أيضاً باللمح الناعم ، ولن تكون مهمّة الإدراك لغير جلوة هذا الحسّ في منبع الشعور .

لهذا انعكس أبوها في وجدآنها، فامتصّه في عقلها ، وعبّرت عنه في عاطفتها ، وبفضل هذا الحبّ ازدوجت لها الحالتان ، فهي بنت أبيها في الوقت الذي أصبحت فيه «أُمّ أبيها»[١] . . وتلك أوّل تسجيلة حلوة من نوعها تأخذها صفحة ناعمة من صفحات التاريخ .

وعلي بينماكان في المبتدأ مجرّد أنيس طفولة ورفيق ملعب ، أصبح ـ بعد أن شبّت وشبّ ـ خيالاً لطيفٍ ومرآةً لجبين ، لقد أصبحت ترى في عينيه طيف أبيها وظلّ ذيّاك الجبين .

ولقدكانت تهواه في كلّ انعكاس بريء الصفاء ، تهواه في انعكاس عقلها على قلبها ، وأصبحت تهواه معكوساً عليه وهج أبيها .

هكذا أصبحت لها جلوة الرؤى وتوجيه الميول . . لقد اغتسلت شرايينها في تلافيف[٢] عقلها ، وانطفأت مجامر الدم في هذا الحنين .

---

(١) لقدكانت فاطمة عليها السلام تتعهّد الرسول صلى الله عليه وآله بالعناية ، وكان صلى الله عليه وآله يجد فيها ما يجده الولد ويلمسه في أُمّه من الحنان والدفء والحنو أكثر ممّا يجده الأب ويلمسه في ابنته ، وهذه الكنية كنّاها بها الرسول صلى الله عليه وآله نفسه .

راجع : مقاتل الطالبيّين : ٢٩ ، المعجم الكبير للطبراني ٢٢ : ٣٣٢ ، المناقب لابن المغازلي : ٣٤١ ، تاريخ مدينة دمشق ٣ : ١٥٨ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٤٠٦ ، أُسد الغابة ٥ : ٥٢٠ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢١١ ، الإصابة ٨ : ١٥٧ ، تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٦٨ ، إحقاق الحقّ ١٩ : ١٣ ، إتحاف السائل : ٢٢ ، بحار الأنوار ٤٣ : ١٦ و ١٩ ، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ٣ : ١٥٢ ، ملحقات الإحقاق ٢٥ : ١٢ و ٢٩ .

(٢) التلافيف : القِطَع والأجزاء . (المعجم الوسيط ٢ : ٨٣٢) .

ولن تحبّ رجلاً لأنّها لحم ووتر ولأنّه عظم وعضل ، وستحبّ رجلاً يكون وشاحاً وخيالاً وفكراً وإيحاءً .

ولن يكون سير القضية التي نفخ بها أبوها على المزمار إلّا على درب كلّه شوك وتبريح ، ولن يثبت عليه إلّا كلّ بطل له العبقريّة سيف والحسّ المرهف جناد .

ولقد بدأت طلائع العاصفة تثير الغبار ، لقد رجعت إلى البيت زينب من زواج خاسر صبغ على وزن اللحم والدم ، وستعود في غد رقية وأُمّ كلثوم من زواج عُقد على الوزن المماثل .

وتلك إضافة أُخرى في بطانة القالب الذي كانت تتوسّع عليه حدقة عين فاطمة ، فأصبح لها رأي متنكّر لكلّ زواج مماثل لزواج أخواتها ، حتّى أضحت تفضّل أن لا ترى رجلاً .

ولكنّها سوف ترى رجلاً يرزم أشواقها ويكثّف أحلامها ، وستقتنع بصدق رجولته ، لا وحسب لأنّ أباها هو الذي سيدعوها إلى الالتصاق به ، بل لأنّها هي التي ـ بعد أن اكتمل وسع حدقتيها ـ أصبحت تملك عدسة المنظار .

كلّ شيء في وجود فاطمة ساهم في نحت شخصيّتها ، فجزّها بهذا الحسّ المرهف .

ولن تكفكف يد الموت عين أُمّها إلّا لتغلب قلبها بهالة جديدة من الألم وعمق التبصّر . .

وسيرهف حسّها إلى أقصى حدود الإرهاف بموت أبيها النبي ، وستبكيه البكاء المقرّح . .

وستصبح ـ مع رهافة الحسّ ـ رهيفة الهيكل مع كلّ صدمة وكلّ خيبة أمل تنتظرها على الدرب المضني الذي وسع لها عليه صدر أبيها الراحل . .

وستذوق مع مرارة اليتم مرارة الحرمان مع كلّ خطوة ستخطوها أيضاً على

الدرب الذي عرضت عليه خطوات زوجها الفارس الأمين . .

وستهوىٰ حافية القدمين نحيلة الخصر والقوام من فرط تلك الرهافة التي جعلتها بحقّ جلوة عصرها وسيّدة نساء العالمين [١] .

(١) لاحظ : المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٢٧ ، شرح الأخبار ٢ : ٣٧٥ و ٣ : ١٢٠ ، دلائل الإمامة : ٥٤ ، معاني الأخبار : ١٠٧ ، كفاية الأثر : ٩٨ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٧٠ ، حلية الأولياء ٢ : ٤٢ ، الأمالي للطوسي ٢ : ١٨١ ، بشارة المصطفىٰ : ١١٨ ، ذخائر العقبىٰ : ٤٣ ، نظم درر السمطين : ٢٣٧ ، إحقاق الحقّ ١٠ : ٣٨ ، إتحاف السائل : ٨١ ، ينابيع المودّة ١ : ١٧١ .

المرأة

والمرأة في كلّ آنٍ وزمان إنّها هي رفيقة الرجل، لا تنفصل عنه إلّا لتلتصق به في حركة انجذابيّة ممغنطة القطب مقفلة الدوائر ، فهي منه وله ، كالجزء من الكلّ وكالخليط من النسيج . . تلك هي الوحدة في ثنائية وجودية وازدواجية حياتيّة ، ما تمكّن الإنسان يوماً من أن يملّها وهو في إطار هذا الكون .

وكأنّي بالرجل والمرأة تكوين منفلق من خليّة واحدة إلىٰ شطرين ، يجمعهما دائماً حنين الخليّة إلىٰ وحدتها في سيرها المنجذب أبداً إلىٰ تكميل ناموس الحياة .

وليست المناصفة أو المفاضلة بين هذين الشطرين شرطاً من شروط التقييم ، فميزان التقييم في الحياة لا تنشال في كفّته فلقة إلّا والثانية معها علىٰ اتّحاد ، باعتبار أنّ كلّاً من الشطرين متمّم للثاني عن طريق التداخل والالتزام .

فأمّا وجودهما منفصلين ـ متّحدين ، وأمّا فصلهما مبتعدين ـ ملتغيين ، في الحالة الأُولىٰ خصب الوجود ، وفي الحالة الثانية فوّهة العدم .

ليس ذلك في أيّ معنى مجازي ، فالمرأة بعض الرجل ، أكان طولها خمسة أسداس طوله أو وزنها ستّة أسباع! فالقضية وجوديّة حياتيّة حتميّة مزدوجة ،كالليل والنهار في تكوين الدورة اليوميّة ، وكالسلبيّة والإيجابيّة في توليد الشرارة ، فالجزء الذي إذ ما يلغَ يلغ قيمة الكلّ له حتماً قيمة الكلّ .

من هنا إنّ المرأة في وجود الرجل شطر متمّم للإنسان فيه ، ولا قيمة لها أو له إلّا كونهما قطبين متكافلين متضامنين ، ولن تكون أيّة عملية حسابية في

أيّهما أوزن أو أطول ، أفهم أو أكمل ، أوّل أو أجدر ، إلّا كعمليّة إنشاء المفاضلة بين أضلاع الزاوية أو المستطيل : أيّ ضلع في نظر البيكار من هذا أو تلك أجدى أو أكمل ؟ فلكلّ خطّ من تلك الخطوط قيمة التكميل ، وحذف أيّ ضلع يلغي الهندسة .

من هنا أنّ المرأة في وجود الرجل هي البعض الذي يتمّم الآخر ، أكان هذا البعض أنعم أو أخشن ، أطول أو أقصر ، أفهم أو أقلّ إدراكاً ، فمن الطولين يخرج الإطار الواحد كما يخرج مربّع المستطيل من ضلعه الطويل مع ضلعه القصير ، ومن الثقلين يتجمّع الوزن الصحيح كما يتجمّع وزن السيف من ثقل قبضته مع ثقل شفرته ، ومن القيمتين تتولّد القيمة الموحّدة كما يتولّد النغم من خشبة القيثارة مع حبل الوتر .

ولطالما بحثت قضية المرأة والرجل على سلّم المقايسة والموازنة والمفاضلة ، فلم يبلغ طولها أكثر من ستّة أسباع طوله ووزنها أكثر من خمسة أسداس وزنه[١] ! أمّا قيمتها فكانت تتمايل على مقياس مئوي من حيث كانت في نظر بعض الأجيال صفراً! ففي الجيل الخامس للميلاد كانت لا تزال تعقد المجامع للنظر في هل هي إنسان لها نفس ، أم[٢] هي في مرتبة أُخرى لها بعض الامتيازات[٣]؟!

وكانت تحسب سلعة من السلع ، أو متعة للرجل يلهو بها على هواه ويتصرّف بها كما يشاء! فالعصر السابق لصدر الإسلام كان له حقّ وأدها دون أيّ قانون يطاله بالتجريم ، حتّى إذا جاء الإسلام متّعها بحقوقها ، واعتبرها أُمّاً وزوجة ، وخلّصها من الوأد والحرمان .

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ٢٥ : ٥٣٥ .

(٢) الصحيح : أو .

(٣) انظر الموسوعة العربية العالمية ٢٥ : ٥٣٥ .

وما زالت المرأة حتّى اليوم ـ مع كلّ ما توصّلت إليه مدنيات المجتمعات المتحضّرة ـ توزن بثقل جسدها ، وتقاس بطول قامتها ونحافة هيكلها ، وتقيّم منفصلة بنسبة مواهبها الذاتيّة ، دون أن تحسب جزءاً من الرجل ، وظلّاً عاكساً لحقيقته ، ورفيقة ملازمة له ، وبعضاً متداخلاً في بعض .

والصواب أنّ المراة ليست إلّا امتداداً لكيان الرجل بتداخل صميمي فيه ، ولن تفصل قيمتها عن قيمته طالما أنّها الحتمية المتمّمة لوجوده ، ولن تقاس مواهبها إلّا بالنسبة إلى مواهبه طالما أنّها الخليّة التي تستمدّ من هذا الشطر مقوّمات وجودها .

فإذا ما طلب منها أن تكون أعمق فكراً ، وأكثر ثقافةً ، وأمتن أخلاقاً ، وأشدّ مراساً ، وأقلّ ميعاناً ، وأخفّ غروراً ، وأصدق لساناً ، وأثبت جناناً ، فإنّ ذلك أولى أن يطلب إلى الرجل إبرازه بجهد مضاعف ، حتّى تتمّ على المرأة عملية الانعكاس .

فإذا شكي في المرأة من نقص فهو نقص الرجل يظهر في المرأة ، مثلما يظهر اللين في العظام من نقص الأملاح في الجسم[١] ، أوكما يظهر الهزال في العضلات[٢] من ضعف الغذاء في البدن ، أوكما يظهر الشحوب في الوجه من ضآلة الحيوية في الدم[٣] .

---

(١) لين العظام (rickets) : مرض تختلّ فيه عملية تكوّن العظام بسبب نقص الكالسيوم وفيتامين D ، أو قلّة التعرّض للإشعة فوق البنفسجية (uitraviolet rays) الموجودة في أشعّة الشمس . ويُعالج بالإكثار من زيت الكبد والزبدة والحليب ومخّ البيض . (موسوعة المورد ٨ : ١٥١) .

(٢) الضعف العضلي : اسم لمجموعة من الأمراض العضلية الخطرة ، تتّسم بضمور وضعف العضلات الهيكلية ، بحيث تؤثّر على الحركة والوضع . (الموسوعة العربية العالمية ١٥ : ٣١٦ـ ٣١٧ ، موسوعة المصطلحات العلمية الشاملة ١ : ٣٩) .

(٣) فقر الدم (anemia) : حالة مرضية تنشأ عادة من نقص الهيموغلوبين في الدم ، أو عن نقص في

←

إنّ الرجل والمرأة شطرا جسم واحد ، فإذا كان الرجل بحاجة إلى أُمّ فالمرأة رحمه ،وإذا كان بحاجة إلى رفيق فالمرأة شوقه وحنينه ، وإذا كان بحاجة إلى ترفيه فهي كأسه وعبيره ، وإذا كان بحاجة إلى مجتمع فالمرأة ترتبته وخصبه .

كلُّ مجتمع لا يعتبر المرأة بمثابة اليد اليسرى إلى اليد اليمنى في جسم الإنسان يكون مجتمعاً مسؤولاً إلى حدٍّ بعيد عن تخلّفه عن السير في مضمار التحقيق والتقدّم والفلاح .

← عدد كرّيات الدم الحمراء ، أو عنهما معاً . ومن أعراضها : ضيق التنفّس ، سرعة خفقان القلب ، شحوب اللون ، اصفرار بياض العين ، الضعف والخمول وفتور الهمّة . (موسوعة المورد ١ : ١١٠ ، التشخيص التفريقي : ٢٩١ ـ ٣٠٧) .

تكثيف المشاهد

عناصر البحث

* دراسة
* طريق المجد
* بداية الحوار
* الوتر المجروح
* أُسامة
* عتب
* صدمة
* بلاغة
* دمعة
* ثلاث نساء
* خديجة
* فاطمة
* عائشة
* خطاب في باحة المسجد
* البطولة
* التسجيل
* وتر في غمد
* فدك
* ابنة النبي
* زوجة علي
* أُمّ الحسن والحسين
* الإمامة
* الإرث
* البقيع
* بسمتان
* أسماء بنت عُميس

دراسة

من المفهوم أنّ عصر الجاهليّة لم يكن يتمتّع بشكل من الحكم الراقي . إنّ المجتمعات البدويّة ـ شأن مجتمع الجزيرة ـ ليس لها أكثر من شكل أو توقراطي[1] تتحكّم به روح قبليّة . ولا يرافق هذا النوع من الحكم ذلك الولاء الصميم الذي يرافق الوحدات الاجتماعية المترابطة بالمصالح والمصير . فالقبائل المشرورة في الجزيرة ، على طول رقعة شاسعة ، تفصلها عن بعضها البعض صحارٍ وكثبان ، لم تكن لتجمعها تلك الوحدة الحياتية ، ولم يكن ليرعاها ذلك الشعور .

إنّ ذلك لم يكن مطلقاً في الجزيرة ، فالحقوق الشخصية كانت شبه معدومة ، والملك الفردي كان شبه معدوم ، ولم يكن الفرد أكثر من وحدة عدديّة في القبيلة ، يستعمل للغزو ، فهو متنقّل أبداً مع قبيلته وراء الكلأ والتفتيش عن الأود .

ولم يكن بالإمكان جمع هذه القبائل بهاتف من الإقناع العقلي ـ العلمي الذي يعيّن وحدة المصالح مع وحدة التفكير ووحدة العمل ووحدة

---

(١) الأُتوقراطية (Autocracy) : مصطلح سياسي يطلق على الحكومات الفردية حيث يتمثّل الاستبداد في إطلاق سلطات الحاكم الفرد وفي استعماله إيّاها بعض الأحيان تحقيقاً لمآربه الشخصية . وقد يعتبر النظام الأُوتوقراطي ذاته بمثابة الحكم ؛ لأنّه مستقلّ عن الأحزاب وفوقها وفوق الأطراف والأفراد . والدولة الأُتوقراطية تتظاهر بأنّها مستقلّة عن جميع الفئات الاجتماعية ، لكنّها في واقع الأمر بين أيدي طبقة أو جماعة منظّمة . (موسوعة السياسة ١ : ٣٨٢ ـ ٣٨٣) .

التوجيه . . لا يجد كلُّ ذلك تلبية له إلّا في المجتمعات التاريخية المثقّفة التي مارست كلّ فضائل الاجتماع واستوعبت عمق المدارك .

وهذا ماكانت تفتقر إليه قبائل الجزيرة بحكم طبيعة أرضها ومناخها . لقد توصّل إلى هذا الفهم أُولئك الذين هاجروا منها إلى أرض الرافدين مثلاً ، فاندمجوا في الأرض التي هبطوا فيها ، ووجدوا منها أرضاً صالحة لهضم مجاهيدهم العقلية والجسدية ، هنالك تولّد لهم ذلك الولاء للأرض التي انصبُّوا فيها ، مع الأكّاديّين ، أو السومريّين ، أو الكنعانيين الفينيقيّين ، مع كلّ هؤلاء الأقوام اندمجت هجرات أهل القبائل من الجزيرة في تطوافهم القديم ، فأثبتوا باندماجهم الذي تطوّر إلى مدنيات أنّ الإنسان يكون انعكاس البيئة التي يتفاعل فيها ومعها تفاعلاً تاريخياً .

إنّ الرسول لم يجهل هذه الحقيقة (حقيقة واقع مجتمع الجزيرة) ، لهذا فإنّه لم يتمكّن من جمع وحداتهم إلّا بفكرة هبطت من فوق ، فجاء الدين بالتوحيد يفعل ما لا تفعله أيّة قوّة أُخرى ، ولقد قال : ﴿**لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَاأَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾[1] .

لقد برزت عبقريّة النبيّ بشكل حقّق الأُعجوبة ، فالجزيرة كانت بأشدّ الحاجة إلى قوّة ترزم قبائلها المتفكّكة ونزعاتها المتغايرة وميولها المتشتّتة . لقدكانت بحاجة إلى من يوجّه قوافلها المهاجرة نحو الإفادة من خطوطها التجاريّة اليابسة .

ولقد تمّ العمل بسرعة ، لا معركة «أُحد» ولا معركة «بدر» تمكّنتا من أن تتوقّفا في درب المهاجرين الذين رجعوا لتنفيذ التصاميم المدروسة ، وكانت

(١) سورة الأنفال ٨ : ٦٣ .

الغلبة للّذين كان عندهم التصميم على كلِّ من لم يكن لديه أيّ تصميم . أمّا الشعب فهو الذي ينقاد دائماً وراء القائد البطل ، لست أقول : عن فهم ، بل عن انجراف وانقياد . لم يكن الفرد في الجزيرة في ذلك الحين على الأخصّ ليؤلّف تلك الجماعة الواعية . ثمّ إنّ الفرد في كلّ حين حتّى في المجتمعات الراقية شأنه ضئيل في التصرّف ، إلّا أن يكون من النوع الذي تليق به القيادة .

إنّ المجتمعات التي يكثر فيها هذا العدد من الأفراد المدركين يرفعون نسبة الرقي في مجتمعاتهم ، ويعينون إلى حدٍّ بعيد بروز القادة اللامعين فيهم ؛ لتخفّ الأخطاء في القيادة ، وليتميّز النجاح في تطبيق المناهج .

ولم يبرز في مجتمع الجزيرة أيّ فرد تمكّن من حصر القيادة ونقشها على صفحات التاريخ ، إلّا في ظهور محمّد ، فحطّم أبلغ رقم قياسي في تأريخ خلود القادة العباقرة .

غير أنّ النجاح الذي حقّقته الرسالة الإسلاميّة في الإمبراطوريّة الضخمة التي غطّت الشرق والغرب لعدّة قرون ، والتي اكتسحت بتعاليمها مئات الملايين على وجه الأرض ، لم تحقّق فعلها بقوّة تلك القبائل التي زحفت هائمة من الجزيرة ، بل حقّقته بقوّة قابليّتها ، وبصدق نظرتها إلى الحياة والكون . أمّا ابن الجزيرة فإنّه جنى من منافعها ما تمكّنت قابليّته هو من الأخذ منها ، ولقد فعلت فيه على حياة الرسول بنسبة ما تمكّن الرسول نفسه من عكس التعاليم الرساليّة عليه إشعاعاً من شخصه الكريم وجوداً وتجسيداً وقدوةً وتمثيلاً ، ولمّا قبض الرسول ـ أي : لمّا غاب عن الجزيرة هذا الحضور هذا التجسيد الماثل أمام العين ـ خبت الجذوة التي كانت تستمدّ من هذا المصدر وهجها وحرارتها ، وانقسم بسرعة مذهلة الخطّ الجامع الموحّد ،

واستيقظت القبليّة التي هجعت لمدّة قليلة من السنين .

إنّ الوقت الذي عاشه الرسول في محيطه لم يكن كافياً لطبخ النفوس وجعلها تتمرّس بالحقّ والصواب ، ولقد كان يدرك أنّ المجتمعات البشريّة يلزمها تأريخ ، لا بل تلزمها صناعة التأريخ ، وصناعة التاريخ لا تتم إلّا بالمدى الثقافي المتولّد من الدأب الحثيث في مجالات الحياة المخصبة والمولدة بالتمرّس بكلّ ما هو إنتاج صادق في مجتمع صادق . .

كلّ ذلك تحتاجه المجتمعات الراقية ، وأحرى بمجتمع الجزيرة الذي لم تلمسه بعد كفّ الحياة بحقيقة واعية ، لذلك فهو بحاجة قصوى إلى مدى ، إلى سلسلة طويلة من القادة المُوجّهين ؛ حتّى تتمّ على أيديهم سبل التوجيه القويم وسبل المران الطويل .

إنّ شعب الجزيرة كان بحاجة ماسّة إلى توجيه صادق يسلخه عن قبليته العمياء ؛ ليضعه عى الخطّ الحضاري المتلقّط بإنتاج ذاتي ، هو وحده الذي يبقى مع كلّ مجتمع ؛ ليبني وحده ذلك المجتمع .

وشعب الجزيرة الذي بقي حتّى هذا التأريخ بلا قائد يصعب عليه أن يخلق لنفسه مثل هذا القائد الذي رمت به إليها يد العناية .

من هنا كان حرص النبيّ على إلقاء تبعات هذه الرسالة الجليلة والطويلة المدى على عاتق وليّ يتركها إليه ليتوارثها عنه من بعده كلٌّ من سيصبح فيها أشدّ مراساً ، ومع كلّ خطوة إلى الأمام يكون شعب الجزيرة قد أصبح أكثر مراناً وأشدّ تعمّقاً بما يلقى عليه في سبيل تأمين مصيره كمجتمع .

ولكنّ موت النبيّ لم يحقّق إتمام الوصيّة وإتمام المخطّط لإتمام النهج .

إنّ الاجتماع الذي حصل في السقيفة[١] ـ وجثمان النبيّ لايزال فاتراً ـ كان أكبر دليل على اليقظة السريعة للميول المكبوتة المجمّدة تحت ضغط الهالة القدسيّة التي كانت تشعّ من جبين المسجّى الصامت الذي كان على قيد الحياة منذ ساعة ، لقد وجدت تلك الميول في هذه اللحظة التاريخيّة الواجمة متنفّساً لها ، فعبّرت عن روح قبليّة جاهليّة لم تتمكّن حتى الرسالة من وأدها .

إنّ الجزيرة التي كان عليها أن تغرق في صمت رهيب أمام الجسد الواقف على عتبة تاريخها ، راحت تداعب ترّهاتها[٢] وتتلاعب بمقدّساتها . .

إنّ النضيد الذي لفّ النبيّ به جيد[٣] الجزيرة حسبته الجزيرة من زجاج عندما قطعت عقده وراحت تبعثره بين الغبار ، ولقد كانت معذورة ، فإنّها لم تشهد قط في تاريخها لآلئ ذات حجم .

---

(١) راجع : تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٣ ـ ١٢٦ ، الفتوح لابن أعثم ١ : ٢ ـ ٥ ، الشافي في الإمامة ٣ : ١٨٤ ـ ٢٠٠ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٢٢٠ ـ ٢٢٥ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ : ٥ ـ ١٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٤٨٦ ـ ٤٩٦ ، معالم المدرستين ١ : ٥٥٠ ـ ٥٧٥ .

(٢) التُّرّهة : الباطل ، والطريق الصغيرة المتشعّبة من الجادّة . (القاموس المحيط ٤ : ٢٨٤) .
وقال الطريحي : (ومن أمثال العرب : أخذنا في ترّهات البسابس . قال الأصمعي : الترّهات : الطرق الصغار المتشعّبة من الطريق الأعظم ، والبسابس : جمع بسبس ، وهو : الصحراء الواسعة لا شيء فيها . والمعنى : أخذنا في غير القصد والطريق الذي ينتفع بالذهاب فيه ، كقولهم : يتعلّل بالأباطيل» . (مجمع البحرين ٦ : ٣٤٤) .

(٣) الجيد : العُنُق . (المصباح المنير : ١١٦) .

طريق المجد

لقد سلك الإسلام طريق المجد ، الإسلام الذي هو فكرة مقتنعة بصدق نفسها ، والذي هو فكرة تمكّنت من توزيع ذاتها أشعّة إيمان . ولقد كان الإسلام فكرة توحيد ، وحّدت الخالق ووحّدت العمل الجبّار الذي انطلق تبشيراً وفتوحات .

تقبّلته الشام فتحاً يسيراً ، وتقبّله العراق فتحاً يسيراً ، والشام ـ منذ آلاف السنين ـ وهي تتقبّل زحف القوافل ، وهي اليوم تفتح صدرها لأعظم قافلة تنجدل فيها حبال النور .

منذ ستّة قرون وهي تحاول مع عيسى تقليص شبح العلج[1] الروماني ، ولم تفلح . أمّا اليوم فهي التي تمدّ يدها بسخاء للزحف المقدّس الذي سيطرح بكر تستانس الثاني إلى اليمّ . وليس العراق بأقلّ ارتباطاً من الشام بحبل الأواصر ، ولا أخفّ منها شوقاً لتقويض أركان إيوان كسرى .

هكذا أمسى التوحيد يخطّ طريق الفتوحات : إلى العراق والشام ، إلى مصر وأفريقيا ، إلى فارس ومهابط الهند ، إلى أُوروبا وحوض المتوسّط . إنّ الفكرة التي بشّرت بالتوحيد كانت لها جاذبيّة التوحيد .

ولكنّ الكفاح الذي مشى به الإسلام كانت تتجاذبه في الفكرة الأصيلة فيه روحيّتان : روحية حضريّة ، وروحيّة مدريّة . . ومشت الروحيّتان

---

(١) العِلج : الرجل من كفّار العجم . ورجل عَلِج : شديد . (صحاح اللغة ١ : ٣٣٠) .

متوحّدتين إلى هدف مشترك ، وانخدع التوحيد باسم التوحيد .

فالروحيّة الحضريّة هي التي أخذت لنفسها من الفكرة مبدءاً وعقيدةً تقيّدت بهما بكلّ انضباط ، لقدكان التشديد على العفّة في المسلك من أشدّ ما تقيّدت به من مواثيق . أمّا الفكرة الثانية فهي التي مشت بثوبها القديم ، تقنّعت بالفكرة كما يتقنّع المتسلّل بالليل لإتمام عملية غزو .

هكذا هبّ مجمل القبائل في الجزيرة باسم الجهاد ؛ لتجعل من الكفاح محارز أغنام . .

لقدكانت فكرة التوحيد فذّة ، ولكنّ الموحّدين لم يكونوا كلّهم أفذاذاً ، لهذا مشى الفتح إلى تحقيق يرافقه دائماً خوف وقلق ، أدّيا به إلى انحطاط وانهيار .

«منذ البداية والفتح يعاني هذه العوارض ، وبقي يعانيها في سيره الطويل : عاناها على حياة النبيّ بالمؤمن والمرتدّ ، وبالمخلص الفاهم والمناصر المخاتل ، وفي ساعة موته عاناها : بالمؤمن بالجهاد درباً إلى الحقّ ، وبالمؤمن به درباً إلى نفوذ . . بفتح الشام عاناها : فتحاً صادقاً مؤدّياً إلى انفتاح ، وفتحاً مغرضاً مؤدّياً إلى انغلاق . .» .

هكذا نجح الفتح مع كلّ أصالة ، وهكذا خاب مع كلّ زيغ ، وهكذا كانت دائماً تنقل الهجرات تجاراتها من الجزيرة ، ويتقبّلها الجوار ، أكانت صدقاً يغني ، أم كانت هرفاً[1] يضني .

---

(١) الهرف : شبه الهذيان من الإعجاب بالشيء . (تهذيب اللغة ٦ : ١٤٩) .

بداية الحوار

بعد موت النبيّ ، بعد اجتماع السقيفة ، بعد نقض الوصيّتين : وصيّة الخلافة لعليّ ، ووصيّة الإرث بفدك لفاطمة ، شهد العالم الإسلامي بداية حوار

«وليس أحبّ إلى الحوار من المنطق ، وليس أشفع للمنطق من العقل ، وليس أجلى للعقل من الهدى ، وليس أقرب إلى الهدى من الصواب ، وليس أضمن للصواب من الحقّ ، وليس أجدر بالحقّ إلّا الذين انطوت في نفوسهم تلك القيم ، وأشرف ما في القيم نقاوة الوجدان» .

وكلّ قضيّة لا تستقيم بدون حوار . إنّ نهضات الأُمم ما تحقّق الجليل منها إلّا بعد حوار طويل ، ولا أقول : إنّ الحوار لا يمتشق حساماً ، فاصطراع العقائد يؤدّي في أغلب الأحايين إلى انفتاق الثورات في الشعوب لتحقيق الأفضل والأسمى . . إنّه الحوار الذي يتنكّر للكلام ويمتشق الحسام .

غير أنّ مفهوم الحوار بشكله الناضج هو ذلك الذي يعتمد الإقناع وسيلة إلى هدفه . أمّا إذا تعذّر الإقناع «فالسيف أصدق أنباءً من الكتب»[1] .

ويتميّز الحوار بين أن يكون رصيناً أو أن يكون مبتذلاً برصانة المتحاورين وصدقهم ، أو بإسفافهم وتخلّفهم . . وهنيئاً لمجتمع يعتمد

---

(١) هذا صدر بيت شهير لأبي تمّام الطائي ، قاله يمدح فيه المعتصم العبّاسي ويذكر حريق عمّورية وفتحها ، وعجزه : في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب . راجع ديوان أبي تمّام ١ : ٣٢ .

الحوار الرصين : حوار العقل والحجّة والمنطق ، إنّه يكون مجتمعاً يفتش تفتيشاً عن المثل .

كلّما كان الحوار رصيناً كان الوصول إلى الحقيقة أضمن وأوفى . . والحوار في المجتمع هو الطريق المؤدّي إلى تطوير هذا المجتمع تطويراً نامياً ، ولا ينهض مجتمع بغير حوار .

إنّ الحوار الذي قام بعد موت النبيّ لم يكن من هذا الوزن ، فالذين اجتمعوا في السقيفة لم يستدرجوا المجتمع إلى حوار ، لقد تحاوروا فيها بينهم ولم يستدعوا الشقّ الآخر لاستكمال عناصر التنقيب والتوجيه .

ثمّ إنّ المجتمعين أيُّ شيءٍ دعاهم إلى الاجتماع؟ هل هو استلام الحكم ، أم[1] هو الحرص منهم على الرسالة عن طريق استلام الحكم ؟

إن يكن الأوّل فلقد توصّلوا إلى الغاية ولا لزوم إلى حوار ، وإن يكن الثاني ـ كما هو الادّعاء ـ فلماذا الخوف من استدعاء رجل سلّمه زمام الرسالة من حمل الرسالة؟!

ولكنّ القضية لم تكن بحاجة إلى حوار ، لقد احتاجت إلى تصرّف .

إنّ أهل السقيفة تصرّفوا ، أمّا الحوار فإنّه قام في ما بعد . لقد دفعه حواراً ذلك الذي كان من الواجب أن يحسب قطب الحوار .

---

(١) الصحيح: أو .

الوتر المجروح

ما انبلج[1] صبح أشدّ كلوحاً من ليل كهذا الصباح الحزين يعصر ضلوع فاطمة الزهراء على حواشي فراش لصيق بالأرض سجّي عليه جسد بلا حراك . . جسد كانت عيناه لبضع ساعات خلت كانهمار النور من الكوى ، وكان فمه كانفتاح الكوى على المناور . .

وكانت تميد الأرض بفاطمة وهي تداعب يدين مرخيتين ، كأنّهما استسلام الحبّ في غمرته ، لا هي ترخيهما من بين كفّيها ، ولا هما بين كفّيها تتأوّدان . .

وكان فمها يتنقّل بشفتيه لثماً وتقبيلاً على طول هاتين الذراعين المتلاشيتين ، كأنّها تنقل إليهما من لواعجها[2] دفء الحياة وحرّة الدم .

وكانت نفسها تفيض شعاعاً وهي تطوف حول الفراش البارد بعينين مغمضتين على لهب المجامر ، لا الدمع يطفيها ، ولا برودة الموت ترويها .

وكانت مناجاتها تطوف صعداً وهبوطاً من قلبها إلى لسانها ومن جنانها إلى عمق كيانها ، كأنّها الوعي المسعور أو الشوق المحرور .

أبتاه! أطعمتني من قلبك وسقيتني من عينك ، لهذا أنا اليوم أتضوّر جوعاً إليك ، وأتقلّى ظمأً إلى عطفك .

---

(١) الانبلاج : الإضاءة . (جمهرة اللغة ١ : ٢٦٩) .

(٢) اللعج : حرار الحزن في الفؤاد . (العين للفراهيدي ١ : ٢٣١) .

أبتاه! يا أيها الهابط الجاثم ، ما هكذا تجثم الجبال على الشواطئ .

أيها الصامت الساكن ، ما هكذا تسكن الرياح مع السحب . .

أبتاه! يا أعطف وأكرم أب ، ما هكذا تنقطع الصلات ، ولا هكذا تنبتر المكارم .

وماكانت فاطمة لترتوي ، لا باللمس ولا بالهمس ، فالأب الذي كان يملأ عينيها ضياءً أغمض عينيه على هباء ، واليد التي كانت تلفّ خصرها بالحنان يبست على ملامسها الخمالة .

لهفي على فاطمة! لهفي على الرهيف من حسّها!

لهفي على القدّ النحيل يهصره[1] الألم!

لهفي على الصدّيقة التي رافقت أباها كما يرافق الظلّ أغصان الشجر والشذى الناعم النديان غبّ السوسنة!

فليكن لكِ البيت ـ يا فاطمة ـ في البقيع ، وليكن لكِ كلّ يوم بأبيك لقاء .

ليس كلّ أب كأبيكِ ، ولا كلّ دمعة كدموعك لها من سكبها طهر النزيف .

---

(١) الصهر : الكسر . (لسان العرب ٤ : ٤١٣٥) .

أُسامة

وأنت ـ أيّها الفتى البطل[1] ـ كانت تشوح بك البطولة إلى اقتناص الأمجاد. لقد كان حظّك بالقيادة مربوطاً بمصير، والجزيرة ـ يا أُسامة* ـ لم

---

(١) أبو زيد ـ ويقال غير ذلك في كنيته: أبو محمّد، أبو حارثة، أبو يزيد ـ أُسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزّي الكلبي: مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه. حدّث عنه: أبو هريرة، وابن عبّاس، وأبو وائل، وأبو عثمان النهدي، وعروة بن الزبير، وأبو سلمى، وعطاء بن أبي رباح، وابنا أُسامة نفسه: حسن، ومحمّد، وغيرهم. استعمله النبي ﷺ ـ وعمره ثماني عشرة سنة ـ على جيش لغزو الشام، كان فيه كبار الصحابة، ولقد أغار على أُبنى من ناحية البلقاء بعد وفاة الرسول ﷺ، وقيل: إنّه شهد يوم مؤتة مع والده. وقد سكن الجرْدة مدّة، وهي قرية جنوب غربي دمشق. كان رجلاً شديد السواد خفيف الروح شجاعاً، ربّاه النبي ﷺ وأحبّه كثيراً، وهو ابن حاضنة النبي ﷺ أُمّ أيمن (بركة)، وسنّه هو سنّ عائشة، حيث كان تربأ لها. مات بالمدينة، وقيل: بوادي القرى، وقيل: بالجرف، وذلك في آخر أيّام معاوية.

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٤: ٦١ ـ ٧٢، التاريخ الكبير ٢: ٢٠، المعارف: ١٤٤ و١٤٥ و١٦٤ و١٦٦، الجرح والتعديل ٢: ٢٨٣، معرفة الصحابة ١: ٢١٨ ـ ٢٢٠، رجال الطوسي: ٢١ و٥٧، الاستيعاب ١: ١٧٠ ـ ١٧١، سير أعلام النبلاء ٢: ٤٩٦ ـ ٥٠٧، العبر ١: ٥٩، الإصابة ١: ٢٩، تهذيب التهذيب ١: ١٨٢ ـ ١٨٣، منتهى المقال ٢: ٥ ـ ٨، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٢: ٣٩٤ ـ ٤٠٢).

(*) أُسامة هو: ابن زيد بن حارثة، وزيد هذا هو الذي تبنّاه النبي، ثمّ سلّمه قيادة جيش لغزوة «مؤتة»، [والقادة] ثلاثة: هو، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة، ولكنّه فشل في ذلك الحين وقُتل، وقُتل رفيقاه في القيادة أيضاً. ثمّ تولّى القيادة ـ فيما بعد ـ خالد بن الوليد، فغزا مؤتة وافتتح الشام. وأُسامة سلّم قيادة جيش كان من ضمنه: أبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطّاب، وعبد الرحمان بن عوف، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وسعد بن أبي وقّاص، وغيرهم. وأُمر للتوجّه إلى البلقاء لمحاربة أهل «أبنى» الذين قتلوا زيد بن حارثة في محاولته غزو الشام. ولقد تململ شيوخ

←

← الصحابة ، وطعنوا بإسناد القيادة إلى فتىً يافع! ولقد قال في ذلك النبي : «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إنّه كان لخليقاً بالإمارة ، وإنّ ابنه لخليق للإمارة» . ولكنّ جيش أُسامة لم ينطلق ، لقد أخّره مرض النبيّ . إنّ الصحابيين الذين كانوا فيه عرقلوا هذا الزحف بانتظار ما سيحدث للنبي ، وأغلب الظّن أنّهم كانوا يتوقّعون موته . (من المؤلّف) .

أقول : قوله: «لغزوة مؤتة» . . مؤتة : قرية من قرىٰ البَلقاء في حدود الشام ، وقيل : مؤتة من مشارف الشام، وبها كانت تطبع السيوف، وإليها تنسب المشرفية من السيوف . (معجم البلدان ٥ : ٢٢٠).

قوله : «جعفر بن أبي طالب» .

أقول: هو أبوعبدالله ذو الجناحين جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم الهاشمي القرشي : سيّد شهيد وعلم للمجاهدين . أُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وكان أسنّ من عليّ عليه السلام بعشر سنين . أسلم مبكراً ، وهاجر إلى الحبشة مع زوجته أسماء بنت عُميس ، فولدت له هناك عبدالله وعوناً ومحمّداً ، ثمّ هاجر إلى المدينة ، فوافى المسلمين وهم على خيبر إثر أخذها، فقال الرسول صلى الله عليه وآله : «ما أدري بأيّهما أنا أفرح: بقدوم جعفر، أم بفتح خيبر» ، فقبّل ما بين عينيه، وضمّه واعتنقه . روى شيئاً يسيراً ، وروى عنه : ابنه عبدالله ، وابن مسعود ، وعمرو بن العاص ، وأُمّ سلمة . أمّره رسول الله صلى الله عليه وآله على جيشٍ لغزو مؤتة بناحية الكَرَك ، فاستشهد سنة ٨ هـ ، فحزن الرسول صلى الله عليه وآله لوفاته ورثاه . يقال: عاش بضعاً و ثلاثين سنة .

(التاريخ الكبير ٢ : ١٨٥ ، حلية الأولياء ١ : ١١٤ ـ ١١٨ ، الاستيعاب ١ : ٣١٢ ـ ٣١٤ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٤٨ ـ ١٤٩ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٢٠٦ ـ ٢١٧ ، العبر ١ : ٩ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٧١ ـ ٢٧٣ ، نقد الرجال ١ : ٣٣٧ ، شذرات الذهب ١ : ١٢ و ٤٨ ، منتهى المقال ٢ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

قوله: «عبدالله بن رواحة».

أقول : هو أبو عمرو، أو أبو محمّد، أو أبو رواحة، عبدالله بن رَوَاحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري : صحابي شهير، وأمير شهيد ، وشاعر مجيد . روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وعن بلال . وروى عنه : أنس بن مالك ، والنعمان بن بشير . وأرسل عنه : قيس بن أبي حازم ، وأبو سلمة بن عبدالرحمٰن ، وعطاء بن يسار ، وعِكرمة ، وغيرهم . شهد بدراً والعقبة ، وليس له عقب ، وهو خال النعمان بن بشير ، وكان من كُتّاب الأنصار . استخلفه النبيّ صلى الله عليه وآله على المدينة في غزوة بدر الموعد ، وبعثه في سرية إلى أُسير بن رِزام اليهودي بخيبر ، فقتله . وقيل : إنّ ابن رواحة وأبا الدرداء أخوان لأُمّ . كان من الشعراء المجيدين وشاعراً للرسول صلى الله عليه وآله مع حسّان بن ثابت وكعب بن مالك . استشهد ←

ـ سنة ٨هـ في غزوة مؤتة .
(الجرح والتعديل ٥ : ٥٠ ، حلية الأولياء ١: ١١٨ ـ ١٢١ ، صفوة الصفوة ١ : ٤٨١ ـ ٤٨٥ ، أُسد الغابة ٣ : ١٥٦ ـ ١٥٩ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٢٣٠ ـ ٢٤٠ ، الإصابة ٤ : ٦٦ ـ ٦٧ ، تهذيب التهذيب ٥ : ١٨٦ ـ ١٨٧ ، خزانة الأدب ٢ : ٢٦٧ ، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٧ : ٣٩٠ ـ ٣٩٧ ، معجم الشعراء للجبوري ٣ : ٢٤٩).

قوله : «خالد بن الوليد» .

أقول : تقدّمت ترجمته سابقاً ، فراجع .

قوله : «وافتتح الشام » .

أقول: لاحظ: مرآة الجنان ١ : ١٧ ، شذرات الذهب ١ : ١٢ .

قوله : «عبدالرحمن بن عوف» .

أقول : هو أبو محمّد عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث الزُهري القرشي : من مشاهير الصحابة . كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو ، وقيل: عبد الكعبة ، فسمّاه النبي ﷺ عبدالرحمن ، أُمّه الشِفّاء بنت عوف بن عبد الزهري ، وقيل : صفيّة بنت عبد مناف بن زهرة بن كلاب . كان أبيض أعين طويل النابين الأعليين ضخم الكتفين أعسر أعرج . روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه : بنوه : إبراهيم، وحميد ، ومصعب ، وعمرو ، وكذلك أبو سلمة ، ومالك بن أوس ، وجُبير بن مُطعم ، وجابر بن عبدالله ، والمِسوَر بن مخرمة ، وطائفة سواهم . كان أحد الستّة أهل الشورى ، وكان أيضاً مجدوداً في التجارة على ما قيل ، خلّف ألف بعير ، وثلاثة آلاف شاة ، ومائة فرس . توفي سنة ٣٢ هـ ، عن خمس وسبعين سنة ، ودفن في البقيع .
(طبقات خليفة: ٤٥ ، المعارف : ٢٣٥ ـ ٢٤٠ ، مشاهير علماء الأمصار : ٨ ، حلية الأولياء ١ : ٩٨ ـ ١٠٠ ، الاستيعاب ٢ : ٣٨٦ ـ ٣٩٠ ، البدء والتاريخ ٥ : ٨٦ ـ ٨٧ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣٠٠ ـ ٣٠٢ ، دول الإسلام ١ : ٢٦ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٦٨ ـ ٩٢ ، مرآة الجنان ١ : ٧٣ ، شذرات الذهب ١ : ٣٨) .

قوله : «أبو عبيدة بن الجرّاح ».

أقول: هو أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجرّاح بن هلال بن أُهيْب بن ضبّة الفهري القرشي المكّي : أحد الصحابة المعروفين . روى أحاديث معدودة ، وحدّث عنه : العِرباض بن سارية ، وأبو أُمامة الباهلي ، وسَمُرة بن جُندب ، وعبدالرحمن بن غَنم ، وآخرون . كان رجلاً نحيفاً معروق الوجه خفيف اللحية طُوالاً أحنى أثرم . اشترك في بعض الغزوات ، وولّاه أبو بكر بيت المال ، ثمّ وجّهه

←

يكن حظّها وفيراً في سلوك المصاعد .

يا ابن زيد[١] ، يا بن بطل خرّ صريعاً في ساحة النضال ، لقد شهدت

ـ أميراً إلى الشام سنة ١٣ هـ ، وفيها استخلف عمر ، فعزل خالد بن الوليد ، وولّى أبا عبيدة . توفّي سنة ١٨ هـ بطاعون عَمَواس الشام ، وله ثمان وخمسون سنة ، ودفن بالقرب من بيسان .
(التاريخ الكبير ٦ : ٤٤٤ـ ٤٤٥ ، الجرح والتعديل ٦ : ٣٢٥ ، البدء والتاريخ ٥ : ٨٧ ، صفوة الصفوة ١ : ٣٦٥ـ ٣٦٩ ، أُسد الغابة ٥ : ٢٤٩ ، تهذيب الكمال ١٤ : ٥٢ـ ٥٧ و ٣٤ : ٥٤ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٥ـ ٢٣ ، العبر ١ : ١٥ و ٢١ـ ٢٢ و ٢٤ ، العقد الثمين ٤ : ٣٠٧ و ٦ : ٣٠١).

قوله : «سعد بن أبي وقّاص ».

أقول : هو أبو إسحاق سعد بن أبي وقّاص مالك بن أهيب بن عبدمناف الزُهري القرشي : من مشاهير الصحابة . أسلم قديماً ، وشهد بدراً والحديبية وغيرهما ، وهو أحد الستّة الذين جعل عمر فيهم الشورى . روى عن النبي ﷺ ، وعن خولة بنت حكيم . وروى عنه : ابن عبّاس ، وعائشة ، وابن عمر ، وجابر بن سمرة ، والسائب بن يزيد ، وقيس بن عبادة ، وغيرهم . يقال : إنّه هو الذي كوّف الكوفة ، وتولّى قتال فارس ، وكان أميراً على الكوفة لعمر ، ثمّ عزله ، ثمّ أعاده ، ثمّ عزله . كان رجلاً قصيراً دحداحاً غليظاً ذا هامة شثن الأصابع . مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة وله من العمر نيّف وسبعون سنة ، وحُمل إلى المدينة على أعناق الرجال ، ودفن بالبقيع ، وصلّى عليه مروان بن الحكم . واختلف في تاريخ وفاته اختلافاً كثيراً ، فيما بين سنة ٥١ هـ وسنة ٥٨ هـ .
(الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ١٣٧ ـ ١٤٩ ، المعارف : ٢٤١ ـ ٢٤٤ ، حلية الأولياء ١ : ٩٢ ـ ٩٥ ، الاستيعاب ٢ : ١٧١ ـ ١٧٤ ، تاريخ بغداد ١ : ١٤٤ ـ ١٤٦ ، دول الإسلام ١ : ٤٠ ، العبر ١ : ٦٠ ـ ٦١ ، تهذيب التهذيب ٣ : ٤١٩ ـ ٤٢٠ ، شذرات الذهب ١ : ٦١).

قوله : «أُبنى ».

أقول : هو موضع بالشام من جهة البلقاء . وقيل : هي قرية بمؤتة . (معجم البلدان ١ : ٧٩).

قوله : «ولقد قال النبي ﷺ : . . . » .

أقول : راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ١٩٠ و ٤ : ٦٧ ـ ٦٨ ، مسند ابن الجعد : ٤٢٤ ، المسند لأبي يعلى ٩ : ٣٩٠ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٢١٥ ، السيرة النبوية لابن سيّد الناس ٢ : ٣٥٢ و ٤٣٠ ، كنز العمّال ١٠ : ٥٧٣ ، بحار الأنوار ٢١ : ٤١٠ و ٣٠ : ٤٢٩ ، أعيان الشيعة ١ : ٢٩٢ .

(١) أبو أُسامة زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبدالعزّى بن يزيد الكلبي : سيّد الموالي وأسبقهم إلى الإسلام ، وحِبّ رسول الله ﷺ . أُمّه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر الطائي . كان رجلاً قصيراً شديد الأدمة أفطس أصغر من النبي ﷺ بعشر سنين على ما قيل . شهد بدراً والمشاهد ، وأمّره

←

«مؤتة» بداية الصراع على يدي أبيك[١] في جلوة الحقّ وتكنيس الحرم من أدران[٢] الوالغين[٣] ، خرّ صريعاً وكان شهيد المحاولة .

وأنت يا أُسامة ، يا شهادة الحقّ بأنّ البطولة ليست وقفاً على عدد السنين ، كان حظّك ـ وأنت ابن العشرين ـ يضعك على الحظّ الذي يمشي عليه الأبطال التاعسون .

لقد مات النبيّ وهو يقلّدك الوسام[٤] ، فارتبط حظّك البائس بحظّ الجزيرة الذي وقف على المفرق الخَطِر .

ومثلما تنكّبت عن علي أثقال الخلافة ، تنكبت عنك ـ يا بن زيد ـ أمجاد القيادة .

ـ الرسول ﷺ على بعض سراياه ، وزوجه من مولاته أُمّ أيمن (بركة) ، فولدت له أُسامة . وبه كان يكنّى . روى عن النبيّ ﷺ. وروى عنه : ابنه أُسامة ، والبراء بن عازب وعبدالله بن عبّاس. آخى الرسول ﷺ بينه وبين حمزة بن عبدالمطّلب. استشهد سنة ٨ هـ بمؤتة من أرض الشام ، وكان أحد أُمراء تلك الغزوة بالإضافة إلى جعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة .

(تاريخ خليفة : ٤٠ ـ ٤١ ، الجرح والتعديل ٣ : ٥٥٩، معجم الصحابة لابن قانع ٥ : ١٧٠٣ ـ ١٧١٠ ، الثقات لابن حبّان ٣ : ١٣٤ ـ ١٣٥ ، الاستيعاب ٢ : ١١٤ ـ ١١٨ ، أُسد الغابة ٢ : ٢٤٤ ـ ٢٢٧ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، تهذيب الكمال ١٠ : ٣٥ ـ ٤٠ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٢٢٠ ـ ٢٣٠ ، العقد الثمين ٤ : ١٣٨ ـ ١٤٦).

(١) قد ذكر بعض المحقّقين : أنّ الأمير الأوّل في واقعة مؤتة هو جعفر بن أبي طالب لا زيد بن حارثة ، راجع .

(٢) الدَرَن: ما علق باليد أو الثوب من الوسخ. (جمهرة اللغة ٢: ٦٤٠).

(٣) الوالغ أو المستولغ : الذي لا يبالي ذمّاً ولا عاراً ، بمنزلة الكلب يلغ في كلّ قذر . (العين للفراهيدي ٤ : ٤٥٠) .

(٤) أي : وسام إمارة الجيش . راجع : المنتظم ٤ : ١٦ ـ ١٧ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٢١٥ ، البداية والنهاية ٥ : ٢٢٢ ، سمط النجوم العوالي ٢ : ٣٠٨ .

عتب

من كان يحسب أنّ فاطمة المفجوعة بأبيها لا تجد ـ بعد موت النبيّ ـ لفيفاً يتقاسم حزنها ويخفّف لوعتها؟!

عتباً على التاريخ ! يتقبّل في فاطمة : كلّ كلمة مجنّحة ، كلّ وصف تتشوّق إلى مثله مخامل الورد ومعاطف النرجس ، كلّ صفة كأنّها تيمّن الأرض بأنقى الشمائل . . ثمّ يتقبّل جحوداً بها ، كأنّها الغفلة المنسية أو النواة المرمية!

يا أهل الجزيرة ، هذه الديمة هي أرخية ذلك السحاب ، يا تحرّق الغبار إلى السراب!

صدمة

كان بالإمكان أن تخفّ لوعة فاطمة على أبيها . . أجل ، على أبيها الذي اعتادت كلّ عمرها غرف الحنان من حضنه ، ولم يكن وجود علي ليخفّف من تلك اللوعة ، مع أنّه أصبح كلّ شيء في دنياها ، فهو رفيقها الأنيس الصادق وأبو ريحانتيها النديّتين الصافيتين ، ولكنّ الجفاء الذي قابلها به من حلّ في الحكم والإدارة محلّ أبيها هو الذي وسّع على قلبها غمرة الحزن! فالمركز الذي كان يحتلّه النبيّ هو نتاج عقله وخياله ، ونحاتة عزمه وجهاده ، وحرم تفلّته واندغامه ، ومحراب سجوده وقيامه . وما كانت فاطمة في محرابه إلّا صلاة في ابتهاله ، فهي شعاع نفسه وبعض فؤاده .

إنّ الذي حلّ محلّ أبيها في الحكم والتوجيه لم يحلّ محلّ أبيها بالعطف ، حلّ بالعنف ولم يحلّ بالتؤدة ، حلّ كما أراد هو لا كما أراد أبوها ، ذلك كان بحسّ فاطمة كلّ الاغتصاب .

لقد كان أبوها أباً لها قبل أن يكون أباً لأيٍّ سواها ، فما بال القوم يغتصبون منها حتّى أباها؟!

وأبوها هو الذي صنع الجزيرة ، ولقد أحبّته الحبّ الدافق ؛ لأنّه بالحصر صنع الجزيرة . فبأيّ عرف جاحد تزحف الجزيرة اليوم لتحطيم حشاشتها وتهشيم ضلوعها؟!

وأبوها هو الذي كان ربّ المنطق والبيان وباعث الحقّ وباعث الإيمان ، وهو الذي قاد ، وهو الذي وجّه ، وهو الذي أخصب ، وهو الذي وزّع ، فبأيّ

بيان تسدّ عليه سبل المنطق؟! وبأيّ حقّ يُحجب من بعده الرأي السديد؟!

ولم يكن النبيّ ليخلف إلّاكلّه ، ليخلف : في ما قال ، وفي ما عمل ، في ما أخذ ، وفي ما بذل ، وفي ما وهب ، وفي ما أوصى ، وفي ما احتسب ، وفي كرهه ، وفي حبّه ، وفي نهيه ، وفي رغبه . .فأيّ شيء هذه الخلافة منقوصة مبتورة مفتولة مشطورة؟! ما طعم الغيرة عليها وفيها الأثرة؟! ما قيمة الشأن لها ظاهره الصدق وباطنه الحيلة؟! لقد ضاق النّبي ﷺ فيها وفيها قَصُر ، وهو الطويل النجاد[1] والواسع العباب . . أهي خلافة لنبيّ ، أم هي تظهير للون؟ وسع الحرص فيها حتىٰ ضاق ، وضاق العدل فيها حتّىٰ انفرط! وكان الحرص في النبيّ فيضاً وتوزيعاً ، وكان العدل عند النبيّ رحمة وتوسيعاً .

كلّ هذه الأفكار كانت تدور في رأس فاطمة الحزينة ، وقد أُقْحِمت الخلافة علىٰ أبي بكر الصدّيق بكلّ ما في الأمر من نقض وصيّة أبيها الموصي . وفدك نحلة أبيها إليها قد قُطِعَتْ عنهاكما تُقطع يد السارق!

(١) طويل النجاد :كناية عن طول القامة ؛ لأنّ النجاد : حمائل السيف ، فإذا طالت القامة طالت الحمائل بلا شكّ . وهذا من أحسن الكنايات .

لاحظ : النهاية الأثيرية ٢ : ٧١٢ ، مختصر المعاني : ٢٥٧ و ٢٥٩ ، مجمع البحرين ٣ : ١٤٩ .

بلاغة

أيّ شيء نفر بفاطمة إلىٰ ساحة المسجد ؟ !

من قال : إنّ البطولات وقف علىٰ الرجال ؟ !

من قال : إنّ النفوس الكبيرة تعيش بغير شموخ ؟ !

من قال : إنّ الشعور بالحقّ يرضى بالمهانة ؟ !

كلّ ذلك وجد تطبيقه في الزهراء وهي تمشي متلفّعة[1] بوشاحها الأسود نحو باحة المسجد ، بقدّ نحيل جارت عليه مبراة الألم . . أيّ ألم؟! وهل للمفجوع غير التأسّي ؟ !

ولكنّ فاطمة الزهراء عليها السلام ما جاءت تقول للناس : عزّوني ، بل جاءت إلىٰ الخليفة لتريه لون الشعاع في الشمس ، ولتسمعه نبرة الناي في خفق العواصف . .

لقد قالت له المعنى الكثير ، ولكنّ البليغ الذي سمعه هو الذي كان مسحوقاً بصمت ، والذي جاء ملفوفاً بوشاح .

---

(١) التلفيع : التغطية . (صحاح اللغة ٣ : ١٢٧٩) .

دمعة

لا علي ولا فاطمة كانا مقتنعين بنجاحهما باسترجاع فدك ، ولم يكن تصرّف فاطمة بالإقدام والمطالبة ـ أكان ذلك في باحة المسجد على ملأ من المسلمين أم كان في مراجعات أُخرى في بيت الخليفة أم في بيوت الأنصار أم في أيّة من المناسبات العارضة ـ عن اقتناع بأنّ حقوقها بالإرث ستعود إليها .

ولم يكن ذلك أيضاً دليلاً على تفتيش البيت عن مورد يؤمّن له الثروة والترفيه ، فالبيت هذا ألف القناعة في العيش . .

إنّ جهاز فاطمة لم تكن قيمته أكثر من قيمة درع ، ولم يكن زواج فاطمة بعلي إلّا ليكون في معناه ومجتناه متانة درع .

لقد قنعت ابنة الرسول في يوم عرسها بثوبين من الصوف بقطيفة وخمار ، فقنعت بفراش من خيش[1] محشو بليف ، وقنعت بقدر واحد وجرّة خضراء ، ورحى لجرش حبّات الشعير تديرها بكفّها الهزيلة ، ولم تطمع بأكثر من قعب[2] للّبن ، وشنّ[3] للماء ، وقطعة حصير[4] . .

---

(١) الخَيش : ثياب من الكتّان في نسجها رقّة ، تتخذ من أصلب العصب . (العين للفراهيدي ٤ : ٢٨٤) .

(٢) القَعب : إناء ضخم . (المصباح المنير : ٥١٠) .

(٣) الشنّ : سِقاء يبرّد فيه الماء . (تهذيب اللغة ١١ : ١٩١) .

(٤) قارن : مسند أحمد ١ : ٨٤ و١٠٨ ، خصائص النسائي : ٧٨ ، الأمالي للطوسي ١ : ٣٩ ـ ٤٠ ، تاريخ ←

هذه هي الدرع درع علي التي حملها علي إلىٰ السوق بنفسه وباعها بأربعة مائة درهم ؛ ليصرفها جهازاً لعروسه[١] .

«هذه هي حقيقة البيت الذي يطالب بفدك ، يطالب بها ، لا ليزيد لنفسه ثروة ، بل ليزيد من متانة الإسلام ، ليزيد من أعمال البرّ وتفريق الحسنات علىٰ كلّ هؤلاء الذين يعيشون في الجزيرة علىٰ مجاعات ، وأشدّها مجاعة الفكر ومجاعة الروح» .

لذلك هبّت فاطمة تطالب بالإرث ، لا لتحصل علىٰ الإرث ، بل لترهف حساً جماعياً لا يزال يهجع في الذلّ ويرضى بالاستكانة ، لتظهر للحاكم أنّه لن يتمكّن من القيادة وفي عينيه دكنة من ظلم ومسحة من اغتصاب ، لتظهر له أنّ فدكاً وكلّ شبيه بفدك شوكة في عين الخلافة وكلّ خلافة إلىٰ أن تنزع .

إنّ ألم فاطمة لم يكن مصدره موت أبيها أكثر ممّا كان مصدره أنّ رسالة أبيها ما إن عاشت حتّىٰ دخلت في حشرجة !

لم تكن فاطمة تحبّ في أبيها زنده المفتول وصدره البضّ[٢] ، لقد كان حبّها له في صفوة العقل وانبعاث الروح ، لقد أحبّته في أُفق . . ولمّا مات كانت تدرك أنّ لكلّ إنسان نهاية ، وأنّ في رسالة أبيها تكون البداية .

وها هي الرسالة أخذوها للاستعمال ولم يأخذوها للاكتمال ، أخذوها

ـ مدينة دمشق ١٣ : ٢٢٦ ، كفاية الطالب : ٣٠٢ـ٣٠٣ ، كشف الغمّة ١ : ٣٦٩ ، ذخائر العقبىٰ : ٢٧ و ٣٤ ـ ٣٥ و ١٠٥ ، الرياض النضرة ٣ : ١٢٦ ـ ١٢٧ ، نظم درر السمطين : ٢٤٢ و ٢٤٥ ، جامع المسانيد والسنن ٢٠ : ١٥١ ـ ١٥٢ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٠٥ و ٢٠٦ ، إحقاق الحقّ ١٠ : ٣٦٩ ـ ٣٨١ و ١٩ : ١٤٤ ـ ١٤٦ ، إتحاف السائل : ٣٧ ـ ٤٠ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٥٣ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٩٤ ، ينابيع المودّة ١ : ١٧٢ ـ ١٧٣ ، أعيان الشيعة ١ : ٣٧٩ ، ملحقات الإحقاق ٢٥ : ٤٤٣ ـ ٤٤٨ و ٣٣ : ٣٤٤ ـ ٣٤٦ .

(١) راجع المصادر المتقدّمة في الهامش السابق .

(٢) البضّ : الرقيق الجلد الممتلئ . (القاموس المحيط ٢ : ٣٣٦) .

أداة ولم يأخذوها صفوة أناة!

إنّ الذين يغتصبون خلافة ليس كثيراً عليهم أن يختلسوا قطعة أرض! وإنّ الذين يعيشون في رهافة الحسّ كفاطمة وعلي ليس كثيراً عليهم أن يضنيهم التبرّم والألم وهم يشاهدون بأعينهم مشاهد المأساة .

ولقد برزت فاطمة إلى الساحة تمثّل دورها الناعم ، فكانت كشعاع الشمس دافئ ولكنّه حارق ، وكانت كحدّ السيف رهيف ولكنّه قاطع .

ولقد أدرك أبو بكر الصدّيق عمق القضيّة فبكى ، ولم يكن بكاؤه عاطفة هيّجتها فيه فاطمة بثكلها أو يتمها ، أو أثّرت عليها أنوثة فيها مكسرة الهدب أو ذابلة الوجنتين ، لقد بكى من هزّة في نفسه ، ومن شعور في ضمنه إزاء وجفة من ضمير ، وومضة من وجدان .

لقد كان يعرف أنّ الخلافة ما وصلت إليه مفتوحة على كفّ من السماح ، فلقد كان ينقصها كثير من الصراحة مع كثير من انبساط الخواطر ، لقد كان ينقصها الإجماع . . لقد نقصها الحسّ الصادق ، والشعور البريء ، والعين الرضية . .

وليس قليلاً هذا الّذي نقصها! فالحاكم هو الصدر مشتبكة كلّ ضلوعه . إنّ ضلعاً منه مبسوراً[1] يشغل القلب ويضني التنفّس ، والحاكم هو للكلّ قبل أن يكون لنفسه ، وهو عقل وقلب وقلب وعقل ، وهو كلّ النظافة . . إنّ النظافة يجب أن تكون كلّ إطاره . لهذا يجمل بالحاكم الأوّل أن يستقطب إليه الحسّ الجماعي ، حتّى يأتي دوره في الحكم تلبيةً لاحترام كامل يضمن له صدق العمل وصحّة المسير .

---

(١) بَسَر القرحة : نكأها قبل النضج . (لسان العرب ١ : ٢٩٠) .

ومركز أبي بكر الصدّيق في الخلافة كان في هذا الانتخاب محصوراً في سقيفة ، وكان الأولىٰ به أن يكون في الساحة التي ليس فوقها لا جذوع ولا سقوف .

إنّ الخلافة بمعناها الصادق لا تتمكّن من التلقّط بكلّ أزمّتها[١] ، إلّا في الساحة المكشوفة . . هنالك يتمكّن الجميع من تسريح النظر ، فمثلما هو للكلّ عليه أن يعرض نفسه أمام الكلّ . . إنّ حكمة الحاكمين لا تتجلّىٰ في المخابي ، وما ينشأ في المخابي تمتهنه المكاشف!

لقد كانت الوصيّة بالخلافة لعلي ، لقد جاهر علي بذلك ، ولقد كان الأولىٰ أن يُعرض عليّ علىٰ الساحة لتقول الساحة كلمة الفصل ؛ إذ عليها هي أن تحقّق في صدق الوصيّة للعمل بها أو لنقضها ، ولم يكن ذلك مطلقاً من اختصاص السقيفة .

طلب العبّاس[٢] وأبو سفيان[٣] إلىٰ علي أن يبايعاه ـ وهو مازال إلىٰ جوار

---

(١) الزمام : المقود . (المصباح المنير : ٢٥٦) .

(٢) أبو الفضل العبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمي القرشي : عمّ الرسول ﷺ وأحد المشاهير ، أُمّه نُتيلة بنت جَناب بن كليب . ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين ، وكان رجلاً شريفاً مهيباً عاقلاً جميلاً جهوري الصوت . أسلم قبل الهجرة ، وكتم إسلامه ، وخرج مع قومه إلىٰ بدر ، فأُسر يومئذٍ وأُطلق سراحه . روىٰ عن النبي ﷺ ، وروىٰ عنه : أبناؤه : عبد الله ، وعبيدالله ، وكثير ، والأحنف بن قيس ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وآخرون . وقد ثبت أنّ العبّاس كان يوم حنين وقت الهزيمة آخذاً بلجام بغلة النبي ﷺ وثبت معه حتّىٰ نزل النصر . توفّىٰ بالمدينة المنوّرة سنة ٣٢ هـ عن عمر ناهز الستّ والثمانين سنة ، ودفن بالبقيع ، وقيل : توفّي سنة ٣٣ هـ ، وقيل : بل سنة ٣٤ هـ .
(التاريخ الكبير ٧ : ٢ ، أُسد الغابة ٣ : ١٠٩ ـ ١١٢ ، تهذيب الكمال ١٤ : ٢٢٥ ـ ٢٣٠ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٧٨ ـ ١٠٣ ، مرآة الجنان ١ : ٧٣ ، تقريب التهذيب ١ : ٤٧٣ ، تهذيب التهذيب ٥ : ١٠٧ ـ ١٠٨ ، شذرات الذهب ١ : ٣٨) .

(٣) تقدّمت ترجمته سابقاً ، فراجع .

جثمان النبيّ ـ فأجاب : «إنّي لأكره أن أُبايع من وراء رتاج[١]»[٢] .

في هذا الاتّجاه المنقوض شقّت خلافة أبي بكر الصدّيق دربها ، تاركةً وراءها اتّجاهاً آخر يشقّ عليه الانقسام درباً مؤدّياً إلى جبهة خصام .

إنّ احتجاج فاطمة عن سلبها الإرث كان بالفعل تنبيهاً لإصلاح زلل ، حرّك دمعة في عين الصدّيق ، ليتها لم تنشف !

---

(١) الرتاج : الباب . (جمهرة اللغة ١ : ٣٨٥) .

(٢) لاحظ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ١٩٦ و ١١ : ٩ .
والمعروف أنّ أبا سفيان دخل على علي والعبّاس ـ وهما يجهّزان الرسول ﷺ ـ فطلب من علي عليه السلام طلبه ، فأجابه بقوله : «ارجع يا أبا سفيان ، فو الله ما تريد الله بما تقول ، وما زلت تكيد الإسلام وأهله ، ونحن مشاغيل برسول الله ﷺ ، وعلى كلّ امرئ ما اكتسب ، وهو ولي ما احتقب» .
راجع : الأغاني ٦ : ٣٣٤ ، الإرشاد ١ : ١٩٠ ، إعلام الورى ١ : ٢٧١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد ٣ : ٢٠ ، النزاع والتخاصم : ٥٥ .

ثلاث نساء

يتناول الحديث ثلاث نساء كان لهنّ على الإسلام شأن بالغ ، ولقد أثبت الإسلام فيهنّ فضله في انتشال المرأة من مركز المهانة إلى مركز الإجلال والاحترام .

ولقد برهنت كلّ واحدة منهنّ عن أنّ المرأة تستجيب للجوّ الذي تنشأ فيه ، وتنعكس فيه التربية التي تترتى عليها ، وتتمكّن من أن تسمو مع السمو . .

كلّ ذلك بنسبة تتجانس مع قواها التي محضتها بها الطبيعة كامرأة لها كيان خاصّ بها ، ومواهب ذاتيّة منبثقة من تركيبها الخاصّ .

خديجة

أُولاهنّ خديجة أُمّ المؤمنين الأُولىٰ . . تلك التي كانت لها قافلة سئمت حدوها ، فأذابتها في قافلة أُخرىٰ لفّ صوت حاديها جنبات الكون .

والتاريخ يعلم أنّ خديجة لم يكن لها شأن كبير قبل أن تجد علىٰ طريقها الأمين محمّداً ، ولقد ورد في سياق هذا الكتاب كيف أنّ خديجة تخطّت التقاليد وأقدمت علىٰ تزويج نفسها ممّن أحبّت .

غير أنّ المقصود في هذا البحث هو إظهار الناحية التي تخصّص بالمرأة في إتاحة الفرص لتربيتها وتنشئتها التنشئة الصحيحة ، ثمّ تركها تختار من نفسها تخطيط مصيرها ، فهي إذ تشعر بمركزها المحترم وبإرادتها المعتبرة تضع نفسها في الخطّ البنّاء لمشاركة الرجل في الأعمال ، ولتحمّل المسؤولية التي تلقيها عليها طبيعة وجودها .

ولقد وضعت خديجة نفسها علىٰ مثل هذا الخطّ ، ولم يكن الفضل في ذلك المألوف التربية في محيطها ، ولكنّ الظروف أتاحت لها ما حقّق شخصيتها وأبرز مواهبها .

أحبّت ـ وهي في سنّ الأربعين ـ حبّاً أوحاه العقل ، فهو حبّ معتبر عن حقيقته . والأمين محمّد ـ فضلاً عن كونه نسيج وحده[1] ـ هو أيضاً في سنّ

---

(١) هذا مثل ، يقال : فلان نسيج وحده ، أي : لا نظير له . وأصله الثوب النفيس لا ينسج علىٰ منواله غيره معه ، بل ينسج وحده . (جمهرة الأمثال ٢ : ٣٠٣) .

الرشد والاختمار ، قدّر قيمة هذا الحبّ ، فلم يتأخّر عن الاستجابة له .

زواج قوبل من الطرفين بذات الشعور ، بذات التقدير ، بذات الاحترام . . وجعل من الاثنين لحمة متفاهمة متكاملة متلاحمة متفاعلة ، لم ينغّصها يوماً أيّ خلاف .

ولقد خدم هذا الرباط حتىٰ مدّ القدر يده ، فاختطف السيّدة الكبيرة إلىٰ العالم الأوسع .

إنّ خمساً وعشرين سنة كانت مليئة بالحبّ والتفاني ، ولقد ذابت خديجة في حبّها ، وأخذت من زوجها كلّ ما أعطاها ، وأعطته كلّ ما أخذ منها ، لقد كان الأخذ والعطاء بنسبة واحدة بدون أيّ شعور من الطرفين بأنّ الأخذ هو غير العطاء ، أو أنّ العطاء هو غير الأخذ .

أعطت خديجة زوجها حبّاً وهي لا تشعر بأنّها تعطي ، بل تأخذ منه حبّاً فيه كلّ السعادة ، وأعطته ثروة وهي لا تشعر بأنّها تعطي ، بل تأخذ منه هداية تفوق كنوز الأرض . . وهو بدوره أعطاها حبّاً وتقديراً رفعاها إلىٰ أعلىٰ مرتبة وهو لا يشعر بأنّه أعطاها ، بل يقول : «ما قام الإسلام إلّا بسيف علي وبثروة خديجة»[١] . وأعطاها عمره وزهرة شبابه ، ولم يبدّل عليها امرأة حتّىٰ غابت عن الوجود وهو لا يشعر بأنّه أعطاها ، وهو يقول : «لا والله ، ما أبدلني الله خيراً منها ، آمنت بي إذ كذّبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس»[٢] .

---

(١) الظاهر أنّ هذا النصّ من المأثورات . لاحظ : نور الأفهام ١ : ٤٩٧ ، من هنّ زوجات الرسول المصطفىٰ ﷺ : ٥٧ .

(٢) قارن : مسند أحمد ٦ : ١١٧ ـ ١١٨ ، صحيح مسلم ٤ : ١٨٨٩ ، الذرّية الطاهرة : ٥١ ، المنتظم ٣ :

←

إنّ في مثل هذا الحبّ صادقاً صافياً تجد المرأة نفسها سيّدة نفسها ، سيّدة بيتها ، سيّدة مصيرها . . وبمثل هذا الحبّ يجد الرجل جوّه رحباً فسيحاً وكاملاً جميلاً .

إنّ التربية وحسن التنشئة وإفساح المجال للاختيار كفيلة جميعها بإنشاء البيت السعيد لمجتمع إيجابي صحيح .

ـ ١٨ ، أُسد الغابة ٥ : ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ، تذكرة الخواصّ : ٣٠٣ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٢٤ ، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ : ١٥٠ ، ينابيع المودّة ١ : ١٦٨ .

فاطمة

ونجد في فاطمة الزهراء مثالاً تطبيقياً آخر على كون المرأة هي استجابة لتلك التربية الممتازة ولادةً وتنشئةً ، عملاً وإيحاءً .

لقد ربيت فاطمة في حضن أُمٍّ كان الحنان يذوب من أردانها ، وحنان الأُمّ ما فاض من قلب أُمّ إلّا بمقدار ما تفيض عليها في البيت السعادة ، ولن تقاس السعادة في بيوت المتزوّجين إلّا بميزان واحد ، هو ميزان الحبّ في تفاهم وتبادل وانسجام . فالبيت بكلّ ما فيه وحدة حياتية دون تمييز أو مفاضلة ، دون محاسبة على أخذ أكثر أو عطاء أقلّ ، ثمّ إجراء مناقصة أو مزايدة . .كلّ ذلك بعفويّة يشملها الغفلة والنسيان ، وبعطف يفرضه العقل السليم نظافة وصدق شعور وتلبية وتنزيه ميول .

لقد وجدت فاطمة في بيتها كلّ هذا عمراً موفوراً . . وجدته حتّى من قبل أن تنزل تكويناً في بطن أُمّها ، لقد مهّد لها هذا الجوّ وأُمّها لا تزال بعد تداعب طيف الحبّ في قلبها ومحمّد غائب بالقافلة بين مكّة والشام . .

وجدته وهي جنين في الحشا ، تتلمّس أُمّها بها خاصرتيها مع الليالي الطوال بمناجاة كأنّها عذوبة الأحلام . .

وجدته مع أوّل شعاع أبصرته بعينيها بعد هبوطها إلى الحضن الرفيق . .

وجدته مع قطرة الرضاع حاملة كلّ أشواق الأُمومة .

وجدته في طفولة بريئة قفزاً من حضن إلى حضن ، ومن عنق إلى زند ، بين أُمّ حانية ذائبة ، وأب وادع حالم ، وأخوات ناعمات راغدات ، ورفيق

تطوف في عينيه لمعة سيف . .

وجدته في فتوّتها تنفتح علىٰ أسرار الحياة فهماً وتيسير فهم ، وحساً وترهيف حسّ ، وشموخاً وتعزيز شموخ .

لقد تولّد لفاطمة في هذا الجوّ الرائع رأي شخصي حرّ ، هو كلّ ما أمّنه لها مناخ البيت . . لقد كان يسأل النبي في قضية فيجيب : «لنأخذ أوّلاً رأي فاطمة» .

هكذا كان لفاطمة رأي في تربية صحيحة ، كانت لشخصيّتها فيها تلك التنمية .

ولم تخب التربية ، فبمقدار ما توفّرت أجابت ، توفّرت غزيرة وأجابت بغزارة . .

هكذا تزوّجت فاطمة رجوعاً إلىٰ رأيها ، واقتناعاً منها بصدق الرجل الذي تزوّجته .

لم تكن تجيب ـ كما أفصحت عن نظرتها ذات مرّة لأبيها ـ «أن ترى رجلاً»[1] ؛ رأياً منها بأنّ المرأة إذ تعتبر سلعة وتحقيق شهوة للرجل ، تتدنّىٰ مرتبتها في الحياة وتنحطّ ، في الوقت التي هي فيه نصف الحياة في جدّ الحياة ، نصف البيت في تكوين البيت ، نصف المجتمع في تدعيم المجتمع ، نصف السعادة في استقطاب واستكمال السعادة . وميول الرجل وميول المرأة هي من معدن واحد ، تأخذ منه الحياة مزيج عصارتها وطبخة قِدرها ،

---

(١) لاحظ : كتاب العيال لابن أبي الدنيا ٢ : ٥٩٣ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٣٨٩ ، كشف الغمّة ٢ : ٩٢ ، العدد القوية : ٢٢٤ و ٢٢٥ ، مجمع الزوائد ٤ : ٢٥٥ و ٩ : ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، جامع الأحاديث ١٦ : ٤٦٧ ، كنز العمّال ١٦ : ٦٠٢ ، المحجّة البيضاء ٣ : ١٠٤ ، وسائل الشيعة ٢٠ ، ٦٧ و ٢٣٢ ، بحار الأنوار ٣٧ : ٦٩ و ٤٣ : ٥٤ ، ٨٤ و ١٠٠ : ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

فلا يجوز أن يفسد شطر من المزيج بامتهان أو بتقليل قيمة .

هكذا تنشأ الأُسرة الفاضلة ، وهكذا ينمو المجتمع الفاضل . . نظرة صحيحة ، وتطبيقاً صحيحاً ، وإنتاجاً صحيحاً ، ونتيجة صحيحة .

وكان لفاطمة البيت الصحيح ، البيت الذي تركّز على نظرة صحيحة . ولقد وجد علي في فاطمة تكميل حياته ، فاطمأنّ وراح يعمل من وحي هذه الطمأنينة ، باندغام استجابته قبل أن يتمّ تأليف البيت ، لولا ذلك الاقتناع الموحى من قبل لما تمّت بينه وبين فاطمة هذه الوحدة التي لم يفرطها إلّا الموت .

عائشة

ولن يكون الحديث في عائشة أُمّ المؤمنين الثانية إلّا ليجد فيه تطبيقاً للنظرة الاجتماعية التي ترى في التربية هذه النسبيّة في الانعكاس .

وماكان الزواج الباكر لعائشة من النبيّ[1] إلّا ليكون زواجاً ذا لون . إنّ ربط الأواصر بالزواج كان مألوفاً ، لا سيما في ذلك العهد الموصول بالجاهليّة ، والمتلقّط بالتقاليد القاسية الناشفة ، والمضغوط بروح قبليّة مفروضة .

ثمّ إنّ القربى من النبيّ أصبحت ـ بعد انتصاراته الباهرة ـ مطمع هؤلاء الأسياد ؛ ليجدوا فيها بعض التغطية عن زعاماتهم المهدّدة بالتلاشي ، فاستعاضوا عنها بإذابتها في زعامة ثانية هي اليوم زعامة فيها من اللمعان ما يبهر ، وكانت القربى من الرسول برباط الزيجة من أجلّ هذه المظاهر .

ولقد لبّى الرسول قدر المستطاع ميل التقرّب مطلوباً إليه في سبيل توحيد الجزيرة ورفع جانبها ، وماكان قبوله بعائشة ـ رغماً عن حداثة سنّها ـ إلّا تظهيراً لهذا اللون السياسي ، مضفياً عليه عطف القلب الذي أفلتت منه

---

(١) قارن : الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨ : ٥٨ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٧ : ٧١ ، تاريخ مدينة دمشق ٣ : ١٨٠ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ : ٢٨٨ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ١٤١ ، تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٦٣ ، إرواء الغليل ٧ : ٦٠ .

مع العلم بأنّ بعض المحقّقين قد ادّعىٰ أنّ عمر عائشة حين عقد عليها النبي ﷺ ما بين ثلاثة عشر إلىٰ سبعة عشر سنة . لاحظ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ٣ : ٢٨٥ ـ ٢٨٧ .

خديجة إلىٰ الأبد .

تلك كانت رغبة أبي بكر الصدّيق في تزويج ابنته من الرسول ﷺ ، فاحتُمِلَتْ إلىٰ العشّ الزوجي مع لعبها وملاهي طفولتها . .

إنّه زواج من غير النوع الذي تمّ به زواج خديجة ، وهو بكلّ جلاءٍ من غير النوع الذي تمّ به زواج فاطمة .

هنالك حبّ خَبَر نفسه ، وعيّن دربه ، وامتلأ بحريّته ، فكان زواجاً معبّراً تمام التعبير عن خطّة وهدف ، ليتحمّل عن رضىً كامل كلّ مسؤوليّاته غير منقوصة .

أمّا زواج عائشة ، فلقد كان من جهة عائشة محتاجاً إلىٰ عنصر التلبية الفاهمة المقتنعة ، فإنّها لم تكن في عمر يمكّنها من فهم ما تقدم عليه . . إنّ هذا التفهّم من أبيها لا يمكن أن ينتقل إليها بذات الحسّ وذات المعنىٰ . . إنّه زواج بين رجل وامرأة لا بين رجل ورجل ، وليس عمر التسع ليفعم بهذا الشعور الناضج ، لا من جهة التفتّح الجنسي ، ولا من جهة التوسّع العقلي . .

إنّ هذا التعويض عمّا يلزم أن يكون لم تتوصّل إليه عائشة إلّا فيما بعد ، عندما تمّ لها البلوغ . ولم يكن لها ذلك إلّا في التدريج ، بحيث إنّها لم تتمكّن من المشاركة الطويلة بهذا التمرّس ، لا بعطف النبيّ ، ولا بفهم المعاني التي كانت تشعّ منه .

لهذا كان الفرق بعيداً بين تحسّسها بالقضية وتحسّس خديجة بها من جهة ، وتحسّس فاطمة بها من جهة ثانية .

إنّ قضيّة الرسول كانت قضيّة خديجة ، وكذلك كانت قضيّة فاطمة ، وبقدر يتناسب مع قوىٰ كلّ من المرأتين باعتبارهما امرأتين .

أمّا عائشة فإنّه بحكم الطبع كانت مشاركتها في القضيّة مشاركة جانبيّة ،

أضأل قوّة وأخفّ حظّاً ، ولهذه الأسباب عينها .

ولمّا مات الرسول ﷺ لم يظهر علىٰ عائشة إلّا اللون الأصيل الذي قيدت به إلىٰ بيت الرسول ، هو عينه اللون السياسي الذي تلوّنت به الخلافة بإسنادها إلىٰ أبي بكر الصدّيق ، هو عينه الذي جعل عائشة ابنة الصدّيق تركب الجمل لتقود من علىٰ ظهره جبهة المعارضة ضدّ الإمام علي . . إنّ معركة الجمل شهيرة في التاريخ[١] .

إنّ هذا الاستعراض الخاطف لموقف هؤلاء السيّدات الجليلات الثلاث يوضّح موقف المرأة في مشاركتها الرجل في ميادين جهاده ، وكيف أنّها تكون دائماً لونه وانعكاس روحه بالقدر الذي يتوفّر لها .

يجدر بالمجتمعات العربيّة أن لا تنظر إلىٰ المرأة إلّا من هذه الزاوية الناعمة ، مسندة إليها دوراً خطيراً في البناء الجدّي . فالمرأة ـ قبل أن تكون أداة ترفيه وتسلية ـ هي شطر الوجود الإنساني ، وهي حرمته التي لا يجوز أن يلعب بها لعبة الهزل . . إنّ مشاهد الهزل تخرج المآسي .

---

(١) راجع : تاريخ أبي مخنف ١ : ٩٧ ـ ١٥٢ ، الأخبار الطوال : ١٤٤ ـ ١٥٥ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٠ ـ ١٨٣ ، مروج الذهب ٢ : ٣٦٦ ـ ٣٨٠ ، سمط النجوم العوالي ٢ : ٥٥٨ ـ ٥٧٤ ، تاريخ مختصر الدول : ١٨٠ ـ ١٨٢ .

خطاب في باحة المسجد

هل كانت المطالبة بفدك غير المطالبة بالخلافة للإمام علي؟ وهل أنّ اقتطاع فدك من يد فاطمة هو غير قطع المدد عن المطالبين بالخلافة؟

ولقد كانت تعلم فاطمة تمام العلم أنّ المطالبة بفدك لن تعيد إليها الأرض، ولم تكن لتطلب أرضاً فيها نخيل.. إنّها كانت تطالب بإرث آخر، فيه عزّة النفس، فيه أصالة الحقّ، فيه عنفوان الرسالة، فيه امتداد أبيها.. هذا هو الإرث الذي جاءت تنادي به في ساحة المسجد.

وسيّان، أكانت المطالبة بخطاب مدروس، أم بخطاب مرتجل، أم حتّىٰ بخطاب لمحه التنقيح أو الإقحام، كما ربّما يطيب القول للادّعاء..

يكفي أن تقود فاطمة قدميها إلىٰ باحة المسجد، أن تقف أمام الخليفة بجبّة وخمار، أن ترمي إليه نظرة شزراء، أن تحرّك يداً بمعصم نحيل، أن تومئ، أن تقف لحظة، ثمّ تنسحب كما ينسحب الظلّ.

ولقد فعلت.. إنّ التاريخ يشهد أنّها فعلت! إنّ صوتها ـ وهي تلقي خطابها ـ لم يسمعه إلّا نفر قليل.. إنّ ما سُمع من خطابها ليس كلامها المنطوق فحسب.. إنّ ما دوّنه التاريخ من ذلك الخطاب[1] هو المعنىٰ، هو الفكر، هو التمرّد علىٰ كلّ ما هو ظلم وجور..

لقد شرحت في الخطاب رسالة أبيها، لا لتشرح الرسالة، بل لتعيّن

---

(١) راجع المصادر المتقدّمة في ص٤٧ هـ.

مركزها من الرسالة ، مركز علي منها . .

ولقد طالبت بالإرث ، مثبتة أنّ لها حقّاً فيه كما لكلّ البنين من وراء آبائهم ، ولقد ندّدت بالحاكم ، قالت له : إنّه مغتصب ، ولقد ندّدت أيضاً بالمهاجرين : الصحابيّين والأنصار ، لقد انفجرت نقمتها على كلّ هؤلاء الذين هم أشباه الرجال في تخلّفهم عن رؤية الحقّ ونصرته ، ولقد غمزت بتنبّؤاتها بما ينتظر الظالمين الكافرين . .

هل جاء الخطاب عميقاً؟ ليس العمق على فاطمة بكثير ، فهي أوّل من تلقّن القرآن سمعاً وفهماً ، وأوّل من رشف أباها حسّاً وشوقاً . .

وهل جاء الخطاب متيناً بليغاً؟ ولا بدع ، فهي زوجة ذلك الذي كان ربّ البلاغة والبيان . .لعبت معه طفلة ، ورافقته فتاة ، وشاركته الحياة فكراً وميولاً ، واندغمت به زوجة وإخلاصاً ، وأنجبت له البنين عفّة وطهراً . .

هل جاء الخطاب قويّاً عنيفاً؟ لا غرابة في ذلك ، إنّ التي تخطب هي ابنة ألمع جبين شهدته الجزيرة في تاريخها ، وهي زوجة أعزّ بطل رفع الإسلام بسيفه وبيانه ، وهي أُمّ أشرف بزغتين في تاريخ الإمامة .

إن لم تكن فاطمة الزهراء هي التي نطقت بخطابها الشامخ أمام الخليفة ، فَمَنْ هو الذي يكون أولىٰ به منها؟! ومَنْ هو الذي يكون أحرى منها بتقمّص الشموخ حسّاً وتعبيراً؟!

غير أنّ المتتبّع تاريخ الزهراء بعمقٍ لا يهمّه لا بكثير أو قليل أن يُلهي نفسه بتحقيق حول ما هو تافه . .

إنّ الكلمة ليست غير قالب تعبير عن فكر ، أو أداة تلميح عن روح ، ولم تكن الكلمة في تاريخ تدوين الكلام لتصلح قالباً مكتمل الجهاز للمحة واحدة من لمحات الفكر أو لخلجة واحدة من خلجات الروح . .

إنّ الكلمة أو هي بكثير وكثير من أن تضبط لون الخيال ضارباً في آفاق غير محدودة . . لو أنّ للكلمة هذا القالب الموسوع لكفى بالقرآن آيات تتخلّص من كلّ ما هو تفسير وشرح أو تأويل واجتهاد . .

إنّ خطاب فاطمة بكلماته القليلة لم يكن على كلّ حال كثيراً عليها ، بل إنّ العكس يفرض ، فهو بالنسبة قليل وضئيل ، أكان تعبيراً عن ألمها بفقدان أبيها ، أم كان احتجاجاً عن حرمانها من إرثها .

إنّ العظيم منه والجليل هو الذي كان يتوارى خلف الحروف ، هو الشموخ الذي لا يمكن للحروف أن يتلقّط به ، هو عزّة النفس ، هو الشعور بالكبر ، هو تلك الأنفة التي منها تصاغ رفعة الجبين .

البطولة

أيّ فرق كان بين البطولة التي تجلّى بها علي بن أبي طالب في دفاعه عن الرسالة ، وبين البطولة التي تجلّت بها فاطمة في دفاعها عن الحقّ أمام الخليفة؟!

لعمري ، إنّها بطولة من معدن واحد ، الفرق في أنّ عليّاً كان بمكنته أن يعبّر عن هذه البطولة بسلاحين في وقت واحد : العقل والحسام ، إن الحسام ماكان لفاطمة النحيلة .

تلك من نعم الصدف أن ترافق المنطق قوّة البدن ، ولكن قوّة الساعد تكون هباءً عندما تخبو شعلة العقل ، وتكون وبالاً عندما تنعدم جودة المنطق .

وكلّ قوّة في البدن ـ مهما يبلغ شأوها ـ ليست لها قيمة في الحساب إلّا بين الكسور . أمّا القيمة العقليّة فتلك التي تعمل من ورائها كما تعمل القيادة الحكيمة من خلف الحصون ، فالعقل هو الذي يعيّن الأهداف ويجلوها أمام قوّة التنفيذ والتحقيق . . إنّ القوّة بين يدي العقل تحصل على إيجابيّتها ، وتنقلب ضعفاً وهواناً في غير ساحة المنطق . . ولماكان علي بن أبي طالب متين الساعد لو أنّ العقل كان يهرب منه ، ولماكانت لأيّة آية من آيات القرآن الشريف سطوة الانطلاق والانفتاح لو أنّها ما تسلّحت بنور المعرفة وبهاء الحقّ .

تلك حقيقة ، قلّ من لا يعرفها كتحديد علمي ـ فلسفي مألوف

ومعروف ، وقلّ من يحترمها في نهجه التطبيقي .

وأشدّ من يكون بحاجة إلىٰ هذا الفهم والتطبيق هي الطبقة الحاكمة ، فهي تتحصّن بالقوّة لتبطش ، ولا يجوز أن تتحصّن بها إلّا لتعدل . وذلك هو الضياع في التحديد بين قوّة السلطان تستمدّ حقيقتها من الحقّ ، وقوّة السلطان تستمدّ نفوذها من هيبة المقعد . . فالقوّة الأُولى هي الّتي تنبعث خلف هذه الهالة ، حتّىٰ إذا شعر بضياعها ضاعت من المقعد المسحور تلك المهابة وذابت عنها رغوة البهارج .

وليس قليلاً ما تعني الحكمة : «العدل أساس الملك»[١] . ولست أظنّ أنّ دولة تفهم هذه الحكمة ويطالها الانقراض .

إنّ تطبيق العدالة في مجتمع ما يشغل كلّ قوّة في ذلك المجتمع في وجهتها الإيجابية لتكون قوّة فاعلة في الحقل الواعي ، ومن هنا تكون للقوّة قيمتها المنتجة .

ولن تكون العدالة علىٰ حقل دون حقل ، فهي تطال المجتمع في كلّ طاقاته ، تطاله في كلّ نواحي الحياة : في المادّة ، وفي الروح . . في المادّة عدالة اقتصادية ، وفي الروح توجيهاً فكرياً أخلاقياً .

هذه هي العدالة الكاملة التي أظنّ أنّها إذ تنهج في دولةٍ ما تصون ذلك المجتمع من صروف الحدثان .

ولن يطلب في ذلك الكمال ، فجمهورية أفلاطون[٢] ظلّت خيالاً ، ولم

---

(١) بحيث يبقىٰ الملك مع الكفر حال العدل وينتفي حال الظلم وإن كان مع الإيمان علىٰ ما قيل . راجع : تفسير البيضاوي ٢ : ٢٩٠ ، الصافي ٤ : ٨٦ ، بحار الأنوار ٧٢ : ٣٣١ .

(٢) أفلاطون : أعظم فلاسفة العصور القديمة . ولد في أجينا سنة ٤٢٧ ق . م . أبوه أرسطون ينحدر من ←

ـ أُسرة عريقة ، وكذلك أُمّه باريكبوني التي هي أُخت خرميدس وابنة أخي كريتاس اللذين كانا يمثّلان الحزب الأرستقراطي الأليغاركي ، واللذين قتلا عند نهاية الحرب الأهلية سنة ٤٠٣ ق .م ، فسقطت معها الحكومة الأرستقراطية لتحلّ محلّها الحكومة الديمقراطية التي أعدمت سقراط فيما بعد سنة ٣٤٧ ق .م بتهمة إفساد عقول الشباب . وأمام الواقع السياسي الدموي الذي شهده أفلاطون رأى أن يقيم حكومة عادلة من خلال الفلسفة . وقد ترك بعد موته جامعة هدفها الرئيسي تربية وتخريج فلاسفة سياسيّين قادرين على بثّ مبادئ العدالة في مختلف أصقاع البلاد اليونانية . له (٢٨) محاورة ، منها : هيبياس الكبيرة ، أيون ، خرميدس ، ليسيس ، الدفاع ، المأدبة ، الجمهورية ، السياسي ، القوانين . توفّي سنة ٣٤٨ ق .م .

(نزهة الأرواح : ١٦٣ ـ ١٨٤ ، المنجد في الأعلام : ٥٥ ـ ٥٦ ، موسوعة أعلام الفلسفة ١ : ٩٧ ـ ١٠٦) .

أمّا عن جمهوريته : لمّا كان المجتمع عند أفلاطون يشبه الفرد لذا فهو يتكوّن من ثلاث طبقات ، هي : طبقة العمّال ، وطبقة الجند ، وطبقة الحكّام .

ولكلّ منها فضيلتها . فالأُولى فضيلتها الإتقان ، والثانية فضيلتها الشجاعة ، والثالثة فضيلتها الحكمة . ومن التوفيق بين هذه الطبقات الثلاث تسود فضيلة العدالة التي هي غاية كلّ حكومة الصالحة .

وللوصول إلى هذه الحكومة أو (الجمهورية) ـ مع مراعاة تكافؤ الفرص وعدم الاعتماد على الحسب أو الثروة أو الحقوق المكتسبة قديماً ـ ينبغي أن يربّى الشعب جميعه تربية واحدة ، فيختار من أبناء الشعب ذكوراً وإناثاً (إذ لا فرق بين الذكر والأُنثى) ممّن تتوافر فيه صفات الذكاء والصحّة والنمو السليم ، ويبعدون عن أهلهم في معسكر خاصّ حيث يشرف عليهم مربّيات ومدرّسون متخصّصون ، يقومون بتربيتهم ، ويعلّمونهم القراءة والكتابة والحساب والموسيقى وغير ذلك ، ويعوّدونهم الأخلاق الفاضلة ، حتّى يبلغوا الثامنة عشرة ، فيعقد لهم امتحان ، ويعزل من رسب فيه ؛ ليكون من الطبقة العاملة التي يكفيها ما حصلت من تعليم للقيام بوظيفتها في الإنتاج وتوفير ضرورات الحياة لسائر المجتمع ؛ إذ لا يحتاج عملها إلى كثير من التعلّم . أمّا الناجحون فيواصلون دراسة عسكرية بحتة ، حتّى يكونوا في النهاية حرّاساً يدافعون عن الدولة بشجاعة واحترام ضدّ أعدائها .

ومن نجح من هؤلاء الدارسين يتابع دراسته لمدّة عشرة سنوات تقتصر على العلوم الرياضية البحتة ، حيث الاعتماد على العقل والتفكير المجرّد ، وهي تهيّئ دارسها لدراسة الفلسفة التي تقوم على الأُسس العقلية ذاتها التي تقوم عليها الرياضيات .

←

← والناجحون في الدراسات الرياضية يكونون قد بلغوا الثلاثين عاماً ، ويكونون استعدّوا نفسياً وعقلياً لدراسة الفلسفة ، وبالتالي تؤدّي هذه الدراسة إلى نموّ تفكيرهم وسداداً في معالجتهم لقضايا مجتمعهم ، وبالتالي يكونوا أقدر على التمييز بين الخير والشرّ ، وتحقيق العدالة ، ودراسة نظم الحكم ، وغير ذلك .

والناجحون بعد هذه الدراسة الفلسفية التي استغرقت خمس سنوات يكونون أصوب الناس رأياً ، وأذكاهم عقلاً ، وأصحّهم جسماً ، وأوفرهم أخلاقاً فاضلة ، وأعرفهم بالعدل والخير ، وأقدرهم على معرفة صفات المجتمع السليم ، ويكونون قد أحاطوا إحاطة كاملة بشروط الحكم وواجباته والعلاقات بين الحاكمين والمحكومين . وبعد خمس سنوات من هذا التطبيق العملي للدراسة النظرية في الحكم يعهد إلى من أثبت جدارة عملية بحكم الدولة إمّا بالتناوب ، وإمّا بالرئاسة الجماعية ، وإمّا بالحكم الفردي المستند إلى مجلس استشاري يتكوّن من هذه الصفوة المختارة التي حصل عليها المجتمع بعد كلّ هذه التصفيات ، والتي أثبتت كفاءة باجتياز كلّ الامتحانات ، وارتفعت أخلاقها عن كلّ نقيص .

ولمّا كان هؤلاء الأفراد مضطرّين إلى الانقطاع إلى الدراسة وعدم ممارسة أيّ عمل آخر بجانبها يكفل لهم الرزق ، فقد وجب على المجتمع أن ينفق عليهم ، ويمنحهم الملبس والمسكن ، ويهيّئ لهم حياة كريمة ، كما لا يسمح لهم المجتمع بممارسة أيّ عمل ، ولا بتكوين الثروات الخاصّة ، ولا بتأليف أُسر خاصّة بهم ، حتّى لا تنمو فيهم عواطف الإثراء أو القرابة وما تقود إليه من عصبيات ومحسوبيات وشره نحو المال وتفضيل المصلحة الخاصّة على المصلحة العامّة .

ولهذا رأى أفلاطون أن يعيش هؤلاء الحرّاس ذكوراً وإناثاً دون سائر طبقتي الشعب الآخرين (العمّال والجنود) في شيوعية كاملة ، فيرتبط الحرّاس ارتباطاً جنسياً مؤقّتاً بقصد النسل فقط ، ويؤخذ أبناءهم عند ولادتهم ، وتقوم الدولة بتربيتهم ، فينشأون لا يعرفون لهم أُسر سوى المجتمع ، فينصرفون بكلّ جهودهم نحو خدمته .

أمّا طبقتا العمّال والجند فيسمح لأفرادها بتكوين الأُسر والملكيات الخاصّة ، بشرط ألّا يزيد عدد أولادهم عن عدد المعقول ، وألّا تزيد ممتلكاتهم الخاصّة عن الحدّ اللازم لمعيشتهم معيشة معتدلة والحدّ من كثرة النسل .

يحدّد أفلاطون سنّ الإنجاب للمرأة بين العشرين والأربعين ، وللرجل بين الثلاثين والخامسة والخمسين . فإذا أنجب زوجان للدولة قبل هذه السنّ أو بعدها يصبحان آثمين في حقّ المجتمع .

ويرى أنّ كلّ نظم الحكم يلحقها الفساد مهما كانت صالحة ، وإنّما تتفاضل الحكومات بنوع

←

يـتحقّق المـجتمع الأفـلاطوني إلّا عـلىٰ الخـريطة التـي خـطّطها قـلم ذلك الفيلسوف .

وليس ذلك يعني أنّ المجتمعات البشرية ليست بحاجة إلىٰ المبالغة في التوجيه وإلىٰ القساوة في التطبيق .

لقدكانت النظافة في الحكم رفيقة النجاح لكلّ هؤلاء القادة الذين تنظّفوا بالحقّ وتقيموا بالعدالة . . قد يكون أن سقطوا في الساحة ضحايا مبادئهم ، ومَن علىٰ الأرض لا ينحلّ تراباً ؟! ولكنّهم بقوّة ذلك الإشعاع تمكّنوا من الخلود .

إنّ نظافة الخيال في أفلاطون هي التي لايزال خالداً بها حتّىٰ الساعة . .

إنّ خلود عيسىٰ ومحمّد مدين لتلك العبقريّة المتصلّبة بمعدن الحقّ . .

إنّ السلسلة الطويلة التي تستحكم حلقاتها بكلّ هؤلاء العظام الذين مرّوا علىٰ سطح هذه الغبراء تشهد لكلّ منهم بمقدار ما حمل من إشعاعات

← الحاكمين وأخلاقهم .

ويميّز لنا خمسة أنواع من الحكومات ، هي : التيماركية ، والأوليجاركية ، والديمقراطية ، والأرستقراطية ، ودولة الطغاة .

ويرى أنّ أفضل هذه الحكومات هي الحكومة الارستقراطية المقيّدة بدستور يضمن إنشاء هيئات نيابية تحقّق التوازن بين السلطات المختلفة، وتتلافى مساوئ الحكومة الديمقراطية وحكومة الطغاة .

من الواضح أنّ أفلاطون اعتقد أنّ أُمور المجتمع محكومة بتفكير العقل الفردي ، وأنّ بإمكانه وفق هذا المنطق أن يضع للمجتمع قواعد عقلية تكفل له الثبات . ونظرته إلى ثبات المجتمع نظرة عقلية إستاتيكية تحسب خير المجتمع وسعادته في ثباته ، غير مدرك أنّ الحقيقة الأُولى في المجتمع هي ديناميكيته ، وأنّ الثبات ضرر المجتمع وتخلّفه ». (نصوص ومصطلحات فلسفية : ٢٠ ـ ٢٢) .

وراجع : قصّة لفلسفة لديورانت : ٢٣ ـ ٦٦ ، موسوعة لالاند الفلسفية ٣ : ١٢١٢ ، أفلاطون لليسوعي : ١٦٩ ـ ١٨٨ ، موسوعة الفلسفة لبدوي ١ : ١٨٤ ـ ١٨٦ .

السمو . .

إنّ الخلفاء الذين تداولوا على مقدّرات الخلافة في الإسلام يحمل كلّ منهم شهادة لا يزال يسجّلها له التاريخ ، تعلو قيمتها وتهبط بنسبة تمسّك صاحبها بالحقّ أو تنكّبه عن صفات العادلين .

لو أنّ الخلفاء في الإسلام مشوا على النهج المرسوم نظافةً وحقّاً وتقىً وعدالةً ، فأغلب الظنّ أنّهم ما كانوا توصّلوا إلى أيّة خيبة من خيباتهم الكثيرة .

هل تتمكّن المجتمعات الإنسانيّة من تطبيق كلّ ذلك؟

إنّ هذا منوط بها ولكنّ القول : بأنّ السير في المجتمعات البشرية على أساس من هذا السموّ ، هو الذي يتطلّبه العقل في المجتمعات الراقية لتحقيق كلّ الأهداف العظيمة ، وأشدّ تلك المجتمعات رقيّاً هي أبلغها رسوخاً في تحقيق هذه المثل .

تلك هي العدالة التي بشّر بها الإمام علي ، مشياً على صراط مستقيم ، هدياً من رسالة بشّرت بالحقّ والعدل والمساواة .

هكذا يتمّ الابتعاد عن الخطأ باتّباع نهج يرسمه العقل والمنطق ، وتلك هي القوّة تتسم بمعناها البطولي .

إنّ البطش وسفك الدماء ليسا غير تعبير عن قوّة سلبية ، هي الوهم عينه ، هي تهديم نفسها بتهديمها المجتمع .

لقد كتب الإمام علي عليه السلام إلى الأشتر [1] لمّا ولّاه على مصر بعد محمّد بن

---

(١) مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة الأشتر النخعي المذحجي : صاحب أمير المؤمنين عليه السلام . كان من زعماء العراق الأشدّاء فارساً صنديداً لا يشقّ له غبار شديد البأس حليماً

←

أبي بكر[١] :

«إيّاك والدماء وسفكها بغير حلّها ، فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة، من سفك الدّماء بغير حلّها ، فلا تقوّين سلطانك بسفك دم حرام ، فإنّ ذلك ممّا يضعفه ، بل يزيله وينقله»[٢] .

إنّ البطولة ليست قوّة تستند على بدن وساعد ، ولا على كرسي

ـ كريماً خطيباً شاعراً . شهد معركة اليرموك وشترت فيها عينه ، وقيل : شترت عينه في حروب الردّة ضدّ أبي مسيلمة الإيادي .

توجّه إلى مصر لمّا اضطربت الأوضاع على محمّد بن أبي بكر ، وكان يومئذٍ بنصيبين ، فسُمّ في الطريق بتدبير من عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان سنة ٣٩هـ .

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ : ٢١٣ ، طبقات خليفة : ٢٤٩ ، التاريخ الكبير ٧ : ٣١١ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٤ ـ ٣٥ ، العبر ١ : ٤٥ ، تهذيب التهذيب ١٠ : ١٠ ـ ١١ ، أعيان الشيعة ٩ : ٣٨ ـ ٤٢) .

(١) أبو القاسم محمّد بن أبي بكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي : أحد المشاهير . ولدته أسماء بنت عُميس عام حجّة الوداع وقت الإحرام بذي الحليفة أو الشجرة ، وخلف عليّ عليه السلام أباه على أُمّه ، فتربّى في حجره . ولّاه عثمان إمرة مصر ، ثمّ انضمّ إلى علي عليه السلام ، فكان من أُمرائه ، وكان على رجّالته يوم الجمل ، وشهد معه صفّين ، وكان علي عليه السلام يثني عليه ويفضّله ؛ لأنّه كان ذا عبادة واجتهاد ، وسيّره إلى مصر سنة ٣٧ هـ في رمضانها ، فسار إليه عمرو بن العاص واقتتلوا ، فانهزم جمع محمّد ، واختفى هو في بيت مصرية ، فدلّت عليه ، فقتله معاوية بن حُديج صبراً ، ودسّته في جوف حمار ميّت فأحرقه ، وذلك في سنة ٣٨ هـ . وكان متّهماً بقتل عثمان ، وقيل : إنّه شارك فيه . والحقيقة أنّ الذي قتل ابن أبي بكر هو موالاته وحبّه لأمير المؤمنين عليه السلام .

(الجرح والتعديل ٧ : ٣٠١ ، مروج الذهب ٢ : ٤٢٠ ، أُسد الغابة ٤ : ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٨٥ ـ ٨٦ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٤٨١ ـ ٤٨٢ ، العبر ١ : ٤٤ ـ ٤٥ ، البداية والنهاية ٧ : ٣١٩ ، العقد الثمين ٢ : ٢١٤ ، شذرات الذهب ١ : ٤٨) .

(٢) ورد النصّ في «النهج البلاغة : ٦١٤» بهذا الشكل : «إيّاك والدماء وسفكها بغير حلّها ، فإنّه ليس شيء أدنى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة ، من سفك الدماء بغير حقّها ، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوينّ سلطانك بسفك دم حرام ، فإنّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله» .

وسلطان . . إنّ البطولة هي التي تتمنطق بالعقل فهماً ورُشداً ، فتعيّن الأهداف وترسم المناهج .

وماكانت بطولة الزهراء من غير هذا المعنى الجليل ، غرفت منه ما لمعت به عيناها ، دون أن يؤثّر عليها لا زندها النحيل ولا خصرها الهزيل .

التسجيل

لم تكن على عهد فاطمة أيّة «لاقطة صوتيّة» تسجّل الكلمة التي تفوّهت بها أمام أبي بكر الصدّيق ، وكذلك لم تكن هناك أيّة «لاقطة نووية» تعكس عنها الإشارة التي كانت تبدر عنها وهي تلقي ذلك الخطاب ، حتى ولم تكن أيضاً تلك اللواقط من الحروف الطائعة تنساق متلقّطة بالفكر تضبطه في إطارها وتتمسّك به ضمن خطوطها ودوائرها ، ليحصل ضبط ذلك الخطاب في أمانة الحروف .

لم يتمّ لا تسجيل الصوت ، ولا تسجيل الصورة . . لا صوت فاطمة بكلماته المتقطّعة ونبراته المتدفّقة ، ولا صورتها بعينها الحزينة وقدّها الناحل . . ولم يتمّ أيضاً لا تسجيل الأثر الذي تركته على جمهور ساحة المسجد ، ولا تسجيل لون أُذن أبي بكر الصدّيق بعد سماعها خفقة التنديد .

بالرغم عن عدم وجود أيّ شيء من هذا تّمت كلّ التساجيل[1] ، كأنّ آلة العصر الحاضر كانت في ذلك الحين هي ذاتها تفعل . . ومتى كانت الآلة في تنفيذ اختراعها غير تعبير عن شوق الإنسان في حاجته إليها؟ !

إنّ هذا الشوق هو ذاته الذي كان منفتح القلب والعين والأُذن أمام فاطمة في وجودها في ذلك الحين ، وفي كلّ وجودها . لذلك انسكبت في وجدان التاريخ تسجيلاً حفظته واعية الخواطر ، وتلقّطت به حافظة القلوب ، وتناقلته

---

(١) الأصحّ أن يقال : التسجيلات .

أشواق الأسانيد ، تعبيراً عن أنّ الرأي العامّ في مجتمع الإنسان هو حقيقته الماثلة في مكشوفها ومستورها على السواء .

لم تكن فاطمة وحدها التي تتكلّم في ذلك الحين . . إنّ الملايين في الجزيرة العربية كانوا يتكلّمون ، ولم يصل إلينا سوى النزر من التساجيل عنهم ، إلّا أنّ فاطمة وحدها كانت تتكلّم .

تلك شهادة على أنّ الرأي العامّ يتمثّل دائماً في خطوطه العريضة ، كما تتمثّل قطرات الغيث في المجاري الزاخرة ، وكما تتمثّل الأنهار الجارفة في التحامها بالشواطئ .

إنّ الذين تكلّموا في الجزيرة قد تمّ لنا تسجيل ما قالوا ، وصل إلينا كلّ الصحيح ممّا قالوا ، لم يكذب الرأي العامّ فيهم ، فلقد صوّروه وعكسوه ، ولقد أوصلوه مع العبر .

إنّ اللون السياسي الذي انصبغ به الخطّان العريضان في ذلك الحين عيّن في كلّ واحد منهما اسم القائد ، عيّن الشكل ، وعيّن الفكر ، وعيّن الاتّجاه . . ولقد عيّن أيضاً صفات الإرث .

ولكنّ الإرث الوحيد الذي ضاعوا عنه هو وحده الذي كان كفيلاً لهم بتحقيق الثروة ، نفروا عنه إذ كان الأولى أن ينفروا إليه! إنّ هذا الإرث كان محصوراً بالنسبة إلى الجزيرة على الأقلّ في تلك الوجدة المنوّرة بالحقّ والهداية ، ولقد قالت فاطمة في خطابها : «﴿**أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**﴾ (١)»(٢) .

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٤٤ .

(٢) راجع : بلاغات النساء : ٣٠ ، دلائل الإمامة : ٣٧ ، الاحتجاج ١ : ١٠٣ ، كشف الغمّة ٢ : ١١٦ .

إنّ في الانقلاب على الأعقاب رجعة إلى ماضي الجزيرة في تفكّكها وتشتيتها ، في عدم لحمتها ، وفي عدم تحقيقها . .

لقد وحّدتها الكلمة الصائبة ، لقد جمعتها الفكرة الكبيرة ، لقد رسمت لها الأهداف ، لقد طبّقت أمامها المثل ، لقد تحقّق لها البرهان ، ولقد دفعت ثمن ذلك من دمها . . فما بالها ـ وقد مات نبيّها العظيم ـ تنقلب على أعقابها؟!

هكذا تكرّس الانقسام مع أوّل خلافة برزت إلى الصدارة ، ليبتر أوّل وحدة لمحها تاريخ الجزيرة .

أيّ شيء فيما بعد تمكّن من إعادة اللحمة؟ أيّ عهد من العهود التي كرّت حتّى الساعة الحانية عبر أربعة عشر قرناً عمل على الترميم وساعد على محو ما علق في الخواطر؟ أيّة يد حاولت أن تتناول شريط التسجيل التاريخيّ لتحوّر بثّه أو لتغيّر ألوان مرائيه؟ وأيّ مجتمع من مجتمعات الأُسرة العربية ابتداءً من الجزيرة الأُمّ ، أم الهجرات التاريخيّة ، وأم القوافل الدارجة إلى كلّ هذه المهابط اللاقطة حدو القوافل اللاقطة والحاضنة والمطوّرة ، أجل ، أيّ مجتمع لم تتعكّر مجاريه من ثقل ذلك الغبار الذي ثار حاملاً معه كلّ هذا الكثيف من السموم والعفن؟!

ولاتزال الأجيال حتّى اليوم تتلقّى بغربلة خطاب فاهت به فاطمة الزهراء ، في هل أنّ كلماته خرجت بالفعل من بين ثناياها ، أم[1] أنّ عبقريّاً آخر نحلته عبقريّته إليها؟

وفاطمة الزهراء كانت لوناً بارزاً في الخطّ الثاني ، كانت نصف الرجل

(١) الصحيح : أو .

الذي حمل راية الخطّ ، فهي معه وحده في العمل وفي النهج .

إنّ المأساة في درس الخطاب من ناحية حروفه ، وليس من ناحية معانيه ، كالمأساة عينها في أن نحصي خطواتنا على طريق مقفل يمتصّ أعراقنا دون أن يردّها إلينا قيمة . .

إنّ العبرة في تفسير ما قالت الزهراء تكمن في تحصيل قولها إنذاراً ، والعبرة في أنّ الخلافة لم تقبل الإنذار . .

والعبرة كلّ العبرة في أنّ الأجيال أجيال الإسلام لم تدرس حتّى اليوم خطاب الزهراء ، وهي ضائعة بين أن تسنده إلى فاطمة ، أو أن تسنده إلى مقحم ، طباق آخر على كلّ ما وجّه إلى الإمام علي في «نهج البلاغة» ، إسناداً إليه ، أم إقحاماً عليه !

والعبرة في أنّ خطاب فاطمة الزهراء ـ أكانت هي تدري أم لم تكن تدري ـ جاء يرزم قوّة التعبير عن ذلك الرأي العامّ الذي اهتاج وهو يرضخ للواقع ، ليعود فيتكوّن ثورة على كلّ ما هو خروج عن خطوط الحقّ والعدالة .

منذ ذلك الحين تكوّنت نواة المعارضة مطالبة بتركيز الخلافة على محورها الصادق ، ومنذ ذلك الحين والخلافة لا ترتبط بمصير حتّى تتقطّع حبال ذيّاك المصير . .

ومنذ ذلك الحين والسيف العربي لا يرتوي من دماء أبنائه ، ومعظم الخلفاء لا يرتوون من شرب الدم صرفاً أم ممزوجاً بالخمور والفجور ! أكان

ذلك مع الحجّاج[١] أم مع السفّاح[٢] أكان مع الوليد[٣] أم الأمين ابن الرشيد[٤].

---

(١) أبو محمّد الحجّاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي : من أشهر السفّاكين للدماء . أُمّه الفارعة بنت همام ابن عروة الثقفي . تولّى الحجاز ثلاث سنين ، ثمّ العراق وخراسان عشرين سنة من قبل عبدالملك بن مروان ، وكانت تحته هند بنت المهلّب وهند بنت أسماء بن خارجة . وصفه الذهبي بقوله : «كان ظلوماً جبّاراً ناصبيّاً خبيثاً سفّاكاً للدماء ، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة» . رمى الكعبة بالمنجنيق ، وهلك سنة ٩٥ هـ بعد قتله لسعيد بن جبير بأيّام ، وله نيّف وخمسون سنة .

(المعارف : ٣٩٥ـ ٣٩٨ و٥٤٨ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٤٣ ، البداية والنهاية ٩ : ١١٧ـ ١٣٩ ، تعجيل المنفعة : ٨٧ـ ٨٩ ، تهذيب التهذيب ٢ : ١٨٤ـ ١٨٧ ، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٤ : ٥١ـ ٨٥) .

(٢) أبو العبّاس عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب العبّاسي الهاشمي القرشي الملقّب بالسفّاح : أوّل خلفاء بني العبّاس . كان شابّاً مليحاً مهيباً أبيض طويلاً ، وكان يحضر مجالس الغناء من وراء ستارة . بويع له بالخلافة سنة ١٣٢ هـ ، فجهّز عمّه عبد الله بن علي في جيش لقتال مروان الحمار . توفّي سنة ١٣٦ هـ ، وله من العمر ثمانية وعشرون عاماً على قول ، وقام بعده بالأمر أخوه المنصور العبّاسي .

(تاريخ بغداد ١٠ : ٤٦ـ ٥٣ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٧٧ـ ٨٠ ، فوات الوفيات ٢ : ٢١٥ـ ٢١٦ ، شذرات الذهب ١ : ١٨٣ و١٩٥ـ ٢٠٥) .

(٣) أبو العبّاس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأُموي الدمشقي : أحد خلفاء بني أُميّة ، أُمّه بنت محمّد بن يوسف الثقفي أمير اليمن أخي الحجّاج .

ولد سنة ٩٠ هـ ، وقيل : سنة ٩٢ هـ ، ووقت موت أبيه كان للوليد نيّف وعشرة سنة ، فعقد له أبوه بالعهد من بعد هشام بن عبد الملك ، فلمّا مات هشام سلّمت إليه الخلافة . كان مشهوراً بشرب الخمر وعمل اللواط والسخف والإلحاد والتهتّك والشعر . قُتل سنة ١٢٦هـ عن ستّ وثلاثين سنة ، وقيل غير ذلك في مدّة عمره ، ومدّة ملكه سنة وثلاثة أشهر ، وترك من البنين : عثمان والحكم المذبوحين في الحبس ، ويزيد ، والعبّاس ، وعدّة بنات .

(الوزراء والكتّاب : ٦٨ ، مروج الذهب ٣ : ٢٢٤ـ ٢٣٩ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٢٦٤ـ ٢٦٩ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٨ : ٢٨٧ـ ٢٩٥ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٣٧٠ـ ٣٧٣ ، مرآة الجنان ١ : ٢٠٧ ، خزانة الأدب ٢ : ٢٠٠) .

(٤) أبو عبد الله محمّد بن هارون بن محمّد ابن المنصور الهاشمي العبّاسي المعروف بالأمين : أحد

←

ومنذ ذلك الحين والخلافة تدور بها العواصف والزعازع من مكّة إلىٰ يثرب ، ومن يثرب إلىٰ الكوفة ، إلىٰ الشام ، إلىٰ بغداد ، إلىٰ خراسان ، إلىٰ مصر ، إلىٰ القيروان ، إلىٰ الأندلس ، إلىٰ بلاد الأتراك . . ومن تفسيخ إلىٰ تفسيخ! من الراشدين ، إلىٰ الأُمويين ، فالعباسيين ، والفاطميين ، والأيُّوبيين[١] ، والمماليك[٢] ،

← خلفاء بني العبّاس . أُمّه زبيدة بنت جعفر بن المنصور . عقد له أبوه بالخلافة بعده وله خمس سنين ، قال الذهبي : «كان مليحاً بديع الحسن أبيض وسيماً ذا قوّة وشجاعة وأدب وفصاحة ، ولكنّه سيّئ التدبير مفرط التبذير أرعن لعّاباً» . بعد موت الرشيد تفاقم الأمر بين الأمين وأخيه المأمون حول كرسي الخلافة في قصّة بطول شرحها ، انتهت بقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ في المحرّم ببغداد بيد طاهر بن الحسين الخزاعي قائد جيش المأمون ، وعن عمر ناهز السبع والعشرين سنة ، ومدّة حكمه دون الخمس سنين . وله من الولد : عبد الله ، وموسىٰ ، وإبراهيم . لأُمّهات أولاد شتّىٰ .

(المعارف : ٣٨٤ ـ ٣٨٦ ، تاريخ بغداد ٣ : ٣٣٦ ـ ٣٤٢ ، دول الإسلام ١ : ١٢٤ ، سير أعلام النبلاء ٩ : ٣٣٤ ـ ٣٣٩ ، العبر ١ : ٣٢٥ ، الوافي بالوفيات ٣ : ٣٢٦ ـ ٣٢٩ ، تاريخ الخلفاء : ٢٩٧ ـ ٣٠٦ ، شذرات الذهب ١ : ٣٥٠ ـ ٣٥٤) .

(١) الأيّوبيّين : جماعة أسّسوا دولة تنسب الىٰ صلاح الدين الأيّوبي ، وهو من أُسرة كردية أذربيجانية ، هاجرت إلىٰ العراق ثمّ إلىٰ الشام ، لتدخل في خدمة الأتراك السلاجقة . بنيت دولتهم علىٰ أنقاض الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ إلىٰ سنة ٦٤٨ هـ ، حيث سقطت بأيدي المماليك . اشتهروا بحروبهم ضدّ الصليبيّين .

(الموسوعة العربية العالمية ٣ : ٥٦٧ ـ ٥٦٨) .

(٢) المماليك : جماعة ذات نزعة عسكرية حكمت مصر في الفترة ما بين سنة ٦٤٨ هـ إلىٰ سنة ٩٢٣ هـ ، ويرجع أصلهم إلىٰ الأتراك والمغول وموالي الشراكسة الذين أُحضروا إلىٰ مصر في أواخر عام ٤٩٤ هـ . وكان المماليك قد تمّ تدريبهم ليصيروا جنوداً ، ثمّ ترقّوا إلىٰ وظائف الدولة العليا ، وسرعان ما ثاروا وحكموا مصر . وامتدّ حكمهم ليشمل فلسطين وسوريا وتركيا ، واقترن اسمهم بمعركة عين جالوت الشهيرة سنة ٦٥٨ هـ ، فقد استطاع الظاهر بيبرس أن يلحق هزيمة كبيرة بجيوش التتار التي كانت تحاول غزو مصر بقيادة كتيغا . وفي عام ٩٢٣ هـ جاء الأتراك العثمانيّون إلىٰ مصر وهزموا المماليك ، ولكنّهم سرعان ما استعادوا سلطنتهم تحت ظلّ حكم الأتراك ، وعندما غزا نابليون مصر ←

والمغول[١] ، والحشّاشين[٢] .

قد تكون في القول هذا كلّ القساوة في تحميل الخلافة الأُولى هذا الحبل الطويل من المسؤوليات الجسام ، ولكن أيّ طريق طويل لا يقاس بالخطوة الأُولى؟ وأيّة دولة من دول العالم تجسّم الحقد فيها كما تجسّم على يد الحجّاج بن يوسف وبقي لها شيء من كيان؟! كيف يربو الولاء في صدور حفدة مئة وعشرين ألف قتيل حصدها سيف طاغية تثبيتاً لكرسي

← عام ١٢١٣ هـ حاربه المماليك ، وفي عام ١٨١١ م كانت نهايتهم على يد محمّد علي باشا والي مصر الذي أمر بإعداد مذبحة لهم ، وتمكّن عدد قليل منهم من الهرب إلى أرض النوبة ، وسرعان ما اختفوا وأفل نجمهم . (المصدر السابق ٢٤ : ١٤٠ ـ ١٤١) .

(١) المغول مشعب من العِرق المغولاني ، وهو عرق آسيوي رئيسي يشمل جمهرة من شعوب آسيا الشمالية والشرقية ، كالصينيين واليابانيين والكوريّين والماليزيّين والأندونسيّين ، كما يشمل الأسكيمو أيضاً . موطن المغول منغوليا الداخلية ومنغوليا الخارجية المعروفة اليوم بجمهورية منغوليا الشعبية . أنشأوا في ظلّ حكومة جنكيز خان وخلفائه إمبراطورية امتدّت من الصين شرقاً إلى نهر الدانوب ، واجتاحوا في ظل تيمورلنك كامل المنطقة الممتدّة من منغوليا إلى البحر الأبيض المتوسّط . (موسوعة المورد ٧ : ٥٤) .

(٢) الحشّاشون (Assasins) : فرقة إسلامية إسماعيلية نزارية ، أسّسها حسن الصبّاح المولود في قم ، والذي تلقّى تعليمه في مدينة الري ، ثمّ سافر إلى مصر حيث درس لمدّة ثلاث سنوات ، وعاد إلى فارس مركّزاً اهتمامه على شمال البلاد ، وتمكّن عام ١٠٩٠ م من الاستيلاء على قلعة ألموت شمال مدينة قزوين ، حيث أقام فيها إلى وفاته عام ١١٢٤ هـ . وسمّوا بالحشّاشين نسبة إلى الحشيش الذي كانوا يتعاطونه بكثرة . وتعتبر فرقة الحشّاشين من القتلة والسفّاحين غير الملتزمين بتعاليم الإسلام حسب قول الرحّالة والمستشرقين . شاركوا في الكفاح ضدّ المغول في فارس والصليبيّين في الشام . وكانوا في بداية أمرهم تابعين للحكومة الفاطمية ، إلّا أنّهم في عام ١٠٩٤ م رفضوا الاعتراف بخليفة المستنصر الفاطمي ، وأقاموا نزاراً خليفة شرعياً لهم ، وأنتهت علاقتهم بالقاهرة . وكانت نهايتهم في سوريا عن طريق المغول والظاهر بيبرس ، واحتُلّت قلاعهم على مراحل انتهت عام ١٢٧٣ م ، وتفرّقوا في شمال سوريا وبلاد فارس وعمان وزنجبار والهند . ويوجد منهم حالياً حوالي ٥٠ ألف نسمة ، يعيشون في السلامية بسوريا ، ويدينون بالولاء لأغا خان باعتباره إماماً لهم . (موسوعة السياسة ٢ : ٥٤٦ ـ ٥٤٧ ، العقائد والأديان : ١١٥) .

خلافة[١]؟! وكيف لا يكون الحقد وليد الحقد وقبور بني أُميّة تنبش لتجلد فيها الرمم[٢]؟! وكيف تربط دنيا الإسلام بعضها ببعض برباط الحبّ والانفتاح ومؤسّس الدولة الانفتاحيّة في الأندلس[٣] لا يزال يبكي أخاه[٤] مقطّعاً بسيف الحقد والضغينة ، وهو لا يزال هارباً من الملاحقات عبر الفيافي؟! كيف ينمو حنين الإنسان إلى وطنه وبغداد تحمل شارات التعسّف والظلم منشورة جماجم معلّقة في الهواء فوق جسور دجلة والفرات[٥] ، تدليلاً على عظمة البطش وهيبة السلطان؟!

لعمري ، إنّ رسالة الإمام علي إلى الأشتر تشهد للرجل الكبير بصدق

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ ٤ : ١٣٣ ، الوافي بالوفيات ٨ : ٨٩ .

(٢) راجع : تاريخ مدينة دمشق ٥٣ : ١٢٧ ، البداية والنهاية ١٠ : ٤٥ ، أعيان الشيعة ٦ : ١٦٢ .

(٣) المقصود به عبد الرحمان الداخل الملقّب بصقر قريش .

وهو : أبو المطرّف عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأُموي : أمير الأندلس وسلطانها . ولد بأرض تدمر سنة ١١٣ هـ في خلافة جدّه ، ولمّا انقرض ملك الأُمويّين في الشام وتعقّب العبّاسيّون رجالهم بالفتك والأسر ، أفلت عبد الرحمان ، وقصد المغرب ، فبايعه من في الأندلس من الأُمويّين ، فدخلها سنة ١٣٨ هـ ، واستقرّ في قرطبة ، وبنى فيها القصور والمساجد ، وجعل الخطبة للعبّاسيّين بادئ الأمر ، ثمّ قطعها . كان رجلاً شجاعاً فاتكاً شديداً سخياً شاعراً . توفّي بقرطبة سنة ١٧٢ هـ .

(العقد الفريد ٤ : ٤٤٨ ـ ٤٥٠ ، تاريخ الإسلام للذهبي ١١ : ٢٣٩ ـ ٢٤٢ ، سير أعلام النبلاء ٨ : ٢٤٤ ـ ٢٥٣ ، فوات الوفيات ٢ : ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ، نفح الطيب ١ : ٣١٤ ـ ٣٢٠ ، الاستقصا ١ : ١١٨ ـ ١٢٠ ، الأعلام للزركلي ٣ : ٣٣٨ ، في تاريخ المغرب والأندلس : ٧٦ و٩٧ ـ ١١٠) .

(٤) وهو يحيى بن معاوية بن هشام الأموي، قُتل يوم الزاب مع مروان بن محمّد المعروف بالحمار، وذلك في سنة ١٣٢ هـ .

لاحظ: تاريخ مدينة دمشق ٦٤: ٣٧٧، الكامل في التاريخ ٤: ٣٢٨.

(٥) هذه الظاهرة موجودة في عصر أغلب خلفاء بني العبّاس ، فلا حاجة لذكر المنابع .

نظرته وحصافه رأيه[١] . . تلك الدماء ذاتها مهدورة بغير حلّها ، جبلت من طينها ـ فيما بعد ـ جماجم الغزاة ، شأن جنكيز خان[٢] ، وتيمورلنك[٣] . أجل ، هو ذاته تيمورلنك الذي بنى في بغداد بجماجم البغداديين مئة وعشرين برجاً[٤]!

أجل ، إنّ الخلافة تكون مجوراً عليها إذا حُمّلت جريرة عدّة أجيال ، ولكنّها كانت مسؤولة كخلافة لرسالة سوف تتخطّى المكان والزمان عن مدّ نظرها إلى مثل هذه الأبعاد ، وهي مسؤولة على الأقلّ عن تثبيت قدم العدالة التي ما تزال قريبة من منابعها .

إنّ الخطوة الأُولى قرّرتها السقيفة ، وكان فيها ذلك الاعوجاج ، ولن

---

(١) الرأي الحصيف : السديد . (جمهرة اللغة ١ : ٥٤٠) .

(٢) جنكيز خان : فاتح مغولي كوّن أكبر إمبراطورية في التأريخ . ولد سنة ١١٦٢ م ، واسمه الأصلي تيموجين ، وكان أبوه رئيس قبيلة مغولية صغيرة ، فورثه جنكيز ، وبدأ يجذب إليه الأتباع حتى كوّن جيشاً كبيراً ، فأصبح بنهاية عام ١٢٠٦ م حاكماً للمغول ، ولقّبه رؤساء القبائل بجنكيز خان ، بمعنى الحاكم الكلّي أو الأمير الذي لا يُقهر . وحكم مساحة تمتدّ عبر أواسط آسيا من بحر قزوين إلى بحر اليابان ، وكانت لديه عبقرية عسكرية وسياسية وتنظيمية ، وأسّس أوّل نظام قانوني للمغول باسم ياسا أو ياساك . توفّي عام ١٢٢٧ م .
(الموسوعة العربية العالمية ٨ : ٥٠٣) .

(٣) تيمورلنك : فاتح مغولي شهير . ولد بكيش قرب سمرقند سنة ١٣٣٦ م ، ويرجع نسبه إلى جنكيزخان . أُصيب بسهم في ساقه فلقّب بتيمور لنك ، أي : تيمور الأعرج . يعدّ من أكبر قادة الجيوش في الشرق ، اجتاح بجحافله كامل المنطقة الممتدّة من منغوليا إلى البحر الأبيض المتوسّط منزلاً بالسلطان العثماني بايزيد الأوّل هزيمة منكرة عام ١٤٠٢ م . كان طويل القامة أبيض اللون مشرّباً بالحمرة طويل اللحية ذا جبهة عريضة ورأس ضخم جهوري الصوت . قضى نحبه وهو يعدّ العدّة لفتح الصين سنة ١٤٠٥م .
(دائرة المعارف الشيعية العامّة ٦ : ٥٨٠ ـ ٥٨١ ، موسوعة المورد ٩ : ١٦٧) .

(٤) لاحظ : دائرة المعارف للبستاني ٥ : ٥١٥ ـ ٥١٦ ، موسوعة السياسة ١ : ٨٣٨ .

يقاس درب طويل بخطوة معوجّة . .

ولم يكن الاعوجاج من المتطلّبين أمجاد الحكم أكثر ممّا كان من الحبل الطويل المشدود على خصور القبائل ، ذلك الشعب الذي كان معوجّاً ، وما صرف الجهد النبويّ إلّا اعوجاجه .

كيف تبحث قضيّة الخلافة بأمانة وإخلاص إن لم يتحرّر الباحث من الهوى؟! ولكنّ الذين تزاحموا على كرسي الحكم ما ساقهم إليه إلّا الهوى!

كان كرسي الخلافة بين أن يثبت متيناً وبين أن ينهار رهناً بحروف اسمه إمّا أن يكون خلافة ، أو أن يكون حُكماً ، والخلافة كانت استكمال خطّ واستمرار نهج ، والحكم كان لوناً سياسيّاً وصوليّاً .

إنّ الحكم في الجزيرة في خطّة الماضي لم يكن درجة في سلّم حضاري . إنّ الرسالة الجديدة هي التي نقضت هذا الحكم في مجال تحضير مادّة جديدة يستقيم فيها الحكم ، تلك المادّة هي الوجبة الروحيّة التي يكتمل بها رشد الإنسان في الجزيرة حتّى يتوصّل إلى حقيقة الحكم .

تلك الحقيقة كان يعرفها النبيّ ، وكان يعرفها أشدّ الناس اختلاطاً بالنّبي ﷺ ، لهذا كان النبيّ أكثر تشديداً على استكمال نموّ رسالته بتسليمها إلى الذي يدرك الكنه العميق . . هنا كانت تبرز الإشارة بوضوح إلى علي .

كان المقصود بإسناد الخلافة إلى علي خلافة المعنى الصحيح أكثر منها حُكماً مؤقتاً ، خلافة لرسالة تتمّ تحضير الوجبة الكبيرة ليأكل منها كلّ الذين هم بحاجة إلى اكتمال الرشد .

في أيّ وقت يكتمل الرشد؟ إنّ ذلك يكون رهناً بالسلسلة الطويلة في اكتمال نضجها وبثّ إشعاعاتها . وهذا كان على ما يظهر قصد الرسالة .

وَتَر في غِمْد

إنّ الّذين كانوا أقلّ الناس فهماً لخطاب فاطمة هم بالذات أُولئك الذين كانوا حاضرين في باحة المسجد يصغون ؛ لأنّ ذلك الخطاب كان من نوع الإمحال في اقتلاع الحجارة ، لا يتأثّر مركز الثقل[1] فيها إلّا بنسبة ما تطول سوقها .

ولم يكن الخطاب موجّهاً إلىٰ شرذمة من الناس ، فهو ما أخذ من المسجد قاعدة له إلّا لتكون له رنّة الأذان .

لذلك كان الخطاب في المسجد لأبعد بكثير من جدران المسجد ، ولم يكن للمئذنة في المسجد ، بل للجوّ الذي تتطاول إليه مئذنة المسجد .

هل كانت فاطمة تدري بأنّ لخطابها تلك القيمة وتلك الأبعاد؟ ولكنّ الثورة التي كانت متولّدة في نفسها كانت من وحي تلك المعاني ومن مسافة تلك الأبعاد ، لهذا جاءت كلماتهم كالأُنوثة فيها ، وهادرة كأنّها التعبير عن انفجار السدود .

وكلّ شيء يفقد قيمته إن لم يكن تعبيراً . وثورة فاطمة كانت ذيّاك التعبير عن ألم في النفس كانت تدرك هي كلّ أسبابه وتعاني كلّ أثقاله . . لقد

---

(١) مركز الثقل (Center of gravity) : نقطة في الجسم يبدو وكأنّ ثقله كلّه متمركز فيها ، وذلك بسبب من قوّة الجاذبية . (موسوعة المورد ٢ : ١٩٨ ، موسوعة علم الفيزياء : ١٦٨ ـ ١٧٣) .

عاشت أباها في كلّ قضيّة ، ولقد تزوّجت عليّاً في تجسيده تلك القضيّة ، ولم يكن موت أبيها إلّا ليفقدها نشوة تحسّس القضيّة واستطراد نموّها .

لقد بدأت تلمس بكلّ حسّها أنّ الموت الذي تناول الرجل العظيم أخذ يمدّ يده الباردة إلى النتاج العظيم الضخم من بعده . . إنّ البادرة الأُولى كانت رهيبة بالنسبة إليها : أين أصبح كرسي الخلافة من زوجها؟ زوجها بالذات الذي ساهم بالنحت والتوجيه والإخراج ، ماذا كان النفع من الوصيّة؟ لم ينفع لا التلميح ولا التصريح !

بوحي هذا الكابوس انطلقت فاطمة تعبّر عن نفسها لتعبّر عن كلّ القضيّة . أمّا أُولئك الذين سمعوها فإنّهم لم يسمعوها إلّا من خلال فدك ، من خلال إرث فقط تطالب به .

إنّه فيما بعد ، في كلّ سنة بعد سنة ، في كلّ جيل بعد جيل ، أصبح السماع إليها من خلال القضيّة .

هكذا كان يعمق مع الوقت سَمعُ الخطاب ، وهكذا أصبحت فاطمة تسمع من خلال صوتها الناعم كأنّها النذير .

ما تضاءلت قضيّة فدك ، ولكن أصبحت من خلالها وتراً في غمد .

فدك

ما أضيق فدك إرثاً لفاطمة!

لن تكون قرية في الحجاز ـ مهما تطيب أرضها أو تبسق نخيلاتها أو يترطّب جوّ واحتها ـ حدود إرث لتلك التي وعدها أبوها بكلّ ميراثه .

وميراث محمّد في أيّة خريطة من الخرائط تنزّلت له الحدود؟ ذلك الذي ربط الجزيرة بالآفاق ، وأذاب الأُفق في الأجواء . . لا الأرض وسعت ولا الخيال يطال ذلك الذي فتح الغار على الأغوار ، لن تكون الأرض وحدها حدود رؤاه ، ولن يكون الفضاء أبعد من مداه . . إنّه رسول الله ، ذلك الذي هو قبل الحدود وبعد الحدود ، قبل الزمان وبعد الزمان .

إنّ أُولئك الذين كانوا يطلبون خلافة ، قد ضيّعوا لمّا وضعوا لها حدوداً ، وجزّأوها لمّا اقتطعوا منها ما سمّوه بفدك! وماكانت خلافة محمّد إلّا نظرة متطاولة إلى أبعاد : مع التراب وعبر التراب ، مع الأثير وعبر الأثير ، مع الإنسان وعبر وجود الإنسان . وماكان محمّد ذرّة من تراب إلّا ليكون كلّ الهيولي ، وماكان بؤبؤ عين إلّا ليكون فضاء ، وماكان غاراً إلّا ليكون كوى المفاتح ، وماكان فدكاً أو واحةً في فدك إلّا ليكون جنّة أو كوثراً في الجنان!

ولقد رمز الإمام موسى بن جعفر إلى هذا المعنى في الشمول ، إذ حدّد فدكاً بهذا الرمز : «الحدّ الأوّل لفدك : عدن ، والحدّ الثاني : سمرقند ، والحدّ

الثالث : أفريقيا ، والحدّ الرّابع : سِيف البحر[١] ممّا يلي الجزر[٢] وأرمينيا»[٣] .

وهذه حدود إن تشمل فإنّها لا تشمل غير حدود إمبراطورية الإسلام ، إنّها ليست أكثر من حدود مغبّرة فيها ماء وفيها تراب ، وحدود فدك ـ لعمري ـ هي فدك وما بعد فدك ، وهي كلّ غور ، وبعد كلّ مرئي ، وبعد كلّ ملموس ومحسوس ، وبعد كلّ حاضر ، وبعد كلّ آتٍ! إنّها كلّ ذلك : موجوداً ومضموناً ، مقطوعاً وموصولاً ، منثوراً ومنضوداً .

ولقد ذاب يهود فدك لمّا ذابت حدود فدك في الهالة الكبرىٰ ، ولقد انتصرت الجزيرة علىٰ فدك في الساعة التي انغمرت فيها بالنور ، في اللحظة التي انفتحت فيها آفاقها علىٰ الأجواء ، في اللحظة التي وجد فيها الإنسان حدود الإنسان .

في تلك اللحظة فقط تقلّص القزم اليهودي ، وذاب وهم أرض

---

(١) سِيف البحر : ساحله . (المصباح المنير : ٢٩٩) .

(٢) الجزر: موضع بالبادية، وكورة من كور حلب . (معجم البلدان ٢: ١٣٣) .

وقد يراد بها في كلام الإمام عليه السلام جمع الجزيرة، حيث أشار إلىٰ بعض الجُزر .

(٣) في كتاب «مناقب آل أبي طالب» (٣ : ٣٦٤) ورد الحديث هكذا : (إنّ هارون الرشيد كان يقول لموسىٰ بن جعفر : خذ فدكاً حتّىٰ أردّها إليك ، فيأبىٰ ، حتّىٰ ألحّ عليه ، فقال عليه السلام : «لا آخذها إلّا بحدودها» قال : وما حدودها؟ قال : «إن حدّدتها لم تردّها» . قال : بحقّ جدّك إلّا فعلت . قال : «أمّا الحدّ الأوّل فعدن» ، فتغيّر وجه الرشيد وقال : إيهاً! قال عليه السلام : «والحدّ الثاني سمرقند» فاربدّ وجهه ، «والحدّ الثالث : أفريقية» فاسودّ وجهه وقال : هيه! قال : «والرابع سِيف البحر ممّا يلي الجزر وأرمينية» . قال الرشيد : فلم يبقَ لنا شيء! فتحوّل إلى مجلسي . قال موسىٰ : «قد أعلمتك أنّني إن حدّدتها لم تردّها» . فعند ذلك عزم علىٰ قتله) .

وانظر : ربيع الأبرار ١ : ٣١٥ ـ ٣١٧ ، بحار الأنوار ٤٨ : ١٤٤ ـ ١٤٥ .

الميعاد[١] . في تلك اللحظة فقط ماد[٢] جبل طور سيناء تحت خفقة ومضة الحقّ . .

في تلك اللحظة انخبطت أسباط بني إسرائيل ، وفقئت عين الأسخريوطي[٣] ، وتصدّع حجاب الهيكل ، وطغى الزبد على مرفأ إيلات[٤] . .

في تلك اللحظة كانت تربط الأرض بالسماء ، وتتوسّع آفاق الأرض أمام الزحف المؤمن ؛ لتتقوّض أركان المرتع الروماني ، وتهتزّ جذور أواوين الأكاسرة . .

في تلك اللحظة كانت تتثبت حدود اللامحدود ، وتذوب النزعات اليهودية الحقيرة في مصهر الحقّ والعدالة . .

في تلك اللحظة كانت تنظّف الأرض من الأدران ، ويتحوّل السراب إلى أنداء ، وينقلب عجين الغبار إلى مزاهر . .

---

(١) أرض الميعاد : هي أرض كنعان الموعودة التي تعلّق اليهود بوهمها منذ القدم . (موسوعة السياسة ٧ : ٤٤٦) .

(٢) ماد : تحرّك وتمايل . (مجمل اللغة : ٦٥٥) .

(٣) يهوذا الأسخريوطي : حواريٌّ خان عيسى المسيح حسب اعتقاد النصارى ، حيث تلقّى ثلاثين قطعة من الفضّة مقابل خيانته لعيسى عليه السلام ، فقد قام بتقبيل المسيح ليعرفه الأعداء ، وأكّد إنجيل يوحنّا بأنّ عيسى أيقن أنّ يهوذا قد خانه . وكانت دوافع يهوذا للخيانة هي الجشع والطمع وغواية الشيطان . وتوجد روايتان عن موته : إحداهما : أنّه أعاد أموال الخيانة وشنق نفسه ، والأخرى : أنّه اشترى مزرعة بتلك الأموال وسقط في منتصفها ومات . وحاولت بعض الآثار تقديمه في مظهر إيجابي ، إمّا بذكرها أنّ يهوذا تصرّف وفق خطّة الربّ ، أو أنّه كان يعتقد أنّه بعمله هذا يجعل عيسى يُثبت أنّه هو المسيح . (الموسوعة العربية العالمية ٢٧ : ٣٥٤) .

(٤) تقدّم تحديد هذا الموقع ، فراجع .

ثمّ عاد يعيش الوعل الروماني ، عاد يتنفّس الذئب في إسرائيل ، عادت منذ تلك اللحظة بالذات تفرط فيها فدك إلىٰ حدود ، ينظر إليها عدداً من نخيل ورطوبة في واحة وسواد في تراب . . منذ تلك اللحظة المتردية أخذ يتقلّص النور ليحصر في زجاجة ، وأخذت السحب تتجمّع من مساحيها العميقة كأنّها معاقد الدخان فوق البراكين تتحوّل إلىٰ نشفة السراب . .

علىٰ هذا المفرق الحزين وبعد موت النّبي ﷺ وقفت فاطمة تنشد إرثها، فلا تجد حدوداً له أوسع من قرية في الحجاز ، فيها واحة ، وفيها نخيل ، وفيها عنصر من الناس ، ماكادوا يذوبون حتّىٰ عادوا فانفجروا أسافين[1] تقوّض عزّ إمبراطورية كانت تفتّش عن حدودها فوق الأرض وتحت الأرض ، وفوق السماء وتحت السماء!

(١) الإسفين : وقد يستعمل في أغراض كثيرة ، منها ربط جسم بآخر ، أو الإبقاء علىٰ الانفراج . يقال : دقّ بينهم إسفيناً : فرّق بينهم . (المعجم الوسيط ١ : ١٨) .

ابنة النبيّ ﷺ

لقد كانت فاطمة الزهراء ابنة النبيّ أكثر مما كانت ابنة الأمين محمّد . . لقد كانت ابنة الصفة في زوج خديجة .

وأيّ معنىً للإنسان يعيش بجسده ولا يعيش بالصفة فيه؟! أيّة قيمة لحبّة القمح إن لم تكن تاجاً فوق ساق تمتن بقوّة الخصب من قلب الحياة؟! وأيّ معنىً لبتلات الزهرة[1] إن لم تكن فوحاً بين وريقات تخضّلت[2] بأنفاس الربيع وأنداء السحر؟!

وفاطمة العفيفة كانت ابنة الصفة في النبي ﷺ ، الصفة المخصبة بعبقريّة الخلق والتوليد . . لقد كان جسدها النحيل وعاء لروح شقّت حتّىٰ اندغمت بالمصدر الذي بزغ منه أبوها .

وهي التي أحبّت أباها يأكل اللقمة علىٰ المائدة الكبرىٰ ، ويشرب الكوب من رشح المنابع . . هكذا أحبّت أباها صفة في الوجود لا طينة من تراب ، أحبّته ذرّة رمل تحضن سوسنة وليس ذرّة رمل تتطاير طحين غبار ،

---

(١) البتلات : هي الأجزاء شبه الورقية المكوّنة لتويج الزهرة . وهي الأجزاء الرائعة المنظر وذات الألوان المبهجة في معظم أنواع الزهور . وتجذب ألوانها الحشرات والطيور التي تساعد في نشر لقاح الأزهار . وفيها مواد زيتية ومركّبات كيميائية تنشأ منها رائحة الزهور . (الموسوعة العربية العالمية ١١ : ٦٤٧ و٦٤٨) .

(٢) تخضّلت : تبلّلت . (لسان العرب ١ : ١١٠٩) .

أحبّته غماماً يتكاثف ليهمي غيثاً وليس ضباباً يتناشف ليرتجف سراباً . .

تلك هي الرهافة في الصدّيقة الزهراء التي جعلتها ابنة نبي أكثر ممّا جعلتها ابنة عبقريّ ، تلك هي القبلة المفتوحة على بواكير الصفاء ، تخصُّ رفيقة للرجل العظيم الذي شرع حسامين دفاعاً عن حقّ توطّدت ركائزه على صلابة ساعده ومتانة منكبيه، كما تركّزت على متانة عقله وصفاوة وجدانه . . وتلك هي البتول المحصّنة بحبّ أبيها ، حبّ ذابت فيه كما تذوب الشموع على مدارج الهياكل ، لتكون أطهر أُمّ عرفتها الأجيال .

زوجة عليّ

تبارك بيت لحارثة بن النعمان[1] ! بيت موصول ببيت ، جدار واحد يفصل ويجمع . . ذلك البيت كان البيت الجديد الذي نزلت فيه فاطمة وزوجها علي ، ليكون لها في جوار البيت الكريم جدار تسند إليه رأسها الناعم ، فتسمع من خلفه نبض قلب الأب الكبير يخفق حباً وكبراً وحناناً .

من هذا الجوار كان يمتدّ عبر الجدار سلك مسبوب ، أخذت فاطمة تتلمّسه كلّ صباح ومساء ، وتنقر عليه من قلبها كلّ لفحات حبّها وعطفها واعتزازها ، وتستقبل عليه من الطرف الثاني كلّ اللواعج المكنونة في قلب رأى الدنيا كلّها مسكوبة في عين فلذة حلوة من فلذاته .

في هذا البيت الذي فضّلت أن تنتقل إليه مع زوجها تيمّناً بالجوار والتصاقاً بالجدار تمّت حياكة عمرها .

---

(١) أبو عبد الله حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد النجّاري الخزرجي الأنصاري : من فضلاء الصحابة . أُمّه جَعدة بنت عُبيد بن ثعلبة النجّاري ، يضرب به المثل في برّه بأُمّه هذه . شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ . وُصف بالدين الخير ، وكانت له منازل قرب منازل النّبي ﷺ ، فكان كلّما أحدث رسول الله ﷺ أهلاً تحوّل له حارثة عن منزل . قيل : إنّه رأى جبريل ﷺ . توفّي في أيّام معاوية ، وخلّف من الولد : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وسَودة ، وعمرة ، وأُمّ كلثوم . قال الذهبي : «لا نعلم له رواية» .

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ٤٨٧ ـ ٤٨٨ ، طبقات خليفة : ١٥٩ ، التاريخ الكبير ٣ : ٩٣ ، الاستيعاب ١ : ٣٦٨ ـ ٣٧٠ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٣٧٨ ـ ٣٨٠ ، مجمع الزوائد ٩ : ٣١٣ ـ ٣١٤ ، الإصابة ٢ : ٣١٢ ـ ٣١٣) .

لقد تزوّجت عليّاً ، لقد عُرِضَ عليها من قبل الزواج من أبي بكر الصدّيق مثلاً ، من عمر بن الخطّاب طالب آخر ، ولكنّ النبيّ الكريم ماكانت له بعد الموافقة ، إنّه كان ينتظر بفاطمة القضاء[١] . . حتّىٰ نزل القضاء .

ولقد تمّ الزواج ببساطة كأنّها القناعة ، كأنّها الرضا ، كأنّها العفّة ، كأنّها الاستسلام لمشيئة منتظرة ، كأنّها السعادة المرجوّة علىٰ ارتقاب .

وارتبطت حياة فاطمة بحياة عليّ بالرباط الذي يجب أن يتقاسم عليه كلّ زوجين أحكام المصير : نعيماً بنعيم ، وبؤساً ببؤس .

وتقدّمت فاطمة إلىٰ ساحة الحياة ، تحمل علىٰ منكبيها أعباء المشاركة برضوخ المؤمن في استجابته للمشيئة الكبرىٰ ، وكانت التلبية منها شهادة لها بالأصالة .

أحبّت عليّاً بطلاً ، فاندغمت به علىٰ بطولة ، أحبّته صمصاماً ، ولم تقبل إلّا أن يكون علىٰ يده تلميع حسامه ، أحبّته خيالاً ولم تسبح إلّا في فضاء خياله ، أحبّته غيثاً ولم ترض إلّا بأن تغتسل بالمزنة[٢] من غمامه .

كلّ هذا كان منها علىٰ تحقيق : رضى بفقر ، وصبراً علىٰ قشف[٣] ، واستسلاماً بإيمان ، ورضوخاً عن اقتناع ، وسكوتاً في كبر ؛ تأديةً لواجب عيّنته نظرة واضحة المرأي جلية المرمى .

---

(١) لاحظ : الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨ : ١٩ ، الذرّية الطاهرة : ٩١ ، المناقب لابن المغازلي : ٣٤٧ـ ٣٤٩ ، المنتظم ٣ : ٨٥ ، ذخائر العقبىٰ : ٢٩ ـ ٣٠ ، الرياض النضرة ٣ : ١٢٦ ـ ١٢٨ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٦ : ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ، نظم درر السمطين : ٢٤١ ـ ٢٤٢ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٠٥ ، كنز العمّال ١٣ : ٦٨٤ ـ ٦٨٦ ، بحار الأنوار ٤٠ : ٦٨ .

(٢) المُزن : السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو الماء . والمزنة : المطرة . (القاموس المحيط ٤ : ٢٧٣) .

(٣) القشف : ضيق العيش وشدّته . (تهذيب اللغة ٨ : ٢٦١) .

لم يكن الجدار الفاصل بين بيتها وبيت أبيها غير سلك تعبر عليه تلك الأشواق المحمومة ، تنهمر عطفاً وضياءً من عين أبيها ، تستنير بوهجها في تنقيل خطواتها على الطريق الشائك ، وتقوم بكلّ مسؤوليّاتها تجاه فروض الحياة .

كيف لا وهي ليست إلّا أُمّ أبيها؟! إنّ قلبها الصغير بمكنته أن يتّسع ليس لأُمومة مفردة بل لأُمومتين . . هكذا رضيت بتحمّل الأعباء مع جسمها النحيل ؛ تحقيقاً لأهداف قبلت بها نفسيّتها الجبارة .

ولن تخيب أشواق أبيها . . إنّ خصرها النحيل سيتقبّل خلجة الحياة الشريفة ، وستتوسّع ضلوعها مع الجنين الأوّل لتضع في حضن الحياة أقدس ما تتمكّن به من مشاركة الحياة في الخلق والإبداع ، وسيأخذ النبيّ أوّل نتاج لفاطمة ، وسيرفعه بين يديه الكريمتين ، وسينفخ في وجهه نسمة الحبّ والرضا ، وسيطرح عليه البركة التي سترافقه مع الأجيال .

هنيئاً للأُمّ النحيلة باكورة أعراقها وآلامها ودموع مآقيها تنطفئ كلّها مع وعوعة[1] طفلها الأوّل مرتسمة على محيّاه الندي أحلاماً عذاباً ، تتبلسم بها عين أُمّ أنجبت لأبيها عماد الملكوت .

ثمّ أنجبت الأُمّ فلذتها الثانية من عصارة نحولها ؛ ليكون للنبيّ بالحسن والحسين جناحين في امتداد المجال .

وبقيت الأُمّ تنجب من جسمها النحيل . . لقد نزلت في البيت الفقير أُختان أخذتا اسمي خالتيهما زينب وأُمّ كلثوم ، وبقيت الأُمّ تشارك

(١) المعروف أنّ صياح المولود عند الولادة هو الاستهلال . لاحظ كتاب «فقه اللغة» للثعالبي : ١٩٠ .

بالمجهود ، تارةً تسقط تحت العبء ، فيمدّ الزوج الأمين يد المساعدة ، وطوراً تنهض لمتابعة الجهاد ببطولة ماكانت تجد في الجسم الهزيل تلبيةً لها .

وما ونت ، ستتحمّل موت أبيها ، ولقد تحمّلت من قبل إغماضه عين أُمّها ، وستشارك زوجها في بطولات الدفاع .

إنّ باحة المسجد ستنتظرها وهي ماشية إليه ، ولن تنهار قبل أن تفي البطولات حقّها ، وقبل أن تسجّل مع العبير اسمها الجليل .

أُمّ الحسن والحسين عليهما السلام

وهذه رحم ماكانت بطانتها من لحم ودم! لقد شقّت من قبل رحم مثلها عن ولادة جاءت رحماً لسمو الإنسان ، تلك مريم واضعة في حضنها ذلك الذي احتضن الأرض والسماء ، وهذه فاطمة الزهراء تتفتّق خاصرتها عن سلالة هي ديمومة النبوّة في خطّها الصاعد مع الأجيال . .

هي إرث الإنسان في احتكاكه بالجوهر الأسمى فيه . .

هي ذلك التحضير النفسي لتحسّس الإنسان بقيمته المربوطة بالمصدر الأعلىٰ . .

هي تكثيف ذلك الإدراك الإنساني عن طريق التحسّس الضمني بأنّ الله سمو ، وأكثر ما يتحسّس به هم الأولياء المرهفون .

وماكان الحسن والحسين إلّا بداية السلسلة المؤتمّة إنّ الرحم التي انشقّت عنهما ما طابت إلّا في أنّهاكانت مستقرّاً لذرّية تحدّرت من قطب الوعي العقلي والتفتّح النفسي ، تحدّرت من مشيئة ذلك الذي استوحى المشيئات .

«هذان ولداي إمامان ، قاما أم قعدا»[1] .

---

(١) ورد الحديث بألفاظ متقاربة في : المسائل الجارودية للمفيد : ٣٥ ، روضة الواعظين : ١٥٦ ، عوالي اللئالي ٣ : ١٣٠ ، تفسير نور الثقلين ٤ : ٢٨٤ .

«النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض»[١] .

«يا علي ، أساس الإسلام حبّي وحبّ أهل بيتي»[٢] .

«أثبتُكُم على الصراط أكثركم حبّاً لأهل بيتي»[٣] .

إنّها مشيئة في تعيين الإرث وضبط المخطّطات . . إنّ الجزيرة المفكّكة بحاجة إلى هذا الانضباط . . إنّ إنسان الجزيرة المشتّت بحاجة إلى جامع ، إلى ضابط ، وإلى وازع ، إنّها بأشدّ الحاجة إلى القيادة .

وإرث محمّد ما وسع ليضيق وما انفرج ليقبض ، ولقد أصبح إرث الرسول أشمل من أن يحدّ بتخوم وأبعد من أن يحصر بمجال ، ولم يكن اعتماد النبيّ في التحصين والتكميل إلّا على رجل واحد[٤] شاركه بالتنوير والإضاءة ، ولم يهب حبّه الكامل إلّا لامرأة واحدة[٥] انشطرت من قلبه وانتزعت من روحه ، ولم يُعقد له أمل إلّا على أهل هذا البيت الذي أخذت يدرج فيه عماداً الآتي .

لهذا جمع أهل البيت تحت كسائه :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٦] .

---

(١) لاحظ : المعجم الكبير للطبراني ٧ : ٢٢ ، فردوس الأخبار ٢ : ٣٧٩ ، المطالب العالية ٤ : ٧٤ ، كنز العمّال ١٢ : ١٠١ و١٠٢ .

(٢) أنظر : الكافي ٢ : ٤٦ ، شرح الأخبار ٣ : ٨ ، كنز العمّال ١٣ : ٦٤٥ ـ ٦٤٦ ، الأمالي للطوسي ١ : ٨٢ ، الفقيه ٤ : ٣٦٤ ، الدرّ النظيم : ٧٧٢ ، وسائل الشيعة ١٥ : ١٨٤ ، مع اختلاف يسير .

(٣) رواه ابن عدي في كامله ٦ : ٣٠٢ .

(٤) يقصد به أمير المؤمنين عليه السلام .

(٥) المقصود بها السيّدة الزهراء عليها السلام .

(٦) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

«الصلاة ـ أهل البيت ـ الصلاة»[١] .

هكذا تمّ التحضير ، فالرسول إنّما هو فوق الأرض لتسري عليه نواميس الأرض ، لن يكون بعيداً يوم يترك فيه جبلة التراب ، ولن يترك صفحة الأرض قبل أن يترك لها خريطة الغد . .

إنّ الشريعة قد نزلت في قرآن ، وسيعين علياً أوّل قيّم على هذه الشريعة ، من هنا تكون بداية الخطّ من جيل إلى جيل .

ولم تكن إذاً فاطمة إلّا لتتسع وهي تسمع أباها يمهّد لها ولأهل بيتها بالإرث وبالوصاية .

في مبدأ البعثة قال النبيّ في علي : **«هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم»**[٢] .

في غزوة الخندق قال ـ وقد برز علي إلى عمرو بن ودّ ـ : «برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه»[٣] .

وقبل الهجرة قال : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ، غير أنّه لا نبيّ من بعدي»[٤] .

---

(١) راجع : فضائل أهل البيت من فضائل الصحابة : ٢٥١ ، سنن الترمذي ٥ : ٦٦٣ و ٦٩٩ ، المسند لأبي يعلى ٧ : ٥٩ ، المعجم الكبير للطبراني ٣ : ٥٦ ، شواهد التنزيل ٢ : ١٢ و١٣، بأدنى تفاوت.

(٢) انظر : سنن الترمذي ٥ : ٦٣٦، مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه : ١٠٠ و ١٠٢ ، مع اختلاف في الألفاظ .

(٣) لاحظ : كنز الفوائد ١ : ٢٩٧ ، إعلام الورى ١ : ٣٨١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٧ : ٢٠٠ ـ ٢٠١ ٢٦١ ، ٢٨٥ و ١٩ : ٦١ ، عوالي اللئالي ٤ : ٨٨ .

(٤) لا يخفى أنّ قول المصنّف : «قبل الهجرة» يعدّ أحد الأقوال في زمان صدور هذا الحديث ومواطنه ، وهنا يوم الدار ، إلّا أنّ المشهور أن مناسبة هذا الحديث كانت في زمن غزوة تبوك سنة ٩ هـ ، أو يقال : إنّ النبيّ ﷺ قال ذلك في عدّة مواطن وأوقات متفرّقة ، فلاحظ .

←

ولقد روى ابن عبّاس[١] : أنّ النبيّ قال : «إنّه لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي»[٢] .

[وقال] : «لا يحبّك إلّا مؤمن ، ولا يبغضك إلّا منافق»[٣] .

ـ وعلىٰ كلٍّ تجد هذا الحديث مذكوراً في : المصنّف للصنعاني ٥ : ٤٠٦ و ١١ : ٢٢٦ ، مسند ابن الجعد : ٣٠١ ، سنن الترمذي ٥ : ٦٤١ ، المسند لأبي يعلىٰ ١ : ٢٨٦ و ٢ : ٥٧ ، ٦٦ ، ٧٣ و ١٢ : ٣١٠ ، كنز الفوائد ٢ : ١٦٨ ، العمدة ابن البطريق : ٧٥ و ٢٣٩ ، نظم درر السمطين : ١٦٦ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٠٩ و ١١ و ١٢٠ ، التاج الجامع للأصول ٢ : ٣٣٣ .

(١) أبو العبّاس عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمي القرشي المعروف بحبر الأُمّة أو البحر : أحد أعلام الإسلام ورجالات الأُمّة . أُمّه أُمّ الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، ومولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين ، انتقل مع أبويه إلى المدينة سنة الفتح ، وقد مسح النبي ﷺ على رأسه ودعاله بالحكمة . كان وسيماً مديد القامة مهيباً ذكي النفس من رجال الكمال . صحب النبيّ نحواً من ثلاثين شهراً وحدّث عنه ، وعن : عمر ، وعلي ، ومُعاذ ، ووالده ، وخلق . وروىٰ عنه . أنس بن مالك ، وعروة بن الزبير ، وطاووس ، وسعيد بن جبير ، وأبو العالية ، وعطاء ، وغيرهم . شهد مع علي عليه السلام الجمل وصفّين والنهروان ، وكان أميراً على البصرة زمن الأمير ، وقد غزا أفريقية مع ابن أبي سرح . وذكر ابن حزم : أنّ أبا بكر محمّد بن موسى بن يعقوب بن عبدالله المأمون العبّاسي قد جمع فتاوى ابن عبّاس في عشرين مجلّداً . توفّي بالطائف سنة ٦٧ هـ أو ٦٨ هـ ، وعمره إحدى وسبعون سنة ، وصلّى عليه محمّد بن الحنفية .
(الجرح والتعديل ٥ : ١١٦ ، الثقات لابن حبّان ٣ : ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، حلية الأولياء ١ : ٣١٤ ـ ٣٢٩ ؛ أدب الدنيا والدين : ٣٣ و ١٠٤ ، الأحكام لابن حزم ٥ : ٨٧ ـ ٨٨ ، الاستيعاب ٣ : ٦٦ ـ ٧١ ، صفوة الصفوة ١ : ٧٤٦ ـ ٧٥٨ ، وفيات الأعيان ٣ : ٦٢ ـ ٦٤ ، تذكرة الحفّاظ ١ : ٤٠ ـ ٤١ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٣٣١ ـ ٣٥٩ ، العقد الثمين ٤ : ٣٧٢ ـ ٣٧٤ ، الإصابة ٤ : ٩٠ ـ ٩٤ ، تهذيب التهذيب ٥ : ٢٤٢ ـ ٢٤٥ ، طبقات المفسّرين للداوودي ١ : ٢٣٩).

(٢) يذكر هذا الحديث عادة ضمن حديث المنزلة وفي ذيله ، انظر أغلب المصادر المتقدّمة في الهامش السابق لترجمة ابن عبّاس .

(٣) قارن : مسند أحمد ١ : ٨٤ و ٩٥ و ١٢٨ ، سنن الترمذي ٥ : ٦٤٣ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٤٢٦ ، المناقب للخوارزمي : ٣٢٦ ، جامع الأُصول ٨ : ٦٥٦ ، كفاية الطالب : ٧٢ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٣٣ ، عوالي اللئالي ٤ : ٨٥ .

ولقد قال الرسول : «أنا مدينة العلم ، وعليّ بابها»[١] .

[وقال] : «أقضاكم علي»[٢] .

[وقال] : «عليّ مع الحقّ ، والحقّ مع علي . . لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[٣] .

[وقال] : «لكلّ نبي وصي ووارث ، وإنّ وصيّي ووارثي علي»[٤] .

ويوم الغدير قال : «اللّهمّ ، وال من والاه ، وعاد من عاداه» ، «من كنت مولاه فعلي مولاه»[٥] .

بهذا التحضير الكامل هيّأ النبيّ عدّة المستقبل ، موجّهاً أهل الجزيرة

---

(١) راجع : سنن الترمذي ٥ : ٦٣٧ ، شرح الأخبار ١ : ٨٩ ، تحف العقول : ٣٢١ ، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٤٢ و ٣١٣ ، كشف الغمّة ١ : ١١٣ و٢٥٦ ، نهج الحقّ : ٢٣٦ ، الجامع الصغير ١ : ١٠٨ ، كنز العمّال ١٣ : ١٤٨ ، التاج الجامع للأُصول ٣ : ٣٣٧ .

(٢) لاحظ : حلية الأولياء ١ : ٦٥ ، المناقب للخوارزمي : ٨١ ، المناقب للشيرواني : ١٩٢ و ١٩٩ ، كشف اليقين : ٤٥ ، ذخائر العقبى : ٨٣ .

(٣) ورد ذيل هذا الحديث بلفظ : «يدور معه حيث ما دار علي» ، وبلفظ : «يزول معه حيث ما زال» . والذي ذكره المصنّف إنّما هو ذيل حديث الثقلين المعروف ، فلاحظ .
وانظر : شرح الأخبار ٢ : ٦٠ ، كفاية الأثر : ٢٠ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢١ ، إعلام الورى ١ : ٣١٦ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٧٦ و ٧٧ و ٢٩٧ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٦١ .

(٤) راجع : المعجم الكبير للطبراني ٦ : ٢٢١ ، الكامل لابن عدي ٤ : ١٤ ، المناقب لابن المغازلي : ٢٠١ ، المناقب للخوارزمي : ٨٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٩٢ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٣٥ و ٢٦٤ ، كشف الغمّة ١ : ١١٤ ، بأدنى تفاوت .

(٥) ورد الحديث هكذا : «من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهمّ ، والِ من والاه ، وعادِ من عاداه . .» .
قارن على سبيل المثال : المصنّف للصنعاني ١١ : ٢٢٥ ، سنن ابن ماجة ١ ٤٥ ، سنن الترمذي ٥ : ٦٣٣ ، بصائر الدرجات : ٩٧ ، المسند لأبي يعلى ١ : ٤٢٩ و ١١ : ٣٠٧ ، الفقيه ١ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠ و ٢ : ٥٥٩ ، مجمع الزوائد ٧ : ١٧ و ٩ : ١٠٣ ـ ١٠٨ ، ١٦٤ ، الجامع الصغير ٢ : ١٨١ ، الدرّ المنثور ٢ : ٢٥٩ ، ٢٩٣ و ٥ : ١٨٢ ، عوالي اللئالي ٤ : ٨٩ .

لاعتماد الخطّة الجامعة التي تأخذ على عاتقها السير بالأُمّة على منهج موحّد ؛ ليبعد عنها الضلال ، وليقيها شرّ الفرقة .

إنَّ أُمّ الحسن والحسين كانت أشدّ الناس استيعاباً لقيمة التحضير .

الإمامة

وماكان التحضير إلّا ليحصر القيادة في نطاق عصمتها ، فالخلافة الأُولى هي لزوم جمع الصفات الكبيرة فيها ، فهي إمامة من حقّها أن تكون رأساً كبيراً وعيناً وسيعة وقلباً رحيماً . . من حقّها أن يكون لها ثقل السداد وبعد النظر وقطب العدالة وروح السماح ، من حقّها أن تكون هذا الرأي وهذا العطف وهذا التفاني . . من حقّها أن تكون هذا الكلّ وهذا التوجيه وهذه الرفعة . . من حقّها أن تكون ترجيح عصمة .

في اللحظة التي تأمّنت فيها للجزيرة هذه العصمة المتكاملة تضافرت مجادلها نحو تحقيقٍ ما شهد التاريخ له مثيلاً .

لم يكن النبيّ العظيم ليغفل عن سرّ نجاح دعوته الكبيرة ، فأحبّ أن يترك للجزيرة من بعده من يتمكّن من متابعة جدل الحبال ، لن يكون ذلك عن طريق الاختيار ، فقبائل الجزيرة لم تبلغ بعد الرشد حتّى تتسلّم بنفسها زمام نفسها . . إنّ تربية المجتمعات الإنسانية تلزمها الأجيال الطوال حتّى تصبح الثقافة فيها أصيلة المعدن ، ومهما تعمق تلك الثقافة في المجتمعات فإنّ الأفراد فيها تتفاوت مفاهيمهم ، ولا يجمعهم كلّهم صواب الإدراك ليبقى هناك واحد تنفرد فيه صفات القيادة .

ولقد أحبّ النبيّ أن يعيّن القيادة من بعده بعد تحضير طويل ، ولقد وجد

في علي كلّ انصباب الصفات المؤهّلة ، ولقد جليت هذه الصفات وبرزت جلوتها ، ولا شكّ في أنّ جلوتها كانت نتيجة هذا الاحتكاك المتين .

من هنا يبدأ الخطّ في توارث الصفات ونقلها في جوٍّ من الاحتكاك الدائم يكون فيه التمرّس الطويل طريقاً للاقتباس وللإبداع .

هكذا حصر الإمامة في علي ؛ لتكون من بعده وحي ولاء عن ولاء ، وفهم عن فهم ، ومراس عن مراس ، وتوليد عن توليد ، وكفاءة عن كفاءة .

بهذا الخطّ الثابت تتوصّل الجزيرة إلى حقيقة ديمومتها في الخطّ البنّاء المتصاعد ، موفّرة عن نفسها التمرّغ في حزبيّاتها وألوان سياساتها ، مبعدة عن نفسها أخطار الاختيار في الرجوع إلى قبلياتها المتناحرة على كرسي السيادات .

بهذا الاستقرار تتوصّل إلى نحت نفسها في تعميق ثقافاتها ، وتنمية معاولها ، وتمتين ركائزها . . وبهذا الاستقرار تتوصّل إلى تنقية أجوائها من زحم الغبار ، وإلى تجنيب واحاتها من رجفان السراب .

تلك كانت نظرة أصيلة إلى مجتمعٍ كمجتمع الجزيرة ، مرّ حقباً طويلة بمحاولات قاسية ماكان يجني منها غير التفكّك المخزي ، فلقد عاش مشتتاً فوق رقعة ملتهبة ، تهرب منها طراوة العيش وطراوة التفكير ، وتهرب منها وحدة العمل وقوّة الاستنباط ، وتهرب منها روابط المجتمعات المتحضّرة من اقتصاد نامٍ وثقافة مولّدة .

ولم تشعر يوماً بقيمة وحدتها ، حتّى جاء النبيّ يلملم خيوطها ويجمع شتيتها . . ولقد سلّمها للتاريخ عبرة من أذكى العبر ، في كيف أنّ المجتمعات

المتردّية يفعل فيها التوجيه الموحّد ما لا تفعله أيّة قوّة أُخرى وفي أيّ مجتمع لا يعتمد فكرة التوحيد .

تلك كانت يقظة الجزيرة في تحريك القوّة الشعبيّة فيها نحو أهداف ومثل ، هي وحدها تلك الأهداف وتلك المثل تعيّن المنهج ، وتلوّن الخطّ ، وتعصر المجهود من كلّ طاقة بشرية حتّى تعمل إيجاباً .

إنّ تسليم الجزيرة لإمامة مصقولة ـ خصوصاً في ذلك الوقت من تاريخها وفي تلك الحال من أوضاعها ـ كان فيه كلّ الصواب وكلّ الرشد .

وما كانت فاطمة الزهراء إلّا لتشعر بهذا الثقل يرزح على بيتها الكبير ، فهي أُمّ هذه الإمامة وبداية هذا التاريخ .

الإرث

كلّ الذين يرثون يتعيّن ميراثهم ، إلّا فاطمة الزهراء ، فإنّ إرثها لم يكن ليتعيّن ، فهو في الوقت الذي كان يشار إليه في فدك كانت حقيقته تمتدّ من مكّة إلى المدينة ، إلى خيبر ، إلى هوازن ، ثمّ إلى الشام والكوفة ، ثمّ أخذ يمتدّ إلى فارس والهند ، وإلى مصر وأفريقيا .

لقد كان ميراثها في فدك من لون التراب ، وأصبح فيما بعد من نوع الأثير . . لقد كان يتقيّم ـ مع كرّ الأيّام ـ كأنّه من لوع امتداد الأظلال للأجسام ، تقصر في قرب هذه من مصدر النور ، وتستطيل مع بُعدها عنه .

وكان إرثها مع أبيها نبوّة ، وأصبح في زواجها من علي إمامة ، ثمّ ارتباطاً ببطولات ، وتطوّر في فدك إلى صنوج[1] تستثير إلى جهاد ، وانقلب مع الحسن والحسين إلى امتداد القضيّة ، ثمّ إلى استشهاد ، ثمّ تطاول الظلّ ، فأصبح الإرث ولاء تعشّقته الأجيال عفّة مسلك ، وطيب تذكّر ، وحبات مسابح ، ووجه قدوات ، وحقّاً مشروعاً يطلب ، وذكراً لا تطاله النسوة .

---

(١) الصُنوج : آلة موسيقية ذات أوتار . (المعجم الوسيط ١ : ٥٢٥) .

البقيع

إنّ البيت الذي بني في البقيع من جريد النخل هو الملجأ الذي كانت تأتي إليه فاطمة تنفّس فيه عن آلامها وأحزانها[1] . .

لو أنّ وصيّة أبيها احتُرمت لكان لها كل التأسّي ، لكانت لها اليوم جهود تصرف للعمل الإيجابي ، ولكنّ الموت الذي أسكت قلب أبيها مهّد السبيل لرجعة جاهلية حالت دون وصول زوجها إلى تسلّم المقود .

ذلك كان الفشل الذريع! لقد هبطت من أعلى ذروتها باسم الآمال ، لقد ذبلت من أبهج يوانعها معاقد الأحلام .

كلّ ذلك جاء ألماً على ألم يزحم بعضه البعض ، وجاء مع الكفر بالنعم . .

جاء مع الجحود مبيّتاً على الكره والبغض والتحدّي . .

جاء انتهازاً لفرصة وضربة غدر ، فكان اختلاساً وتحقيراً ، وامتهان كرامات ، وإخلالاً بمواعيد ، ونقضاً لمواثيق . .

وجاء تهديداً لوحدة جماعيّة عصر مجهود عمر في خلقها وتمتينها وتعهّدها . .

جاء تهديداً بهدر أتعاب كلّفت كثيراً من التضحيات ونزف الدم في

---

(١) ويسمّى : بيت الأحزان . راجع : رحلة ابن جبير : ١٧٤ ، مناقب آل محمّد : ٧٨ ، بحار الأنوار ٤٣ : ١٧٧ .

مجال تحقيقها وتثبيتها وتسييرها في وجهاتها الصاعدة المتألّقة . .

جاء خطراً على الغد الذي ينتظر إكمال الصرح الثابت بعزيمة الأبطال العباقرة . .

جاء محدوداً بنزعة ، مصبوغاً بميل ، مبتوراً بنيّة ، مجروحاً بغاية ، مذلولاً بقصد ، مجنوحاً بقصر نظر . .

جاء يقسم الخطّ الموحّد إلى خطّين ، ثمّ كلّ خطّ منهما إلى ما لا يعلم إلّا الله قيمة كسوره !

تلك هي جسامة الآلام التي كانت تعانيها فاطمة في البقيع دموعاً على أبيها الراحل ، ونفثات من صدرها كأنّها الهلع على المصير .

بسمتان

والأرض ما استحقّت من فاطمة غير بسمتين طافتا على ثغرها ،كما تطوف السخرية على فم حكيم أمام كومة من الجهلة أو شرذمة من الأفّاكين . .

والبسمة الأُولى تذوّقها ثغر فاطمة والألم يعصر قلبها حول فراش أبيها يطوف حوله شبح الموت ، وكانت بسمة فيها كلّ الغبطة وكلّ الرضا ، لقد شهدت لها بهذه البسمة عائشة أُمّ المؤمنين ، لقد شاهدتها على وجه فاطمة تنزل هائئة ،كما تنزل قطرة ندى في كم زهرة ، ولقد تعجّبت عائشة من بسمة تسرح على محيّا فاطمة الحزينة قبالة جسد أبيها تتجاذب أوصاله الحشرجة ، ولقد اتّهمتها بما يشبه الخبل ، فالموت الذي يختم بجناحيه في القاعة الواجمة ليس بمقدوره أن يستلّ غير الدموع والولولة ، وما درت ـ إلّا بعد حين ـ أن بسمة فاطمة كانت جواباً على وعد أسرّه الأب في أُذن ابنته بأنّها ستكون أوّل اللاحقين به[1] .

تلك هي البسمة الأُولى طرحتها فاطمة على وجهها إزاراً توارت خلفه بحور من المعاني : بحر من الإدراك ، بحر من الحبّ ، بحر من التفاني ، بحر

---

(١) انظر : مسند أحمد ٦ : ٢٨٢ ، سنن ابن ماجة ١ : ٥١٨ ، المسند لأبي يعلى ١٢ : ١١١ ـ ١١٢ ، المعجم الكبير للطبراني ٢٢ : ٣٤٧ ، أُسد الغابة ٥ : ٥٢٢ ، شرح الأخبار ٣ : ٢٣ ـ ٢٤ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٤١١ ، العمدة لابن البطريق : ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ، كشف الغمّة ٢ : ٧٩ ، ذخائر العقبى : ٣٩ ـ ٤٠ ، تهذيب الكمال ٣٥ : ٢٤٩ ، نظم درر السمطين : ٢٣٦ و٢٣٧ ، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ : ١٤٦ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٥١ و ١٨١ ، ينابيع المودّة ١ : ١٧٠ .

من الزهد ، بحر من الهزء بالأرض وتراب الأرض ، بحر من التفلّت ، بحر من التوق إلى التملّص والانعتاق ، بحر من الإيمان بأبيها ، بحر من العنفوان ، بحر من البطولات ، وبحر من التراث المجيد .

وكرّت بعد هذه البسمة دموع فتحت فوق خدّيها المجاري ، هي دموع الحنين إلى تحقيق ما وعدت من قُرب اللقاء ، هي دموع التراب يغتسل بتكسير الموج على الشواطئ ، هي دموع الأبطال يرسفون[١] في قيود الأسر ، هي دموع المآسي تتجسّم فوق خشبات المسارح .

وجاء دور ختام المأساة ، تلك كانت بسمتها الثانية ، بسمتها الأخيرة ، لقد جادت بها وهي تسجّي نفسها فوق نعش تمكّنت هي من الصعود إليه ، لقد كان قبولها بالموت كقبول عروس بجلوتها يوم الزفاف ، لقد اغتسلت ، ثمّ طلبت أن تلبس ثوبها الجديد ، وألقت على جسدها بساط الكفن[٢] . لقد تّمت الجلوة الباهرة ، كلّ شيء قد تمّ!

إنّ الكلمة الأخيرة جاءت التماساً بأن لا يكشف جسدها بعد موتها ، لقد أنجزت هي بنفسها كلّ الواجبات ، وأغمضت عينيها ، وعلى ثغرها تطفو ابتسامة الرضا . .

لقد أصبحت في حضرة أبيها .

---

(١) الرسف : مشية المقيد . (العين للفراهيدي ٧ : ٢٤٥) .

(٢) راجع : تاريخ اليعقوبي ٢ : ١١٥ ، الدرّية الطاهرة : ١٥١ ـ ١٥٢ ، دعائم الإسلام ١ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، شرح الأخبار ٣ : ٣٠ ـ ٣١ ، حلية الأولياء ٢ : ٤٣ ، السنن الكبرى للبيهقي ٤ : ٣٤ ـ ٣٥ ، الأمالي للطوسي ٢ : ١٥ ، كشف الغمّة ٢ : ١٢٩ و ١٣٠ ، ذخائر العقبى : ٥٣ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ١٢٩ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢١٠ ـ ٢١١ ، جامع الأحاديث ١٣ : ١٤٥ ـ ١٤٦ و ١٨ : ٢٢٩ ، إتحاف السائل : ١١٧ ، بحار الأنوار ٤٣ : ١٨٧ و ٧٨ : ٣٣٥ .

أسماء بنت عُميس

تباركت أنامل أسماء بنت عُميس[1] .

تباركت كفّ لممت الفراش ، وحامت حوله كما تحوم الفراشة حول المزاهر !

تباركت ذراع أسندت الرأس المنحني على فراش الموت !

تباركت قدمان طافتا في البيت ،كما يطوف الطهر في عبّ الزنابق .

تباركت عين سحّت بالدمع ، فاغتسلت به ،كما يغتسل الجرح بالبلسم !

تباركت أُذن نزلت فيها آخر دعوة من دعوات فاطمة : «ستر تموني ، ستركم الله» ![2] .

---

(١) أُمّ عبدالله أسماء بنت عُميس بن معبد بن الحارث الخثعمية : صحابية من أجلّ الصحابيات . أسلمت قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وهاجر بها زوجها جعفر الطيّار إلى الحبشة ، فولدت له هناك : عبدالله ، ومحمّداً ، وعوناً . وبعد ذلك هاجرت مع زوجها جعفر إلى المدينة سنة ٧ هـ ، فاستشهد زوجها في يوم مؤتة سنة ٨هـ ، فتزوّج بها أبو بكر ، فولدت له محمّداً ، وبعد وفاة أبي بكر تزوّج منها علي عليه السلام ، فولدت له : يحيىٰ ، وعوناً . حدّث عنها : ابنها عبدالله بن جعفر ، وابن أُختها سلمىٰ عبد الله بن شدّاد ، وسعيد بن المسيّب ، وعروة ، والشعبي ، والقاسم بن محمّد ، وآخرون . وهي أوّل من أشار بالنعش للمرأة ، حيث رأت الحبشة يفعلون ذلك ، وهي التي قامت بتغسيل فاطمة الزهراء عليها السلام بمشاركة علي عليه السلام ، وكذلك غسّلت زوجها أبا بكر .
(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨ : ٢٨٠ ـ ٢٨٥ ، المعارف : ١٧١ و١٧٣ و ٢١٠ ـ ٢١١ و ٢٨٢ و ٥٥٥ ، الاستيعاب ٤ : ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٢٨٢ ـ ٢٨٧ و ٢٤ : ٢٨٢ ـ ٢٨٧ ، تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ، شذرات الذهب ١ : ١٥ و٤٨) .

(٢) انظر : التهذيب ١ : ٤٦٩ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٤١٣ ، إحقاق الحقّ ١٠ : ٤٧٥ ، وسائل الشيعة ٣ : ٢٢٠ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٢١٣ ، أعيان الشيعة ١ : ٣٢١ و٣ : ٣٠٧ .

لَملَمة الخُيوط

عناصر البحث

* دوافع
* منطلقات
* شدّة الأوتار
* حبل الحزام
* المردن

دوافع

إذ ينتهي هذا العرض بهذا التصوير التلميحي الموجز ، يكون قد برز الإطار الذي تتنزّل فيه شخصية فاطمة الزهراء .

كان في موت النبيّ بروز هذه الشخصية التأريخيّة ، وكان التصرّف بالخلافة عى النحو الذي انتقلت فيه إلى يد أبي بكر الصدّيق ما عيّن بروز فاطمة إلى الساحة المكشوفة بروزاً أضفى عليها هالة كبيرة من البطولات ، وكانت فدك مفتاحاً للبوّابة التي أطلّت منها على رحابة التاريخ .

والحقّ يقال : إنّ كلّ القضايا التي لا يُولج إليها من مداخلها تتعقّد في وجه الوالجين ، وليست كلّ قضيّة إلّا لتكون مستندة على نظرة فلسفية تبرّر وجودها كقضيّة . . إنّ الفلسفة الحقيقيّة هي التي تكمن وراء القضايا ، تتثبّت هذه الأخيرة عليها من عمق الواقع ومن عمق الضرورة .

وقضيّة الخلافة بعد النبيّ كانت من تلك القضايا المصيريّة الكبيرة ، وكانت على مستوى القائد الأكبر ، عالجها بحرص وروية ، ولقد رأى أنّه من الخطر البالغ إفلات الزمام فيها في معرض طرحها على الرأي العامّ ليقرّر الرأي العامّ وجهتها وكيفيّة مصيرها ، لقد كانت الشورى لديه شبه مفقودة ، فهو لم يكن يأمن للشورى ، لقد كان له الرأي المنفرد بالعمل يقيناً منه بعدم وجود الأكفّاء في معالجة قضيّة فتيّة وضع هو بنفسه لها كلّ البنود .

ذلك كان واقع الجزيرة ، في ضعفها كمجتمع ، وفي ضعف هذا المجتمع كثافة وتوجيه .

إنّ الرأي العامّ فيها كان نهباً لنزعات قبلية مشرورة دون روابط ، دون تحسّس بمسؤوليّات تتحمّلها همّة الواعين المخلصين . .

إنّ قيمة المجتمع لم تكن من بين الفضائل التي يتسابق إلىٰ حرزها الواعون المدركون . .

إنّ هذا الحسّ كان ضعيفاً جدّاً في الجزيرة بمعناه المجتمعي .

ذلك كان ضعف الجزيرة، تفقد به كلّ الروابط التي تجعل منها مجتمعاً متيناً ، عكس ماكان ينشأ من حواليها من مجتمعات واعية سبقتها إلىٰ نبذ قسم من خلافتها ، فسبقتها بكثير إلىٰ التحقيق .

وما كانت الرسالة الجديدة غير معالجة جذرية ، انوجدت بها للجزيرة قضيّة نجحت في التحقيق ، وهي لاتزال تنتظر في تثبيتها مرور الزمن حتّىٰ تصبح ثقافة راسخة مع طول المران .

لقد أصبحت قضيّة كبيرة ، عيّنتها فلسفة عميقة نبتت من واقع صريح ، ولا يجب أن تكون الخطوة الأُولىٰ إلّا في كلّ حذر ، فالمجتمع ضعيف التمرّس وخفيف المران ، وتلك قضيّة أُخرى يلزم أن تسند القضيّة الكبرى ، إنّها قضيّة الخلافة .

ولم تكن النظرة للخلافة الأُولىٰ إلّا من معدن المخلوف ، فالضرورة أيضاً تقضي بأن تأتي طبق الأصل ، دون إحداث أيّة رجّة في البناء الذي لم تنشف بعد طينة بنيانه . .

إنّ نظرة النّبي ﷺ إلىٰ قضية الخلافة عيّنها هو قبل أن يرحل ، فكلّ المصادر تشير إلىٰ كونه قد عيّنها من وحي هذا الحرص وهذا الواقع[1] . .

---

(١) راجع : الشافي في الإمامة ٢ : ٦٥ وما بعدها ، إعلام الورىٰ ١ : ٣١٣ وما بعدها ، المناقب لابن شهر

إنّ الذي كان بمكنته أن يسنّ شرعاً ودستوراً للناس ولأجيال الناس لم تفته هذه الحواشي . .

إنّ واقع الجزيرة يقضي بإقضاء الحكم فيها إلى سلسلة منخوبة تأميناً للخطّ المرسوم .

إنّ التاريخ يثق بنفسه ، فلقد دلّ إلى علي بن أبي طالب بكلّ وضوح ، بأنّه هو الموصى به للخلافة . . إنّ هذا الرجل العظيم هو الذي نحته النبي الكريم ليكون على الخطّ الطويل ، ولكانت انتهت أزمة الخلافة لو أنّ الأُمور أخذت مجراها المنحوت .

كان الولوج إلى قضيّة الخلافة ـ بعد موت النبيّ ـ من جانب غير الجانب الذي عيّن الدخول منه ، لهذا كانت الرجّة عنيفة بالنسبة إلى البناية الناشئة . . لقد اهتزّ المجتمع من الرجّة المحدثة ، هكذا عاد يستيقظ الرأي العامّ ليتسلّم هو بنفسه زماماً لم يكن ليعرف كيف يوجّه له المسير . . لقد عادت القبلية عينها تخطّ في الجزيرة مثيرة حولها الغبار ، لقد عاد الزعماء إلى التمسك بأعنّتهم ليلهثوا على طول طريق عقد فوقه غبار وعقد فوقه سراب . .

والقضيّة التي أُثيرت بنسبة ما حادت عن مستواها الأصيل وجدت أمامها العراقيل . ففيما يختصّ بخلافة الصدّيق ، كان عليها أن تعمد إلى كلّ ما يعزّز لها الدفاع ، إنّ ذلك من أهمّ ملتمساتها . وكانت فدك بقطعها عن أصحابها من أهمّ الضلوع الدفاعية ؛ إذ ليس من الجائز أن يسلّم الخصم أيّ سلاح ، وفدك كانت مصدراً للخصم وموردا سيصرفه على تقوية نفسه ، أكان مباشرة أم

← آشوب ١ : ٣٠٥ وما بعدها ، كشف اليقين : ٢٤٥ وما بعدها ، إرشاد الطالبين ٢ : ٣٣٨ وما بعدها ، اللوامع الإلهية : ٣٣٤ وما بعدها ، البراهين القاطعة ٣ : ٢٣٨ وما بعدها .

مداورة في تعزيز الأنصار .

ولكنّ التعدّي على الحقّ المشروع من شأنه أن تكون له ردّة فعل تضيّع قيمة القصد من المحاولة ، وقد ظنّ بأنّ قطع فدك يقطع المدد عن فاطمة ، وتاه الذين ظنّوا بأن ليس هكذا يقطع الوريد . .

إنّ فدكاً كانت بخدمة القضيّة الكبرى ، وقطعها لا يعتبر إلّا بمثابة انتهاك تلك القضيّة بالذات ، لذلك كانت المطالبة بفدك مفتاحاً للوصول إلى صلب الموضوع . ولو لم تكن فدك موجودة لكان التفتيش عن مفتاح آخر له نفس السرعة ونفس الغاية ، مع العلم بأنّ فدكاً لم تؤثّر لا بقليل ولا بكثير على سير القضيّة التي نشأت لتنفجر أزمتها رويداً رويداً مع السنين ومع كلّ فرصة سانحة . .

إنّ اليوم الحاضر لا يزال يلاحق القضيّة من خلال اسم «فدك» ، وليس من تحت فيء نخلة في قرية في الحجاز تسمّى بفدك .

هكذا ظنّ الذين قطعوا فدكاً عن بيت فاطمة في خدمة لون سياسي ضلّ عن قاعدة مخطوطة بناءً على هندسة صمّمها واضع الخريطة نفسه ، ولكنّ التغيير في الخريطة من شأنه أن يؤدّي إلى خلل عامّ في خطوط الهندسة ، ولن يكون إصلاح هذا الخلل منوطاً بغير المخطّط نفسه ، وها هو الأصيل غاب ، وها هو الوكيل تفرض عليه القيود .

كلّ شيء ـ بعد موت النبيّ ـ مسّه الخلل ، مسّه التبديل والتحوير . . لقد ظهر الاحتجاج ـ أوّل ما ظهر ـ في باحة المسجد ، لقد نجح المخطّط ، ولكنّ النجاح كان آنياً ، سوف تظهر السحب في الأُفق إن لم يكن الليلة ففي غد . . إنّ العاصفة بدأت تنشر أمامها سحب الغبار !

منطلقات

إنّ التحسّب سيعصر دمعة من عين الخليفة أمام فاطمة وهو يؤاسيها معتذراً إليها ، وسيظنّها البعض دمعة فيها رأفة وفيها ندم ، ولكنّها بالحقيقة دمعة فيها خوف من شيء مرتقب . . إنّ الحسّ الضمني في أبي بكر الصدّيق كان يتأثّر بذلك الذي كان يهدر في البعد . . إنّ اكفهرار[1] الجوّ يشير إلى اقتراب العاصفة . . إنّ للرأي العامّ أسلاكاً خفية تتناقلها الملامح بين الخطوط في الوجوه وخلال رفّات الأهداب . .

ولن تكون تهجّمات عمر بن الخطّاب على بيت علي[2] دليل خشونة في طباعه أكثر ممّا هي استكمال لمخطّط إضعاف الخصم وطرحه في سلّة العزلة ؛ تسكيناً لرأي عامّ هو الآخر كان يشعر بدبيب هديره في الساحات .

ولم يكن الفرق بعيداً بين أن ينفجر هذا الإعصار في وجه ابن الخطّاب ، أو أن ينفجر فيما بعد في وجه عثمان بن عفّان . . غير أنّ تحسّس الخليفة به وشريكه عمر كان صادقاً في شعوره ، فالثورة التي ستندلع كان لهما من نفسيهما بها حسّ الشعور . . ذلك شأن الضمير يشعر بوطأة التجريم قبل أن يسمع الحكم من فم القاضي .

---

(١) اكفهرار الوجه : عدم انبساطه . (العين للفراهيدي ٤ : ١١٣) .

(٢) قارن : الإمامة والسياسة ١ : ٣٠ ـ ٣١ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٦ ، العقد الفريد ٤ : ٢٤٧ ، الهداية الكبرى : ٤٠٧ ، البدء والتاريخ ٥ : ٢٠ ، الملل والنحل ١ : ٥٧ ، تاريخ أبي الفداء ١ : ٢١٩ ، سير أعلام النبلاء ١٥ : ٥٧٨ ، ميزان الاعتدال ١ : ١٣٩ ، الصراط المستقيم ٣ : ١٢ ، جامع الأحاديث ١٣ : ٢٦٧ ، بحار الأنوار ٢٨ : ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .

كان ذلك يثبت أنّ القضايا ـ أخصّ منها الكبيرة ـ يلزمها صدق الانطلاق حتّى تستمرّ صافية في مجاريها . وقيادة الشعوب وبنيان الأُمم هي قضيّة الإنسان في تدرّجه فوق ملاعب الحياة . . إنّها قضيّة وجوديّة مصيريّة كبيرة القيمة جليلة الجانب ، لها حساب صارم وميزان دقيق ، لذلك يجب أن يتنزّه القيّم فيها عليها من كلّ هوىً ، وإلّا فإنّ الحساب يكون عسيراً .

ولا فرق بين أن يكون الحساب وجاهيّاً أم غيابيّاً ، فهنالك من قاضاهم التاريخ ، فبرّأهم بعد إدانة ، وأدانهم بعد تبرئة .

غير أنّ الصدق في مثل هذه القضايا هو الذي يثبت فيها على تعمير ، وهو الذي يجنّبها أهوال الأعاصير ، وهو الذي يرزمها في خطٍّ صاعد فيه الكمال وفيه الجمال وفيه كلّ الطمأنينة .

إنّ الأمل بنظافة علي بن أبي طالب كان عاملاً من عوامل التهييج على الثورة التي انطلقت فاطمة الزهراء تداعب أوتارها وتحرّك أنغامها .

إنّ الإمام عليّاً بوجوده وبوجود فاطمة كان طيفاً يعمل من خلف الستار في خاطر الرأي العامّ الذي أخذ من هذا الكبت يجمع مادّة الإعصار . وسيدمّر الإعصار في انفجاره ، سيقسم الخطّ الجامع بين الشام والكوفة ، سيقطع الجزيرة إلى خطّين جريحين ، سيقطع العالم العربي إلى أخوين متنافرين متنابذين متناحرين مستضعفين ، وستهتاج الأجيال من مرأى الدم مهدوراً على غير خصب منزوفاً على غير رأي ، وستعيش فدك مقهقهةً خلف خيبر ، لتتجاوب أصداء قهقهاتها في أجواء فلسطين ، وستغتنم كلّ فرصة في العالم للإجهاز على الجسم المطروح بين أشداق التفسّخ والعنعنات ، لتبقى الرسالة وحدها بريئة من ضعف القيّمين عليها ، رعاية وفهماً وحسن تبصّر .

شدّة الأوتار

لقد جاء في البحث السابق أنّ الرأي العامّ في الجزيرة لم يكن مسؤولاً عن توجيه نفسه في المضمار الكبير ، أو بالأحرى لم يكن مهيّأً لهذه القضيّة الجليلة ، ولكنّ ذلك لا يعني أن ليست له الأهميّة في رصف القوى التي يتوقّف عليها التحقيق ، فالشعب هو دائماً ركيزة الانطلاق ، ينقصه التوجيه ولا ينقصه القوّة ، إنّه يجد حقيقة قوّته في حقيقة التوجيه ، ولكنّ قوّته تنقلب وبالاً عليه إذ يثأر على فوضى .

وقوّة الشعب لن تثار في يوم واحد ، إنّها تحرّك في رأي عامّ يتكوّن من مجموع الثواني ويتألّب مع السنين والقرون ، كلّ حركة تحدث ، كلّ كلمة من فم ، كلّ نقرة على عود ، كلّ نأمة[1] ، أو كلّ ضجّة ، أو كلّ حدث ، كلّ شيء من ذلك يجد له تسجيلاً في الرأي العامّ يتراكم مع الوقت ليعبّر عن نفسه في اللحظة الحاسمة .

والضجّة التي قامت حول الخلافة الأُولى سيصغي إليها الرأي العامّ بكلّ صمت ، وسيجتزّ صداها كلّ يوم بعد يوم ، وسيدرسها بكلّ سكون ، وسيصدر لها أو عليها الحكم ، إن لم يكن الليلة فبعد عام ، أو بعد عشرة أعوام ، أو بعد قرن ، أو بعد عدّة قرون . . إنّ تساجيل الرأي العامّ لا يمحوها مرور الزمن ، لا بل بالعكس ، يزيد من حفرها في الترسيخ .

---

(١) النأمة : الصوت ، وقيل : هو الصوت الضعيف الخفي أيّاً كان . (لسان العرب ٤ : ٣٨١٧) .

وصوت فاطمة في المسجد لا فرق إن كان نغمة حزينة على وتر شجي ، أم كان هدرة جريئة لها دوي الطبول والصنوج ، فإنّها بقدر ما أيقظت بقضيّة وبقدر ما اعتصمت بحقّ تناولها الرأي العامّ بإذنه الحاضرة ، وراح يمضغها بصمته المألوف ، لتفعل فيه فعلها الصادق ، وفي لحظة من اللحظات .

إنّ فاطمة نفسها كانت تتكلّم وتنتظر فعل كلمتها عليها مع الزمن ، فهي من الرأي العامّ فرد مثله ، تنعكس نفسها على نفسها في اللعبة الجماعيّة الصامتة .

هل كانت فاطمة الزهراء تقصد أن تحرّك النفير؟ هل كانت تعلم أنّها نبرة على وتر يبثّ نشيد الثورة ؟

ولكنّ الثورة التي تهيّج ليس بمقدور فاطمة إلّا أن تكون نأمة من نبراتها ، فهي فرد من بين الأفراد الذين يكونون وقود الثورات .

وثورة فاطمة كانت ذلك الصدى المرتدّ إليها من الرأي العامّ ، فهي تعبير عن ذلك ، وإلّا لما كان لها قيمة التأثير .

إنّ وصيّة النبيّ لم تحصر في أُذن علي وحده ، ولم تتسمّر في خاطر فاطمة وحدها ، إنّها انتقلت إلى الرأي العامّ ، كما تنتقل قطرات المطر إلى أغوار الأرض ينابيع مخيفة المجاري . . وخطاب فاطمة في المسجد إن كان قد فعل فلأنّه وجد في كلّ قرارة نفس تجاوباً فعّالاً وتحضيراً كامناً في الخواطر .

وستموت فاطمة قبل أن تشاهد فعل كلماتها ، ولكنّ الثورة التي اندفعت بها إلى الأمام ستظلّ امتداداً فاعلاً مع الخبو ومع الالتهاب سواء بسواء .

حبل الحزام

هكذا كانت فاطمة حبل الحزام ، فالعالم العربي ـ وهو بالطبع في مجموع تكوينه وصيرورته هو العالم الإسلامي ـ حفظ لنبيّه العظيم ولاءً ما اختلف على تقدير قيمته اثنان ، فهو الذي محضهم بالقرآن الكريم رسالة شملت كلّ قضايا الإنسان ماديّة [و] روحيّة ، لهذا حفظوا لشخصه الكبير هذا الاحترام الذي لا يزال يرافق هذه الأجيال الطويلة .

ولقد تجسّد هذا الولاء بشخص فاطمة الزهراء ، فهي بضعته السخية التي أنجبت له حفّاظ الإرث وحبل الذكر ، ولقد دار الزمان كلّ دوراته ، ودارت المحاورات الكثيرة حول تجريد هذا البيت ممّا يتمسّكون به بكلّ ما كانت تجود به الأساليب ، من حصر إرث الخلافة في خطّ العمومة صدقاً أو ادّعاءً ، أو في خطّ أبناء العمومة تفتيشاً عن انتساب أو امتحالاً لقرابة .

كلّ ذلك عزّز اسم فاطمة ، ممّا جعل الانتماء إليها بمثابة دحض لكلّ المزاعم ، فهي ابنة النبيّ وأقرب من الأعمام وأبناء الأعمام ، فضلاً عن كونها زوجة ابن العمّ ، وتحمل أيضاً صكّ الوصاية ومهمّة الإنجاب .

كلّ شيء في وجود فاطمة كان يزيد من متانة التمسّك بها ، لقد بدأ هذا العطف عليها من قبل أن تولد . . إنّ أشواق الأبوين حتّى أحاطت ولادتها

بهالة قدسيّة ، لقد كانت تربيتها تنشئة فريدة الاهتمام ، لقد كان حبّ البيت لها تخصيصاً موحود العناية ، ولقد أضفى على زواجها ماكان يضفي على زواج الآلهة في سرد الأساطير ، ولقد اهتمّ أبوها بما أنجبت ، فسمّى ولديها بريحانتيه[١] ، وطهّرهما من كلّ رجس ، ووصفهما بأنّهما من خيرة أسياد الجنّة[٢] ، ولقد وعد فاطمة بأن يورث هيبته وسؤدده للحسن ، وجرأته وجوده للحسين[٣] .

وبعد موت النبيّ تحوّلت الأنظار إلى فاطمة من خلال اجتماع السقيفة ، وتمسّكت بها المعارضة من خلف كرسي أبي بكر ، وتبنّت حزنها الساحات العامّة ، والتفّت حولها نسوة الأنصار ، وكانت مطالبتها بفدك بمثابة جمع الوقود ، وفي موتها ودفنها تقمّصها الزمن ، وانطوت بها الخواطر كالأمل بالانبعاث .

وهكذا أصبحت مع التاريخ إطلالة شوق وقدسية إطلاب ، وكلّما جار عليها الاضطهاد زاد بروز اسمها لمعاناً .

---

(١) لاحظ : صحيح البخاري ٥ : ٢٢٣٤ ، سنن الترمذي ٥ : ٦٥٧ ، المسند لأبي يعلى ١٠ : ١٠٦ ـ ١٠٧ ، المعجم الكبير للطبراني ٣ : ١٢٧ ، شرح الأخبار ٣ : ١٠٠ ، الإرشاد ٢ : ٢٨ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٤٣٤ ، العمدة لابن البطريق : ٣٢٠ و٣٩٧ و ٤٠١ و ٤٠٥ ، مطالب السؤول ٢ : ١٤ و ٥٤ ، ذخائر العقبى : ١٢٤ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٨١ ، كنز العمّال ١٢ : ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٢ و ١٣ : ٦٧١ .

(٢) راجع : مسند أحمد ٣ : ٣ ، ٦٢ ، ٨٢ و ٥ : ٣٩١ ، سنن الترمذي ٥ : ٦٥٦ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٨٢ ، العمدة لابن البطريق : ٣٢٠ ، مطالب السؤول ٢ : ١٣ و ٥٤ ، ذخائر العقبى : ١٢٩ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ ، كنز العمّال ١٢ : ١١٢ و ١١٣ .

(٣) انظر : المعجم الكبير للطبراني ٢٢ : ٣٥٢ ، كشف الغمّة ٢ : ١٤٢ ، ذخائر العقبى : ١٢٩ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٨٥ ، عوالي اللئالي ١ : ٣١٢ ـ ٣١٣ ، كنز العمّال ١٢ : ١١٣ و ١٣ : ٦٧٠ .

إنّها وحدها ـ وليس غيرها ـ قلبت الكرسي على رأس عثمان بن عفّان . . هكذاكان يشتغل وحي الثورة ردّة على ظلم ، وجواباً على امتهان . .

وهي التي ـ بعد ثلاثة قرون ـ تمكّنت من مدّ سيطرة الدولة الفاطميّة على ادّعاء الأعمام بالخلافة[١] .

ولم تنس فدك أن ترجع إليها كلّ مرّة كان يلمع فيها الحقّ . . لقد شعر ابن عبد العزيز[٢] بقيمة الإنصاف ، فأرجع إلى فاطمة فدكاً[٣] . . لقد شعر بذلك أيضاً فيما بعد أبو العبّاس السفّاح[٤] ، ثمّ من بعده المأمون ابن

---

(١) لاحظ : موسوعة الحضارة العربية ٦ : ٤٧ ـ ١٧١ ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ١٦ : ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ، أهمّ الأحداث التاريخية : ٨٨ ـ ٨٩ ، الموسوعة العربية العالمية ١٧ : ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٢) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأُموي : متقي بني أُمية على ما قيل . أُمّه أُمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب . ولد بالمدينة سنة ٦٠ هـ ، وقيل غير ذلك ، وروى عن : أنس ، وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، ويوسف بن عبدالله بن سلام ، وسعيد بن المسيّب ، وعروة بن الزبير ، والربيع بن سبرة ، وطائفة . كان أبيض اللون أو أسمره رقيق الوجه جميلاً نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين ، بجبهته أثر حافر دابّة ، ولذلك سمّي بأشجّ بني أُمية . بعثه أبوه من مصر إلى المدينة ليتأدّب بها ، ولمّا مات أبوه طلبه عمّه عبد الملك إلى دمشق وزوّجه بابنته فاطمة ، وولي الخلافة سنة ٩٩ هـ ، واستمرّ عليها لمدّة سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً . اشتهر بعدله وتقواه ، وهو الذي بنى الجحفة ، واشترى ملطية من الروم بمائة ألف أسير ، وبناها ، وكانت وفاته بدير سمعان من أرض حمص لعشر بقين من رجب سنة ١٠١ هـ ، وله تسع وثلاثون سنة ونصف . قيل : سقاه بنو أُمية السمّ لمّا شدّد عليهم وانتزع كثيراً ممّا كان في أيديهم ، ولا يبعد ذلك . وصلّى عليه يزيد بن عبد الملك بن مروان .

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ : ٣٣٠ ، الجرح والتعديل ٦ : ١٢٢ ، حلية الأولياء ٥ : ٢٥٣ ، صفوة الصفوة ٢ : ٦٣ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ١١٤ ـ ١٤٨ ، فوات الوفيات ٣ : ١٣٣ ـ ١٣٥ ، تهذيب التهذيب ٧ : ٤٧٥ ، تاريخ الخلفاء : ٢٢٨ ، تذكرة الحفّاظ ١ : ١١٨ ، شذرات الذهب ١ : ١١٩) .

(٣) راجع : تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ، الطرائف : ٢٥٢ ، الصراط المستقيم ٢ : ٢٩١ ، الصوارم المهرقة : ١٤٢ ، أعيان الشيعة ١ : ٢٤ ، فدك في التاريخ : ٣٧ ـ ٣٨ .

(٤) لاحظ : الطرائف : ٢٥٢ ، فدك في التاريخ : ٣٩ .

الرشيد[١] .

هكذا أصبحت فاطمة صديقة الأجيال ، لتبقىٰ مع كلّ مطلب حبل الحزام .

ـ وقد تقدّمت ترجمة أبي العبّاس السفّاح سابقاً، فراجع.

(١) انظر : الهداية الكبرى : ٢٨٠ ، الطرائف : ٢٥٢ ، الصراط المستقيم ٢ : ٢٩١ ، فدك في التاريخ : ٣٩ .

وكذلك ردّ المهدي العبّاسي فدك فاطمة إلى أصحابها . لاحظ كتاب «فدك في التاريخ» : ٣٩ .

والمأمون هو : أبو العبّاس عبدالله بن هارون بن محمّد العبّاسي الهاشمي : من خلفاء بني العبّاس المشهورين ، أُمّه مراجل جارية الرشيد . ولد سنة ١٧٠ هـ ، وكان من رجال بني العبّاس حزماً وعزماً ورأياً وفصاحة . قرأ العلم والأدب والأخبار وعلوم الأوائل ، وأمر بتعريب كتبهم ، وعمل المرصد فوق جبل دمشق ، ودعا إلى القول بخلق القرآن . سمع من : يوسف بن عطية ، وعبيد بن العوّام ، وهُشيم ، وطائفة . وروى عنه : ولده الفضل ، ويحيىٰ بن أكثم ، ودعبل الخزاعي ، وغيرهم . كان أبيض ربعة طويل اللحية أعين ضيّق الجبين ، على خدّه شامة ، وقد وخطه الشيب . قيل : كان يشرب الخمر . بويع له بالخلافة آخر سنة ٩٥ هـ ، وقتل أخاه الأمين ، واستعمل على العراق الحسن بن سهل ، وقد غزا الروم كثيراً . توفّي سنة ٢١٨ هـ ، ودفن بطرسوس مخلّفاً ١٨ ولداً وعدّة بنات .

(الأخبار الطوال : ٤٠٠ ـ ٤٠١ ، المعارف : ٣٨٧ ـ ٣٩١ ، تاريخ بغداد ١٠ : ١٨٣ ـ ١٩٢ ، البدء والتاريخ ٦ : ١١٢ ـ ١١٣ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ٢٧٢ ـ ٢٩٠ ، مرآة الجنان ٢ : ٥٩ ، البداية والنهاية ١٠ : ٢٧٤ ـ ٢٨٠ ، شذرات الذهب ٢ : ٣٩ ـ ٤٤) .

المردن

هذا هو نسيج فاطمة ، على هذا المردن تمّ غزله ، فهي ابنة الأمين محمّد ، وابنة الوفيّة والكبيرة خديجة ، ثمّ أصبحت ابنة النبيّ ﷺ ، لتصبح فيما بعد أُمّه ، حبّ ولّده القلب ، ثمّ طغى عليه العقل ، فإذا هو كتلة من حسٍّ وشعلة من نور ، وتزوّجت عليّاً رفيق صباها ودرع أبيها ، فاندغمت به كما تندغم بالسيف قبضته ، فأنجبت الحسن والحسين ذريّة لإمامة سوف تتحمّل أعباء التاريخ .

ليست قليلة تلك الشعلة التي التهبت بها شخصيّة هذه المرأة ، فإن تكن سيّدة نساء العالمين فمن هذا المعين تستقي ، فهي ابنة نبيّ ربط حاضر الأجيال بماضيها ، ووصلها بكلّ زمان يأتي ، وأخذ الأرض طينة نفخ فيها نسمة الأمل وتعلّة الجنّة ، فإذا غبار الصحاري في الجزيرة ينعجن طيناً مخصباً ، وإذا السراب فيها يترطّب من كوثر الجنان ، وإذا الآلام في الأرض ترتفع إلى فوق عُقد آمال ، والمآسي تتعلّق بحبال من السلوى والتأسّي!

بهذه الهالة القدسية اتّشحت شخصيّة الزهراء آخذة عن أبيها عبء مسؤولية الأجيال ، فهي التي انحصر فيها إرث النبوّة بكلّ ما حقّقت النبوّة ، بكل ما ترتبط به صفات النبوّة ، بكلّ ما ترمي إليه أشواق النبوّة .

وتزوّجت رجلاً كان زواجها منه تحقيقاً للمخطّط العظيم وتنزيلاً لقدسية الكلمة : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»[١] .

وكان زواجها استكمالاً لمتانة ما أُنيط بها ، وما كان الحسن والحسين غير نتاج هذا الرباط الذي اكتملت به المشيئة .

هكذا ارتبط التاريخ برباطه ، وهكذا اتّشحت فاطمة بقدسيّة هذا الرباط ، هالة اتّشحت بها سيّدة نساء العالمين ، إزاراً من نبوّة ، وإزاراً من أُمومة ، وإزاراً من إمامة .

(١) تقدّمت مصادر الحديث سابقاً ، فراجع .

الخاتمة
غفوة الصدّيقة

غفوة الصدّيقة

وأخيراً هويت فاطمة! هوىٰ معك الخصر النحيل ، يا نحول السيف ، يا نحول الرمح ، يا نحول الشعاع في الشمس ، يا نحول الشذىٰ ، يا نحول الإرهاف في الحسّ ، يا نحول العزّة تتوارى خلف الخطوط في الجبين ، يا نحول المجد يتخبّأ في غمد حسام مقصوف ، يا نحول البطولة ترسف في قيد من تراب ، يا نحول البهاء تتلقّط زجاجة دكناء ، يا نحول الحقيقة في عتمة البصائر!

لقد عشت الإرهاف ، يا أرهف امرأة عرفها التاريخ ، إرهاف هو من امتشاق الحسام لمعانه .

يا ابنة المصطفى ، يا ابنة ألمع جبين رفع الأرض علىٰ منكبيه واستنزل السماء علىٰ راحتيه ، عشت الكِبر في انتساب الكبر إلىٰ سماواته ، فهانت عليك الأرض ، يا عجينة الطهر والعبير ، ولم تبتسمي لها إلّا بسمتين : بسمة في وجه أبيك علىٰ فراش النزاع[1] يعدك بقرب الملتقى ، وبسمة طافت علىٰ ثغرك وأنت تجودين بالنفس الأخير .

وعشت الحبّ يا أنقى قلب لمسته عفّة الحياة ، فكان لك الزوج العظيم الأنوف ، لفّ جيدك بالدراري ، وفرش تحت قدميك أزغاب[2] المكارم .

وعشت الطهر يا أطهر أُمّ أنجبت ريحانتين ، لفّتهما ببردة[3] جدّيهما بوقار

---

(١) الأصحّ أن يقال : النزع .

(٢) الزغب: صغار الريش. (العين للفراهيدي ٤ : ٣٨٥).

(٣) البُردة : ثوب مخطّط ، وكساء يلتحف به . (القاموس المحيط ١ : ٢٨٦).

تخطّىٰ العتبات وغطّىٰ المدارج .

ثمّ تركت الأرض عن بسمة هزء بها ، فإذا هي تشتدّ أوتارها إليك من جيل إلىٰ جيل ، كأنّ إطلابها إيّاكِ هو تعطّش السراب إلىٰ الندى .

وانبزغت من تحت الكفن كما تنبزغ السنبلة من حفنة التراب اضطراد نموٍّ وأشواق خصب . .

يا هجعة الغيث في قلب الغمام . .

يا ابنة النبي . .

يا زوجة علي . .

يا أُمّ الحسن والحسين . .

ويا سيّدة نساء العالمين .

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الأئمّة الاثنا عشر لابن طولون: الشذرات الذهبيّة في تراجم الأئمّة الاثني عشر عند الإماميّة.

تأليف : شمس الدين محمّد بن طولون المتوفّى سنة ٩٥٣ هـ / تحقيق : د . صلاح الدين المنجد / نشر : مكتبة الشريف الرضي ـ قم .

٣ ـ إتحاف السائل: إتحاف السائل بما لفاطمة من الفضائل والمناقب.

تأليف : محمّد بن محمّد بن عبدالله الأكراوي القلقشندي الشافعي المعروف بمحمّد حجازي الواعظ المتوفّى سنة ١٠٣٥ هـ / تحقيق : محمّدكاظم الموسوي / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ .

٤ ـ الاحتجاج.

تأليف : أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) / تعليق : محمّد باقر الموسوي الخرسان / نشر : دار المرتضى ـ مشهد / ١٤٠٣ هـ . ق .

٥ ـ أجود التقريرات (تقريراً لأبحاث الشيخ النائيني المتوفّى سنة ١٣٥٥ هـ).

تأليف : أبي القاسم بن علي أكبر الموسوي الخوئي المتوفّى سنة ١٤١٣ هـ / نشر : مكتبة المصطفوي ـ قم .

٦ ـ إحقاق الحقّ: إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل.

تأليف : أبي المجد ضياء الدين نور الله بن شريف الدين بن نور الله بن

محمّد شاه الحسيني المرعشي التستري المتوفّىٰ سنة ١٠١٩ هـ، تعليق : شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي وإبراهيم الميانجي / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم .

٧ـ أحكام القرآن لابن العربي: أحكام القرآن.

تأليف : أبي بكر محمّد بن عبدالله بن محمّد بن عبدالله بن أحمد المعافري الإشبيلي المالكي المعروف بابن العربي المتوفّىٰ سنة ٥٤٣ هـ / تحقيق : علي محمّد البجّاوي / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٢ هـ .

٨ـ أحكام القرآن للجصّاص: أحكام القرآن.

تأليف : أبي بكر أحمد بن علي الجصّاص الحنفي المتوفّىٰ سنة ٣٧٠هـ / تحقيق : محمّد الصادق قمحاوي / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٤٠٥ هـ .

٩ـ الإحكام لابن حزم: الإحكام في أُصول الأحكام.

تأليف : أبي محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي المتوفّىٰ سنة ٤٥٦ هـ / نشر: دار الحديث ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ .

١٠ـ الأخبار الطوال.

تأليف : أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفّىٰ سنة ٢٨٢ هـ / تحقيق : عبدالمنعم عامر / مراجعة : د . جمال الدين الشيّال / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / أُفست عن طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ١٩٦٠ م .

١١ـ أدب الدنيا والدين.

تأليف : أبي الحسن علي بن محمّد بن حبيب الماوردي البصري

المتوفّىٰ سنة ٤٥٠ هـ / تحقيق : مصطفى السقا / نشر : المكتبة الثقافيّة ـ بيروت / الطبعة الثالثة .

١٢ ـ الأدب المفرد.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي المتوفّىٰ سنة ٢٥٦ هـ / تحقيق : محمّد عبدالقادر عطا / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠ هـ .

١٣ ـ الإرشاد : الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالمفيد وابن المعلّم المتوفّىٰ سنة ٤١٣ هـ / تحقيق : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / نشر : المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٣ هـ .

١٤ ـ إرشاد الطالبين: إرشاد الطالبين إلى نهج المستشرشدين.

تأليف : جمال الدين المقداد بن عبدالله السيوري الحلّي المعروف بالفاضل المقداد المتوفّىٰ سنة ٨٢٦ هـ / تحقيق : مهدي الرجائي / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٥ هـ .

١٥ ـ إرواء الغليل: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.

تأليف : محمّد ناصر الدين الألباني / تصحيح : زهير الشاويش / نشر : المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق / الطبعة الثانية / ١٤٠٥ هـ .

١٦ ـ أسباب النزول للواحدي: أسباب النزول.

تأليف : أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٦٨ هـ / تحقيق : أيمن صالح شعبان / نشر : دار الحديث ـ القاهرة.

١٧ ـ الاستقصا: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى.

تأليف : أبي العبّاس أحمد بن خالد بن محمّد الناصري الجعفري المغازلي / تحقيق : جعفر أحمد خالد الناصري ومحمّد أحمد خالد الناصري / نشر : دار الكتاب ـ الدار البيضاء / ١٩٥٤ م .

١٨ ـ الاستيعاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

تأليف : أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبرّ القرطبي المتوفّى سنة ٤٦٣ هـ / تحقيق : علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبدالموجود / تقديم : د . محمّد عبدالمنعم البرّي ود . جمعة طاهر النجا / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ .

١٩ ـ أُسد الغابة: أُسد الغابة في معرفة الصحابة.

تاليف : أبي الحسن عزّ الدين علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفّى سنة ٦٣٠ هـ / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٢٠ ـ الإصابة: الإصابة في تمييز الصحابة.

تأليف : أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمّد بن محمّد بن علي الكناني المصري العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر المتوفّى سنة ٨٥٢هـ / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت .

٢١ ـ الأعلام للزركلي: الأعلام.

تأليف : أبي الغيث خير الدين الزركلي المتوفّى سنة ١٣٩٦ هـ / نشر : دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٩م .

٢٢ ـ أعلام النساء لدخيّل: أعلام النساء.

تأليف : علي محمّد علي دخيّل / نشر : الدار الإسلاميّة ـ بيروت /

الطبعة الثانية ـ ١٤١٢ هـ .

٢٣ ـ إعلام الورى: إعلام الورى بأعلام الهدى.

تأليف : أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) / تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ .

٢٤ ـ أعيان الشيعة.

تأليف : محسن الأمين العاملي المتوفّى سنة ١٣٧١ هـ / تحقيق : حسن محسن الأمين العاملي / نشر : دار التعارف ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ .

٢٥ ـ الأغاني.

تأليف : أبي الفرج علي بن الحسين الإصفهاني المتوفّى سنة ٣٥٦ هـ / مراجعة : عبدالستّار أحمد فرّاج / نشر : دار الثقافة ـ بيروت .

٢٦ ـ أفلاطون لليسوعي: أفلاطون (سيرته، آثاره، ومذهبه الفلسفي) .

تأليف : جيمس فينيكان اليسوعي المتوفّى سنة ١٩٨٤ م / نشر : دار المشرق ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ٢٠٠٢ م .

٢٧ ـ الإكمال لابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب.

تأليف : أبي نصر علي بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر المعروف بابن ماكولا المتوفّى سنة ٤٧٥ هـ / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٢٨ ـ الأمالي للصدوق: الأمالي، أو: المجالس.

تأليف : أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق المتوفّى سنة ٣٨١ هـ / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ

بيروت / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٠ هـ .

٢٩ ـ الأمالي للطوسي: الأمالي.

تأليف : أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّىٰ سنة ٤٦٠ هـ / نشر : مكتبة الداوري ـ قم .

٣٠ ـ الأمالي للمفيد: الأمالي.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالمفيد وابن المعلّم المتوفّىٰ سنة ٤١٣ هـ / تحقيق : حسين الأُستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤١٢ هـ .

٣١ ـ الإمام الباقر نجيّ الرسول.

تأليف : سليمان كتّاني المتوفّىٰ سنة ٢٠٠٤ م / تقديم : جعفر مرتضى العاملي / نشر: دار الهادي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٨ هـ .

٣٢ ـ الإمام جعفر الصادق ضمير المعادلات.

تأليف : سليمان كتّاني المتوفّىٰ سنة ٢٠٠٤ م / تقديم : د . ميشال كعدي / نشر: دار الهادي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٨ هـ .

٣٣ ـ الإمام الحسن الكوثر المهدور.

تأليف : سليمان كتّاني المتوفّىٰ سنة ٢٠٠٤ م / نشر: دار الهادي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٨ هـ .

٣٤ ـ الإمام الحسين في حلّة البرفير.

تأليف : سليمان كتّاني المتوفّىٰ سنة ٢٠٠٤ م نشر: دار الهادي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٨ هـ .

٣٥ ـ الإمام الخميني.. بسم الله واحترق الهشيم.

تأليف : سليمان كتّاني المتوفّىٰ سنة ٢٠٠٤ م / نشر: دار الحقّ ـ بيروت /

الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨ هـ.

٣٦ ـ الإمام زين العابدين عنقود مرصّع.

تأليف : سليمان كتّاني المتوفّى سنة ٢٠٠٤ م / تقديم : محمّد حسين فضل الله / نشر: دار الهادي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٨ هـ.

٣٧ ـ الإمام علي نبراس ومتراس.

تأليف : سليمان كتّاني المتوفّى سنة ٢٠٠٤ م / تقديم : جعفر الخليلي / نشر: دار الهادي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٨ هـ.

٣٨ ـ الإمام الكاظم ضوء مقهور الشعاع.

تأليف : سليمان كتّاني المتوفّى سنة ٢٠٠٤ م / تقديم : د. غالب غانم / نشر: دار الهادي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٨ هـ.

٣٩ ـ الإمامة والسياسة: الإمامة والسياسة، أو: تاريخ الخلفاء.

تأليف : أبي محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفّى سنة ٢٧٦ هـ / تحقيق : علي شيري / نشر : مكتبة الشريف الرضي (أُفست) ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٣ هـ.

٤٠ ـ الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة.

تأليف : جورج جرداق / نشر :

٤١ ـ الأمثال لابن سلّام: كتاب الأمثال.

تأليف : أبي عُبيد القاسم بن سلّام الهروي المتوفّى سنة ٣٣٨ هـ / تحقيق : د. عبدالمجيد قطامش / نشر : دار المأمون للتراث ـ دمشق وبيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٠ هـ.

٤٢ ـ أنساب الأشراف.

تأليف : أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفّى سنة ٢٧٩ هـ / تحقيق : د. سهيل زكّار ود. رياض زركلي / نشر : دار الفكر ـ بيروت

الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٧هـ .

٤٣ ـ الأنوار الباهرة: الأنوار الباهرة بفضائل أهل البيت النبوي والذرّية الطاهرة.

تأليف : أبي الفتوح عبدالله بن عبدالقادر التليدي الحسني المغربي / تحقيق : محمّد كاظم الموسوي / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٨هـ .

٤٤ ـ أهمّ الأحداث التاريخيّة.

أهمّ الأحداث التاريخيّة من سنة ١٦٨٠ ق . م . إلى سنة ١٩٩٣م .

إعداد : حمدو طماس / نشر : دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣هـ .

٤٥ ـ أوضح المسالك: أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك.

تأليف : جمال الدين أبي محمّد عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله ابن هشام الأنصاري المصري المتوفّىٰ سنة ٧٦١هـ / تحقيق : د . هادي حسن حمّودي / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٢٠هـ .

٤٦ ـ بحار الأنوار : بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار.

تأليف : محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي المتوفّىٰ سنة ١١١١هـ / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية المصحّحة ـ ١٤٠٣هـ .

٤٧ ـ البحر المحيط:

تأليف : أبي عبدالله أثير الدين محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسي الغرناطي الجَيّاني المعروف بأبي حيّان المتوفّىٰ سنة ٧٥٤هـ / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١١هـ .

٤٨ ـ البدء والتاريخ.
تأليف : أبي مطهّر بن طاهر المقدسي المتوفّىٰ سنة ٥٠٧ هـ / نشر : دار صادر ـ بيروت .

٤٩ ـ البداية والنهاية.
تأليف : أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفّىٰ سنة ٧٧٤ هـ / نشر : مكتبة المعارف ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٣ هـ .

٥٠ ـ البراهين القاطعة: البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة.
تأليف : محمّد جعفر بن سيف الدين الأسترآبادي المعروف بشريعتمدار المتوفّىٰ سنة ١٢٦٣ هـ / تحقيق : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية في قسم إحياء التراث الإسلامي / نشر : مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ .

٥١ ـ البرهان في تفسير القرآن.
تأليف : هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبدالجواد بن علي الموسوي الكتكاني التوبلي البحراني المتوفّىٰ سنة ١١٠٧ هـ / تحقيق : لجنة من العلماء / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ .

٥٢ ـ بشارة المصطفى: بشارة المصطفى ﷺ لشيعة المرتضى عليه السلام.
تأليف : أبي جعفر عماد الدين محمّد بن علي بن محمّد بن علي بن رستم بن يزدبان الطبري الآملي (من أعلام القرن السادس الهجري) / تحقيق : جواد القيّومي الإصفهاني / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ .

٥٣ ـ بصائر الدرجات: بصائر الدرجات الكبرىٰ في فضائل آل محمّد عليهم السلام .
تأليف : أبي جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار المتوفّىٰ سنة

٢٩٠ هـ / تصحيح : محسن كوچه باغي / نشر : مؤسسة الأعلمي - طهران / ١٤٠٤ هـ .

٥٤ - بلاغات النساء.

تأليف : أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني المتوفّىٰ سنة ٢٨٠ هـ / نشر : مكتبة الشريف الرضي - قم .

٥٥ - تأثير الإسلام على أُوربا: تأثير الإسلام على أُوربا في العصور الوسطىٰ.

تأليف : و . مونتغمري واط / تعريب : د . عادل نجم عبّو / نشر : جامعة الموصل - العراق / الطبعة الأُولى - ١٩٨٢ م .

٥٦ - التاج الجامع للأُصول: التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول.

تأليف : منصور علي ناصف / نشر : دار الفكر - بيروت / ١٤٠٦ هـ .

٥٧ - تاج العروس: تاج العروس من جواهر القاموس.

تأليف : محبّ الدين أبي الفيض محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق بن مرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي المتوفّىٰ سنة ١٢٠٥ هـ / تحقيق : عبدالستّار أحمد فرّاج / نشر : دار الهداية - الكويت / ١٣٨٥ هـ .

٥٨ - تاريخ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر.

تأليف : أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب المتوفّىٰ سنة ٧٣٢ هـ / تحقيق : محمود ديّوب / نشر : دار الكتب العلميّة - بيروت / الطبعة الأُولى - ١٤١٧ هـ .

٥٩ - تاريخ أبي مخنف: التاريخ.

تأليف : لوط بن يحيىٰ بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي المتوفّىٰ سنة ١٥٧ هـ / تحقيق : كامل سلمان الجبوري / نشر : دار المحجّة البيضاء و دار الرسول الأكرم - بيروت / الطبعة الأُولىٰ - ١٤١٩ هـ .

٦٠ ـ تاريخ الإسلام للذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.
تأليف : أبي عبدالله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق : د. عمر عبدالسلام تدمري / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٧ هـ .

٦١ ـ تاريخ بغداد: تاريخ بغداد، أو: تاريخ مدينة السلام.
تأليف : أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفّى سنة ٤٦٣ هـ / نشر : الكتب العلميّة ـ بيروت .

٦٢ ـ تاريخ الحضارات العامّ.
تأليف : جماعة من الباحثين / إشراف: موريس كروزيه / تعريب : يوسف أسعد داغر وفريد م . داغر / نشر : دار عويدات ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٨ م .

٦٣ ـ تاريخ الخلفاء.
تأليف : جلال الدين عبدالرحمٰن بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين السيوطي الشافعي المتوفّى سنة ٩١١ هـ / تحقيق : محمّد محيي الدين عبدالحميد / نشر : مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١١ هـ .

٦٤ ـ تاريخ خليفة: كتاب التاريخ.
تأليف : أبي عمرو خليفة بن خيّاط بن أبي هبيرة الليثي العصفري المعروف بشبّاب المتوفّى سنة ٢٤٠ هـ / رواية: بَقي بن مخلد / تحقيق : د. مصطفى نجيب فوّاز ود . حكمت كشلي فوّاز / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ .

٦٥ ـ تاريخ الطبري: تاريخ الأُمم والملوك.
تأليف : أبي جعفر محمّد بن جرير بن يزيد الطبري المتوفّى سنة

٣١٠هـ / تحقيق : عبدالله علي مهنا / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولى المصحّحة ـ ١٤١٨ هـ .

٦٦ ـ التاريخ الكبير.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري المتوفّىٰ سنة ٢٥٦ هـ / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت .

٦٧ ـ تاريخ مختصر الدول.

تأليف : أبي الفرج غريغوريس بن أهرون الملطي المعروف بابن العبربي المتوفّىٰ سنة ١٢٨٦ م / تحقيق : أنطون صالحاني اليسوعي / نشر : دار الرائد اللبناني ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ .

٦٨ ـ تاريخ مدينة دمشق.

تأليف : أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفّىٰ سنة ٥٧١ هـ / تحقيق : علي شيري / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٥ هـ .

٦٩ ـ تاريخ المدينة لابن شبّة: أخبار المدينة النبويّة.

تأليف : أبي زيد عمر بن شبّة النميري البصري المتوفّىٰ سنة ٢٦٢ هـ / تحقيق : فهيم محمّد شلتوت / نشر : دار التراث والدار الإسلاميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠ هـ .

٧٠ ـ تاريخ اليعقوبي: كتاب التاريخ.

تأليف : أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفّىٰ بعد سنة ٢٩٢ هـ / نشر : دار صادر ـ بيروت .

٧١ ـ التبيان: التبيان في تفسير القرآن.

تأليف : أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ

الطائفة المتوفّىٰ سنة ٤٦٠ هـ / تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / تصوير عن مكتبة الأمين ـ النجف .

٧٢ ـ تتمّة أعلام الزركلي : تتمّة الأعلام للزركلي.

تأليف : محمّد خير رمضان يوسف / نشر : دار ابن حزم ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٢ هـ .

٧٣ ـ تحرير المجلّة.

تأليف : محمّد الحسين بن علي آل كاشف الغطاء النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣ هـ / تحقيق : محمّد جاسم الساعدي / إشراف : محمّد مهدي الآصفي / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٦ هـ .

٧٤ ـ تحفة الأشراف : تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف.

تأليف : جمال الدين أبي الحجّاج يوسف بن عبدالرحمٰن بن يوسف المزّي المتوفّىٰ سنة ٧٤٢ هـ / تحقيق : عبدالصمد شرف الدين / إشراف : زهير الشاويش / نشر : الدار القيّمة ـ الهند والمكتب الإسلامي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣ هـ .

٧٥ ـ تحف العقول : تحف العقول عن آل الرسول.

تأليف : أبي محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع الهجري) / تحقيق : علي أكبر الغفاري / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٤ هـ .

٧٦ ـ تذكرة الحفّاظ.

تأليف : أبي عبدالله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز

الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨هـ / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٧٧ ـ تذكرة الخواصّ: تذكرة الخواصّ من الأُمّة في ذكر مناقب الأئمّة.

تأليف : أبي المظفّر شمس الدين يوسف بن قُزعلي بن عبدالله البغدادي الحنفي المعروف بسبط ابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٦٥٤هـ / تقديم : محمّد صادق بحر العلوم / نشر : مكتبة نينوى الحديثة ـ طهران .

٧٨ ـ التسهيل لعلوم التنزيل.

تأليف : أبي القاسم محمّد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المتوفّىٰ سنة ٧٤١هـ / تحقيق : رضا فرج الهَمامي / نشر : المكتبة العصريّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣هـ .

٧٩ ـ التشخيص التفريقي: التشخيص التفريقي في الأمراض الداخليّة.

تأليف : علي حدّاد حدّدا ود . عبدالناصر كعدان ود . عبّاس زغنون ود . جمال شعّار ود . أحمد أقرع / نشر : دار القلم العربي ـ حلب / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٠م .

٨٠ ـ تعجيل المنفعة: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمّة الأربعة.

تأليف : أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢هـ / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٨١ ـ تفسير أبي الفتوح الرازي: رَوض الجِنان ورَوح الجَنان في تفسير القرآن.

تأليف : حسين بن علي بن محمّد بن أحمد الخزاعي النيشابوري المعروف بأبي الفتوح الرازي (من أعلام القرن السادس الهجري) / تصحيح : د . محمّد جعفر ياحقّي و د . محمّد مهدي ناصح / نشر : مؤسّسة الطبع في الحضرة الرضوية المقدّسة ـ مشهد / الطبعة الثالثة

ـ١٣٨١ هـ . ش .

٨٢ ـ تفسير البغوي: معالم التنزيل.

تأليف : أبي محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد ابن الفرّاء البغوي الشافعي المتوفّى سنة ٥١٦ هـ / تحقيق : خالد عبدالرحمٰن العكّ ومروان سوار / نشر : دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٧ هـ .

٨٣ ـ تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

تأليف : ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمّد البيضاوي الشيرازي المتوفّى سنة ٦٨٥ هـ / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠ هـ .

٨٤ ـ تفسير الحبري: ما نزل من القرآن في علي عليه السلام.

تأليف : أبي عبدالله الحسين بن الحكم بن مسلم الكوفي الحِبري الوشّاء المتوفّى سنة ٢٨٦ هـ / تحقيق : محمّد رضا الحسيني الجلالي / نشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى المحقّقة ـ ١٤٠٨ هـ .

٨٥ ـ تفسير النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل.

تأليف : أبي البركات حافظ الدين عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي المتوفّى سنة ٧١٠ هـ / نشر : دار إحياء الكتب العربيّة ـ مصر .

٨٦ ـ تفسير نور الثقلين.

تأليف : عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي المتوفّى سنة ١١١٢ هـ / تصحيح : هاشم الرسول المحلّاتي / نشر : مؤسّسة إسماعيليّان ـ قم / الطبعة الرابعة ـ ١٤١٥ هـ .

٨٧ ـ تقريب التهذيب.

تأليف : أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ / تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٥ هـ .

٨٨ ـ تكملة أمل الآمل.

تأليف : حسن بن هادي بن محمّد علي بن صالح الصدر المتوفّى سنة ١٣٥٤ هـ / تحقيق : أحمد الحسيني / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٦ هـ .

٨٩ ـ تلبيس إبليس.

تأليف : أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمٰن بن علي بن محمّد القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق : د . السيّد الجميلي / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٣ م .

٩٠ ـ التنبيه والإشراف.

تأليف : أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي المتوفّى سنة ٣٤٦ هـ / تصحيح : عبد الله إسماعيل الصاوي / نشر : دار الصاوي ـ القاهرة .

٩١ ـ التهذيب: تهذيب الأحكام في شرح المقنعة.

تأليف : أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّى سنة ٤٦٠ هـ / تحقيق : حسن الموسوي الخرسان / نشر : دار الكتب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الرابعة ـ ١٣٦٥ هـ . ش .

٩٢ ـ تهذيب الأسماء واللغات.

تأليف : أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي الشافعي المتوفّى سنة ٦٧٦ هـ / تصحيح : شركة العلماء وإدارة الطباعة المنيرية / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت .

٩٣ ـ تهذيب تاريخ مدينة دمشق: تهذيب تاريخ دمشق الكبير.

تأليف : عبدالقادر بدران المتوفّى سنة ١٣٤٦ هـ / نشر : دار إحياء

التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٧ هـ .

٩٤ ـ تهذيب التهذيب.

تأليف : أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٤ هـ .

٩٥ ـ تهذيب اللغة.

تأليف : أبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري المتوفّىٰ سنة ٣٧٠ هـ / تحقيق : عمر سلامي وعبد الكريم حامد / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١ هـ .

٩٦ ـ تهذيب الكمال: تهذيب الكمال في أسماء الرجال.

تأليف : أبي الحجّاج جمال الدين يوسف المزّي المتوفّىٰ سنة ٧٤٢ هـ / تحقيق : د . بشّار عوّاد معروف / نشر : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٥ هـ .

٩٧ ـ الثقات لابن حبّان: كتاب الثقات.

تأليف : أبي حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد التميمي البَستي المتوفّىٰ سنة ٣٥٤ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / أُفست عن مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند / الطبعة الأُولى ـ ١٣٩٣ هـ .

٩٨ ـ جامع الأحاديث.

تأليف : جلال الدين عبدالرحمٰن بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين السيوطي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٩١١ هـ / جمع وترتيب : عبّاس أحمد صقر وأحمد عبدالجواد / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ .

٩٩ ـ جامع الأُصول: جامع الأُصول في أحاديث الرسول.

تأليف : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد بن محمّد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري الموصلي المعروف بابن الأثير المتوفّىٰ سنة ٦٠٦ هـ / تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣ هـ .

١٠٠ ـ جامع الرواة: جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد.

تأليف : محمّد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري) / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٣ هـ .

١٠١ ـ الجامع الصغير: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير.

تأليف : جلال الدين عبدالرحمٰن بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين الخضيري السيوطي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٩١١ هـ / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الرابعة .

١٠٢ ـ الجامع لأحكام القرآن.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفّىٰ سنة ٦٧١ هـ / تحقيق : أحمد عبدالعليم البردوني / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية .

١٠٣ ـ جامع المسانيد والسنن: جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن، أو: الهدىٰ والسنن في أحاديث المسانيد والسنن.

تأليف : أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٧٧٤ هـ / تعليق : د . عبدالمعطي أمين قلعجي / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٥ هـ .

١٠٤ ـ الجرح والتعديل.
تأليف : أبي محمّد عبدالرحمٰن بن أبـي حـاتم مـحمّد بـن إدريس بـن المنذر التميمي الحنظلي الرازي المتوفّىٰ سنة ٣٢٧ هـ / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / أُفست عن مـطبعة مـجلس دائـرة المـعارف العثمانية بالهند / الطبعة الأُولى ـ ١٣٧٢ هـ .

١٠٥ ـ الجمع بين رجال الصحيحين: الجمع بين رجال الصـحيحين بـخاري ومسـلم لكتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني.
تأليف : أبـي الفـضل مـحمّد بـن طـاهر بـن عـلي المـقدسي الشـيباني المعروف بابن القيسراني المـتوفّىٰ سـنة ٥٠٧ هـ / نشـر : دار الكـتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٥ هـ .

١٠٦ ـ جمهرة الأمثال.
تأليف : أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بـن يـحيىٰ بـن مهران العسكري المتوفّىٰ ما بعد الأربع مائة الهجريّة / تحقيق : محمّد أبي الفضل إبـراهـيم وعـبدالمـجيد قـطامش / نشـر : دار الجـيل ودار الفكر ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ .

١٠٧ ـ جمهرة اللغة.
تأليف : أبي بكر محمّد بن الحسن بـن دريـد المـتوفّىٰ سـنة ٣٢١ هـ / تحقيق : د . رمزي منير البعلبكي / نشر : دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٧ م .

١٠٨ ـ جواهر الكلام: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام.
تأليف : محمّد حسن بـن بـاقر بـن عـبدالرحـيم الـنجفي الجـواهـري المتوفّىٰ ١٢٦٦ هـ / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بـيروت / الطـبعة السابعة ـ ١٤٠١ هـ .

١٠٩ ـ الجوهر الثمين: الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين.
تأليف : عبدالله بن محمّد رضا بن شبّر بن حسن الحسيني المتوفّىٰ سنة ١٢٤٢ هـ / نشر : مكتبة الألفين ـ الكويت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٧ هـ .

١١٠ ـ الحدائق الناضرة: الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة.
تأليف : يوسف بن أحمد البحراني المتوفّىٰ سنة ١١٨٦ هـ / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / ١٤٠٤ هـ .

١١١ ـ حقائق الأُصول: حقائق الأُصول في التعليق الأُصول.
تأليف : محسن بن مهدي بن صالح الطباطبائي الحكيم المتوفّىٰ سنة ١٣٩٠ هـ / نشر : مكتبة بصيرتي ـ قم / الطبعة الخامسة ـ ١٤٠٨ هـ .

١١٢ ـ حلية الأولياء: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.
تأليف : أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران المهراني الإصفهاني المتوفّىٰ سنة ٤٣٠ هـ / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٩ هـ .

١١٣ ـ خزانة الأدب: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب.
تأليف : عبدالقادر بن عمر البغدادي المتوفّىٰ سنة ١٠٩٣ هـ / تحقيق : د . محمّد نبيل طريفي / إشراف : د . إميل بديع يعقوب / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨ هـ .

١١٤ ـ خصائص النسائي: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.
تأليف : أبي عبدالرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الخراساني المتوفّىٰ سنة ٣٠٣ هـ / تحقيق : د . حمزة النشرتي ود . عبدالحميد مصطفىٰ وعبدالحفيظ فرغلي / نشر : مكتبة النشرتي ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ٢٠٠١م .

١١٥ ـ الخصال: الخصال الممدوحة والمذمومة.
تأليف : أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق المتوفّى سنة ٣٨١ هـ / تحقيق : علي أكبر الغفاري / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / ١٤٠٣ هـ .

١١٦ ـ دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة.
تأليف : حسن محسن الأمين العاملي المتوفّى سنة ١٤٢٣هـ / نشر : دار التعارف ـ بيروت / الطبعة السادسة ـ ١٤٢٢هـ .

١١٧ ـ دائرة المعارف الشيعيّة العامّة.
تأليف : محمّد حسين الأعلمي الحائري / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣هـ .

١١٨ ـ دائرة المعارف: للبستاني: دائرة المعارف.
تأليف : بطرس بن بولس بن عبدالله بن كرم البستاني المتوفّى سنة ١٨٨٣ م . نشر : دار المعرفة ـ بيروت .

١١٩ ـ الدرّ المنثور: الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور.
تأليف : جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين الخضيري السيوطي الشافعي المتوفّى سنة ٩١١ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤٢٣ هـ .

١٢٠ ـ الدرّ النظيم: الدرّ النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم.
تأليف : جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي (من أعلام القرن السابع الهجري) / تحقيق ونشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ .

١٢١ ـ دراسات.

تأليف : جعفر مرتضى الحسيني العاملي / نشر :

١٢٢ ـ دعائم الإسلام: دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله (عليه وعليهم أفضل السلام).

تأليف : أبي حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيّون التميمي المغربي المتوفّى سنة ٣٦٣ هـ / تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي / نشر : دار المعارف ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٣٨٥ هـ .

١٢٣ ـ دلائل الإمامة.

تأليف : أبي جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري الآملي (من أعلام القرن الرابع الهجري) / نشر : مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٣٦٣ هـ . ش / أُفست عن المطبعة الحيدريّة بالنجف الأشرف ـ ١٣٨٣ هـ .

١٢٤ ـ دلائل النبوّة للإصفهاني : دلائل النبوّة.

تأليف : أبي نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني المتوفّى سنة ٤٣٠ هـ / نشر : مكتبة النهضة ـ بغداد .

١٢٥ ـ دلائل النبوّة للبيهقي: دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة.

تأليف : أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري المتوفّى سنة ٤٥٨ هـ / تحقيق : د . عبد المعطي أمين قلعجي / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٥ هـ .

١٢٦ ـ دول الإسلام.

تأليف : أبي عبدالله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق : فهيم محمّد شلتوت ومحمّد مصطفى إبراهيم / نشر : الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ـ مصر /

١٩٧٤ م.

١٢٧ ـ ديوان أبي تمام.

شرح : أبي زكريا يحيى بن علي بن محمّد بن الحسن الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي المتوفّىٰ سنة ٥٠٢ هـ / تعليق : راجي الأسمر / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٤ هـ.

١٢٨ ـ ديوان عُبيد بن الأبرص.

شرح : أشرف أحمد عَدرَة / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٤ هـ.

١٢٩ ـ ذخائر العقبىٰ: ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ.

تأليف : أبي العبّاس محبّ الدين أحمد بن عبدالله بن محمّد بن أبي بكر بن محمّد الطبري المتوفّىٰ سنة ٦٩٤ هـ / نشر : دار المعرفة ـ بيروت.

١٣٠ ـ ذخيرة المعاد: ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد.

تأليف : محمّد باقر بن محمّد مؤمن السبزواري الخراساني المتوفّىٰ سنة ١٠٩٠ هـ / نشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

١٣١ ـ الذرّية الطاهرة.

تأليف : أبي بشر محمّد بن أحمد بن حمّاد الأنصاري الرازي الدولابي المتوفّىٰ سنة ٣١٠هـ / تحقيق : محمّد جواد الحسيني الجلالي / تقديم : محمّد حسين الحسيني الجلالي / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

١٣٢ ـ ذكرىٰ الشيعة: ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة.

تأليف : كمال الدين أبي عبدالله محمّد بن مكّي العاملي المعروف بالشهيد الأوّل المتوفّىٰ سنة ٧٨٦ هـ / تحقيق نشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ.

١٣٣ ـ ربيع الأبرار: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار.
تأليف : أبي القاسم محمّد بن عمر الزمخشري المتوفّىٰ سنة ٥٣٨ هـ / تحقيق : د . سليم النعيمي / نشر : مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٠ هـ.

١٣٤ ـ رجال ابن داود: كتاب الرجال.
تأليف : تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلّي المتوفّىٰ ما بعد سنة ٧٠٧ هـ / تحقيق : محمّد صادق بحر العلوم / نشر : مكتبة الشريف الرضي ـ قم / أُفست عن المطبعة الحيدريّة ـ النجف / ١٣٩٢ هـ.

١٣٥ ـ رجال الطوسي: كتاب الرجال.
تأليف : أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّىٰ سنة ٤٦٠ هـ / تحقيق : جواد القيّومي الإصفهاني / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥ هـ.

١٣٦ ـ رحلة ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتّفاقات الأسفار.
تأليف : أبي الحسين محمّد بن أحمد بن جبير الكناني الشاطبي البلنسي المتوفّىٰ سنة ٦١٤ هـ / نشر : دار بيروت ـ بيروت / ١٤٠٤ هـ.

١٣٧ ـ رسالة حول حديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث» للمفيد: رسالة حول حديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث».
تأليف : أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالمفيد وابن المعلّم المتوفّىٰ سنة ٤١٣ هـ / تحقيق : مالك المحمودي / نشر : المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٣ هـ.

١٣٨ ـ روح المعاني: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

تأليف : أبي الثناء شهاب الدين محمود بن عبدالله الآلوسي البغدادي الحسيني المتوفّىٰ سنة ١٢٧٠ هـ / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٥ هـ .

١٣٩ ـ روضة الواعظين: روضة الواعظين وبصيرة المتّعظين.

تأليف : أبي علي محمّد بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي الفتّال النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٥٠٨ هـ / نشر : مكتبة الشريف الرضي ـ قم .

١٤٠ ـ رياض الصالحين للنووي : رياض الصالحين.

تأليف : أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٦٧٦ هـ / تحقيق : عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقّاق / نشر : دار المأمون للتراث ـ دمشق / الطبعة الأُولى ـ ١٣٩٦ هـ .

١٤١ ـ رياض السالكين: رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل.

تأليف : علي بن محمّد بن علي الطباطبائي المتوفّىٰ سنة ١٢٣١ هـ / تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨ هـ .

١٤٢ ـ الرياض النضرة: الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشّرين بالجنّة.

تأليف : أبي العبّاس محبّ الدين أحمد بن عبدالله بن محمّد بن أبي بكر بن محمّد بن إبراهيم بن الطبري المكّي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٦٩٤هـ / نشر : دار الندوة الجديدة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٨ هـ .

١٤٣ ـ ريحانة الأدب: ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب.

تأليف : محمّد علي بن محمّد طاهر المدرّس التبريزي الخيابانى المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣ هـ / طبع : مطبعة الشركة العامّة لطبع الكتب ـ إيران / الطبعة الثانية ـ ١٣٣٥ هـ . ش .

١٤٤ ـ زاد المسير: زاد المسير في علم التفسير.

تأليف : أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمٰن بن علي بن محمّد القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق : محمّد عبد الرحمٰن عبدالله وسعيد بسيوني زغلول / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٧ هـ .

١٤٥ ـ سمط النجوم العوالي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي.

تأليف : عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العاصمي المكّي الشافعي المتوفّىٰ سنة ١١١١ هـ /تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمّد معوّض / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ .

١٤٦ ـ سنن ابن ماجة: كتاب السنن.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة المتوفىٰ سنة ٢٧٥ هـ / تحقيق : محمّد فؤاد عبدالباقي / نشر : دار الفكر ـ بيروت .

١٤٧ ـ سنن الترمذي: الجامع الصحيح.

تأليف : أبي عيسى محمّد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي المتوفّىٰ سنة ٢٧٩ هـ / تحقيق : أحمد محمّد شاكر / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٥٧ هـ .

١٤٨ ـ سنن الدارمي: السنن.

تأليف : أبي محمّد عبدالله بن عبدالرحمٰن بن الفضل بن بهرام الدارمي التميمي السمرقندي المتوفّىٰ سنة ٢٥٥ هـ / نشر : دار الفكر ـ القاهرة / ١٣٩٨ هـ .

١٤٩ ـ السنن الكبرى للبيهقي: السنن الكبرى.

تأليف : أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٥٨ هـ / نشر : دار المعرفة ـ بيروت .

١٥٠ ـ سنن النسائي: السنن.

تأليف : أبي عبدالرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الخراساني المتوفّىٰ سنة ٣٠٣ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٣٤٨هـ .

١٥١ ـ سير أعلام النبلاء.

تأليف : أبي عبدالله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق : مجموعة من المحقّقين تحت إشراف : شعيب الأرناؤوط / نشر : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الحادية عشرة ـ ١٤١٧ هـ .

١٥٢ ـ السيرة النبويّة لابن سيّد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير.

تأليف : أبي الفتح محمّد بن محمّد بن عبدالله بن محمّد بن يحيىٰ اليعمري الأندلسي المعروف بابن سيّد الناس المتوفّىٰ سنة ٧٣٤ هـ / نشر : مؤسّسة عزّ الدين ـ بيروت / ١٤٠٦ هـ .

١٥٣ ـ السيرة النبويّة لابن كثير: السيرة النبويّة.

تأليف : أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفّىٰ سنة ٧٧٤ هـ / تحقيق : مصطفى عبدالواحد / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

١٥٤ ـ السيرة النبويّة لابن هشام: السيرة النبويّة.

تأليف : أبي محمّد عبدالملك بن هشام بن أيّوب الحميري المعافري الذهلي المتوفّىٰ سنة ٢١٨ هـ / تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٥ م .

١٥٥ ـ السيرة النبويّة للحلبي: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون.

تأليف : أبي الفرج نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٤٤ هـ / تصحيح : عبدالله محمّد الخليلي / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٢ هـ .

١٥٦ ـ الشافي في الإمامة.

تأليف : أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي البغدادي المعروف بالشريف المرتضى وعلم الهدىٰ المتوفّىٰ سنة ٤٣٦ هـ / تحقيق : عبدالزهراء الحسيني الخطيب / مراجعة : فاضل الميلاني / نشر : مؤسّسة الصادق ـ طهران / الطبعة الثانية ـ ١٤١٠ هـ .

١٥٧ ـ شخصيّات لها تاريخ.

إعداد : عبدالرحمٰن المصطاوي / نشر : دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هـ .

١٥٨ ـ شذرات الذهب: شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

تأليف : أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمّد المعروف بابن العماد الحنبلي المتوفّىٰ سنة ١٠٨٩ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ .

١٥٩ ـ شرائع الإسلام: شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام.

تأليف : نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن الهُذلي المعروف بالمحقّق الحلّي المتوفّىٰ سنة ٦٧٦هـ / نشر : استقلال ـ طهران / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٢ هـ .

١٦٠ ـ شرح الأخبار: شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار.

تأليف : أبي حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيّون التميمي المغربي المتوفّىٰ سنة ٣٦٣ هـ / تحقيق : محمّد حسين الجلالي / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم /

الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٩ هـ.

١٦١ ـ شرح معاني الآثار.

تأليف : أبي جعفر أحمد بن محمّد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة الأزدي الطحاوي الحجري الحنفي المتوفّىٰ سنة ٣٢١ هـ / تحقيق : محمّد زهري النجّار / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٦ هـ.

١٦٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة.

تأليف : أبي حامد عزّ الدين عبدالحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد المتوفّىٰ سنة ٦٥٦ هـ / تعليق : محمّد أبي الفضل إبراهيم / نشر : دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٧ هـ.

١٦٣ ـ الشفا: الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ.

تأليف : أبي الفضل عياض بن موسىٰ اليحصبي الأندلسي (من أعلام القرن السادس الهجري) / نشر : مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ـ القاهرة.

١٦٤ ـ شواهد التنزيل: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل.

تأليف : أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله بن أحمد بن محمّد بن حسكان العامري القرشي النيسابوري الحنفي المعروف بالحاكم الحسكاني وابن الحذّاء (من أعلام القرن الخامس الهجري) / تحقيق : محمّد باقر المحمودي / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ١٣٩٣ هـ.

١٦٥ ـ الصافي: كتاب الصافي في تفسير القرآن.

تأليف : محمّد محسن بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني

المتوفّى سنة ١٠٩١ هـ / تحقيق : محسن الحسيني الأميني / نشر : دار الكتب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ .

١٦٦ ـ صحاح اللغة: تاج اللغة وصحاح العربيّة.

تأليف : أبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري المتوفّى سنة ٣٩٣ هـ / تحقيق : أحمد عبدالغفور عطّار / نشر : دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٧ هـ .

١٦٧ ـ صحيح البخاري: الصحيح.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري المتوفّى سنة ٢٥٦ هـ / تحقيق : د . مصطفى ديب البُغا / نشر : دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق و بيروت ومؤسّسة علوم القرآن ـ عجمان / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٤ هـ .

١٦٨ ـ صحيح مسلم: الصحيح.

تأليف : أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري المتوفّى سنة ٢٦١ هـ / تحقيق : محمّد فؤاد عبدالباقي / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٧٢ م.

١٦٩ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله (مدخل لدراسة السيرة والتاريخ).

تأليف : جعفر مرتضى الحسيني العاملي / نشر : دار السيرة ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤١٤ هـ .

١٧٠ ـ الصراط المستقيم: الصراط المستقيم لمستحقّي التقديم.

تأليف : أبي محمّد زين الدين علي بن يونس العاملي النباطي البياضي المتوفّى سنة ٨٧٧ هـ / تحقيق : محمّد باقر البهبودي / نشر : المكتبة المرتضوية ـ إيران.

١٧١ ـ صفوة الصفوة.
تأليف : أبي الفرج عبدالرحمٰن بن علي بن محمّد بن علي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق : محمود فاخوري ود . محمّد روّاس قلعجي / نشر : دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٦ هـ .

١٧٢ ـ الصوارم المهرقة: الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة.
تأليف : أبي المجد ضياء الدين نور الله بن شريف الدين بن نور الله بن محمّد شاه الحسيني المرعشي التستري المتوفّىٰ سنة ١٠١٩ هـ / تصحيح : جلال الدين الحسيني المحدّث الأُرموي / طبع : مطبعة النهضة ـ طهران / ١٣٦٧ هـ .

١٧٣ ـ الصواعق المحرقة: الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة.
تأليف : أحمد بن حجر الهيتمي المكّي المتوفّىٰ سنة ٩٧٤ هـ / تحقيق : عبدالوهاب عبداللطيف / نشر : مكتبة القاهرة ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٣٨٥ هـ .

١٧٤ ـ طبقات خليفة: كتاب الطبقات.
تأليف : أبي عمرو خليفة بن خيّاط بن أبي هبيرة الليثي العصفري المعروف بشبّاب المتوفّىٰ سنة ٢٤٠ هـ / رواية : موسىٰ بن زكريا بن يحيى التستري لمحمّد بن أحمد بن محمّد الأزدي / تحقيق : د . سهيل زكّار / نشر : المكتبة التجاريّة ـ مكّة / أُفست عن دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ .

١٧٥ ـ الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: الطبقات الكبرىٰ.
تأليف : أبي عبدالله محمّد بن سعد بن منيع الزهري البصري المتوفّىٰ سنة ٢٣٠ هـ / نشر : دار بيروت ـ بيروت / ١٤٠٥ هـ .

١٧٦ ـ طبقات المفسّرين للداودي: طبقات المفسّرين.

تأليف : شمس الدين محمّد بن علي بن أحمد الداودي المتوفّى سنة ٩٤٥هـ / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٣ هـ .

١٧٧ ـ الطرائف: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف.

تأليف : أبي القاسم رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمّد الحسني الحسيني المعروف بابن طاووس المتوفّى سنة ٦٦٤هـ / تحقيق : مهدي الرجائي / نشر : مؤسّسة البلاغ ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩هـ .

١٧٨ ـ طرائف المقال: طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال.

تأليف : علي أصغر بن محمّد شفيع الجابلقي البروجردي المتوفّى سنة ١٣١٣هـ / تحقيق : مهدي الرجائي / إشراف : محمود شهاب الدين المرعشي النجفي / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠هـ .

١٧٩ ـ العبر: العبر في خبر من غبر.

تأليف : أبي عبدالله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨هـ / تحقيق : صلاح الدين المنجد / نشر : الكويت / ١٩٦٠م .

١٨٠ ـ عدّة الداعي: عدّة الداعي ونجاح الساعي.

تأليف : جمال الدين أحمد بن محمّد بن فهد الحلّي المتوفّى سنة ٨٤١هـ ، / نشر : مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠هـ .

١٨١ ـ العدد القوية: العدد القوية لدفع المخاوف اليومية.

تأليف : أبي القاسم رضي الدين علي بن يوسف بن علي بن محمّد بن

المطهّر الحلّي الأسدي (من أعلام القرن الثامن الهجري)/ تحقيق : مهدي الرجائي /إشراف : محمود النجفي المرعشي / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٨هـ.

١٨٢ ـ العقائد والأديان.

إعداد : عبدالقادر صالح / نشر : دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤هـ .

١٨٣ ـ العقد الثمين: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.

تأليف : تقي الدين محمّد بن أحمد الحسني الفاسي المكّي المتوفّى سنة ٨٣٢هـ / تحقيق : محمّد عبدالقادر أحمد عطا / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩هـ.

١٨٤ ـ العقد الفريد.

تأليف : أبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عبد ربّه بن حبيب ابن دريد بن سالم الأندلسي المتوفّى سنة ٣٢٨هـ / تحقيق : علي شيري / نشر : دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التاريخ العربي ـ بيروت /الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٩هـ .

١٨٥ ـ العمدة لابن البطريق: عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار.

تأليف : أبي الحسين شمس الدين يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمّد الأسدي الحلّي المعروف بابن البطريق المتوفّى سنة ٦٠٠ هـ / تحقيق : مالك المحمودي وإبراهيم البهادري / نشر : مؤسّسة النشر التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / ١٤٠٧هـ .

١٨٦ ـ عوالي اللئالي: عوالي اللئالي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة.

تأليف : محمّد بن علي بن إبراهيم الإحسائي المعروف بابن أبي جمهور المتوفّى سنة ٩٤٠هـ / تحقيق : مجتبى العراقي / نشر : مطبعة

سيّد الشهداء ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٣ هـ .

١٨٧ ـ العين للفراهيدي: كتاب العين.

تأليف : أبي عبدالرحمٰن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفّىٰ سنة ١٧٥ هـ / تحقيق : د . مهدي المخزومي و د . إبراهيم السامرّائي / نشر : دار و مكتبة الهلال ـ بيروت .

١٨٨ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام.

تأليف : أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق المتوفّىٰ سنة ٣٨١ هـ / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ طهران / أُفست عن المطبعة الحيدرية ـ النجف / ١٣٩٠ هـ .

١٨٩ ـ عيون أخبار الرضا.

تأليف : أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق المتوفّىٰ سنة ٣٨١ هـ / نشر : المطبعة الحيدريّة ـ النجف / ١٩٧٠ م .

١٩٠ ـ غنائم الأيّام: غنائم الأيّام في مسائل الحرام والحلال.

تأليف : أبي القاسم بن محمّد حسن بن نظر علي الجيلاني الشفتي القمّي المتوفّىٰ سنة ١٢٢١ هـ / تحقيق : مكتب الإعلام الإسلامي ـ خراسان / نشر : مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ .

١٩١ ـ الفائق في غريب الحديث.

تأليف : أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمّد بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفّىٰ سنة ٥٣٨ هـ / تحقيق : إبراهيم شمس الدين / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ .

١٩٢ ـ فتح الباري: فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

تأليف : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٢ هـ .

١٩٣ ـ فتح القدير: فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير.

تأليف : محمّد بن علي الشوكاني المتوفّىٰ سنة ١٢٥٠ هـ / نشر : دار المعرفة ـ بيروت .

١٩٤ ـ الفتوح لابن أعثم: الفتوح.

تأليف : أبي محمّد أحمد بن أعثم الكوفي المتوفّىٰ سنة ٣١٤ هـ / نشر : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة ـ الهند / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٩٠ هـ .

١٩٥ ـ فدك في التاريخ.

تأليف : محمّد باقر بن حيدر بن إسماعيل بن صدر الدين بن صالح العاملي الصدر المتوفّىٰ سنة ١٤٠٠ هـ / تحقيق : د . عبدالجبّار شرارة / نشر : مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ إيران / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ .

١٩٦ ـ فردوس الأخبار: فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرّج على كتاب الشهاب.

تأليف : شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي المتوفّىٰ سنة ٥٠٩ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨ هـ .

١٩٧ ـ الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة.

تأليف : علي بن محمّد بن أحمد المالكي المكّي المعروف بابن الصبّاغ المتوفّىٰ سنة ٨٥٥ هـ / نشر : مكتبة دار الكتب التجارية ـ النجف .

١٩٨ ـ فضائل أهل البيت من «فضائل الصحابة».

تأليف (أي : أصل الكتاب): أبي عبدالله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفّىٰ سنة ٢٤١ هـ / استدراك : عبدالله بن أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني المتوفّىٰ سنة ٢٩٠ هـ ، وأبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي المتوفّىٰ سنة ٣٦٨هـ / تحقيق : محمّد كاظم المحمودي / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٥ هـ .

١٩٩ ـ فضائل الثقلين: فضائل الثقلين من كتاب «توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل».

تأليف (أي : أصل الكتاب) : شهاب الدين أحمد بن جلال الدين بن محمّد بن عبدالله بن محمّد بن عبدالله الحسيني الإيجي الشافعي (من أعلام القرن التاسع الهجري) / تحقيق : حسين الحسني البيرجندي / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٨ هـ .

٢٠٠ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستّة.

تأليف : مرتضى الحسيني الفيروزآبادي / تحقيق : أبي الفضل علي الإسلامي / نشر : المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ .

٢٠١ ـ فضائل الصحابة لابن حنبل: كتاب فضائل الصحابة.

تأليف : أبي عبدالله أحمد بن محمّد بن حنبل المتوفّىٰ سنة ٢٤١ هـ / تحقيق : وصي الله محمّد عبّاس / نشر : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت . وجامعة أُمّ القرىٰ ـ مكّة المكرّمة / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٣ هـ .

٢٠٢ ـ فقه اللغة للثعالبي: كتاب فقه اللغة وسرّ العربيّة.

تأليف : أبي منصور عبدالملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي

النيسابوري المتوفّى سنة ٤٢٩ هـ / تحقيق : د. فائز محمّد / مراجعة : د . إميل يعقوب / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٦هـ .

٢٠٣ ـ الفقيه: كتاب من لا يحضره الفقيه.

تأليف : أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق المتوفّى سنة ٣٨١ هـ / تحقيق : علي أكبر الغفاري / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٤هـ .

٢٠٤ ـ الفكر الإسلامي الحديث: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.

تأليف : د . محمّد البهي / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة السابعة ـ ١٩٩١ م .

٢٠٥ ـ فوائد الأُصول (تقريراً لأبحاث الشيخ محمّد حسين النائيني المتوفّى سنة ١٣٥٥هـ).

تأليف : محمّد علي الكاظمي الخراساني المتوفّى سنة ١٣٦٥ هـ / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / ١٤٠٤ هـ .

٢٠٦ ـ الفوائد الرجاليّة.

تأليف : محمّد مهدي الطباطبائي بحر العلوم المتوفّى سنة ١٢١٢ هـ / تحقيق : صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم / نشر : مكتبة الصادق ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٣٦٣ هـ . ش .

٢٠٧ ـ فوات الوفيات: فوات الوفيات والذيل عليها.

تأليف : محمّد بن شاكر الكتبي المتوفّى سنة ٧٦٤ هـ / تحقيق : د . إحسان عبّاس / نشر : دار صادر ـ بيروت .

٢٠٨ ـ في تاريخ المغرب والأندلس.

تأليف : د . أحمد مختار العبادي / نشر : دار النهضة العربيّة ـ بيروت .

٢٠٩ ـ القاموس المحيط: القاموس المحيط والقابوس الوسيط.

تأليف : مجد الدين أبي طاهر محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٨١٧ هـ / نشر : دار الجيل ـ بيروت .

٢١٠ ـ قصّة الفلسفة لديورانت: قصّة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي.

تأليف : وِل ديورَانت / تعريب : د . فتح الله محمّد المشعشع / نشر : مكتبة المعارف ـ بيروت / الطبعة السادسة ـ ١٤٠٨ هـ .

٢١١ ـ الكافي.

تأليف : أبي جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المعروف بثقة الإسلام المتوفّىٰ سنة ٣٢٩ هـ / تحقيق : علي أكبر الغفاري / نشر : دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٨ هـ .

٢١٢ ـ الكامل في التاريخ.

تأليف : أبي الحسن عزّ الدين علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفّىٰ سنة ٦٣٠ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٣٩٨ هـ .

٢١٣ ـ الكامل لابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال.

تأليف : أبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني المتوفّىٰ سنة ٣٦٥ هـ / تحقيق : د . سهيل زكّار ويحيىٰ مختار غزّاوي / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٩ هـ .

٢١٤ ـ كتاب السنّة لابن أبي عاصم: كتاب السنّة.

تأليف : أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحّاك بن مخلّد الشيباني

المتوفّى سنة ٢٨٧هـ / نشر : المكتب الإسلامي ـ دمشق وبيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٠ هـ .

٢١٥ ـ كتاب العيال لابن أبي الدنيا: كتاب العيال.

تأليف : أبي بكر عبدالله بن محمّد بن عُبيد ابن أبي الدنيا البغدادي المتوفّى سنة ٢٨١ هـ / تحقيق : د . نجم عبدالرحمٰن خلف / نشر : دار ابن القيّم ـ الدمّام / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠هـ .

٢١٦ ـ كتاب المجروحين لابن حبّان : كتاب المجروحين من المحدّثين.

تأليف : أبي حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد التميمي البَستي المتوفّى سنة ٣٥٤هـ / تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي / نشر : دار الصميعي ـ الرياض / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ .

٢١٧ ـ الكشّاف: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

تأليف : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمّد بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفّى سنة ٥٣٨ هـ / تصحيح : مصطفىٰ حسين أحمد / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٢١٨ ـ كشف الخفاء: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس.

تأليف : إسماعيل بن محمّد بن عبدالهادي بن الغني العجلوني الدمشقي الشافعي المتوفّى سنة ١١٦٢ هـ / تحقيق : أحمد القلاش / نشر : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة السابعة ـ ١٤١٨ هـ .

٢١٩ ـ كشف الغمّة: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة.

تأليف : أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي المتوفّى سنة ٦٩٣هـ / نشر : دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت .

٢٢٠ ـ كشف اللثام: كشف اللثام والإبهام عن كتاب «قواعد الأحكام».

تأليف : بهاء الدين محمّد بن الحسن بن محمد الإصفهاني المعروف بالفاضل الهندي المتوفّى سنة ١١٣٧ هـ / تحقيق ونشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٦ هـ .

٢٢١ ـ الكشف والبيان: الكشف والبيان في تفسير القرآن.

تأليف : أبي إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفّى سنة ٤٢٧ هـ / تحقيق : أبي محمّد بن عاشور / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ .

٢٢٢ ـ كشف اليقين: كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين.

تأليف : أبي منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي المتوفّى سنة ٧٢٦ هـ / تحقيق : حسين درگاهي / نشر : مؤسّسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤١١ هـ .

٢٢٣ ـ كفاية الأثر: كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر.

تأليف : أبي القاسم علي بن محمّد بن علي الخزّاز القمّي الرازي (من أعلام القرن الرابع الهجري) / تحقيق : عبداللطيف الحسيني الكوهكمري / نشر : بيدار ـ قم / ١٤٠١ هـ .

٢٢٤ ـ كفاية الطالب: كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن يوسف بن محمّد القرشي الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨ هـ / تحقيق : محمّد هادي الأميني النجفي / نشر : دار إحياء تراث أهل البيت ـ طهران / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٤ هـ .

٢٢٥ ـ كنز العمّال: كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال.

تأليف : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي

البرهان فوري المتوفّىٰ سنة ٩٧٥ هـ / ضبط وتفسير الغريب من الكتاب : بكري حياني / تصحيح وفهرسة : صفوة السقا / نشر : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤٠٩ هـ .

٢٢٦ ـ كنز الفوائد.

تأليف : أبي الفتح محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي المتوفّىٰ سنة ٤٤٩ هـ / تحقيق : عبدالله نعمة / نشر : دار الذخائر ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠ هـ .

٢٢٧ ـ اللباب في علوم الكتاب .

تأليف : أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفّىٰ بعد سنة ٨٨٠ هـ / تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمّد معوّض / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٩ هـ .

٢٢٨ ـ لسان العرب: لسان العرب في اللغة والأدب.

تأليف : جمال الدين أبي الفضل محمّد بن مكرّم بن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي المصري المعروف بابن منظور المتوفّىٰ سنة ٧٧١ هـ / تصحيح : أمين محمّد عبدالوهاب ومحمّد الصادق العبيدي / نشر : دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التاريخ العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٩ هـ .

٢٢٩ ـ لسان الميزان.

تأليف : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢هـ / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٦هـ .

٢٣٠ ـ لغت نامه.

تأليف : علي أكبر دهخدا / نشر : مؤسّسة انتشارات جامعة طهران ـ

طهران / الطبعة الثانية ـ ١٣٧٧ هـ . ش .

٢٣١ ـ **اللوامع الإلهيّة: اللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة.**

تأليف : جمال الدين المقداد بن عبدالله الحلّي السيوري المعروف بالفاضل المقداد المتوفّى سنة ٨٢٦ هـ / تحقيق : محمّد علي القاضي الطباطبائي / نشر : مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ـ قم / الطبعة الأولى ـ ١٤٢٢ هـ .

٢٣٢ ـ **المبسوط: المبسوط في فقه الإماميّة.**

تأليف : أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّى سنة ٤٦٠ هـ / نشر : المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة ـ طهران / الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٧ هـ .

٢٣٣ ـ **مجلّة «تراثنا».**

إعداد : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / طبع : مهر ـ قم / السنة الرابعة ـ ١٤٠٩ هـ .

٢٣٤ ـ **مجمع البحرين: مجمع البحرين ومطلع النيّرين.**

تأليف : فخر الدين بن محمّد بن علي بن أحمد بن طريح الطريحي المتوفّى سنة ١٠٨٧ هـ / تحقيق : أحمد الحسيني / نشر : المكتبة المرتضويّة لإحياء الجعفريّة ـ طهران / الطبعة الثانية ـ ١٣٦٥ هـ . ش .

٢٣٥ ـ **مجمع الزوائد: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.**

تأليف : نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفّى سنة ٨٠٧ هـ / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٢ هـ .

٢٣٦ ـ **مجمل اللغة.**

تأليف : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي

المتوفّىٰ سنة ٣٩٥ هـ / تحقيق : شهاب الدين أبي عمرو / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ .

٢٣٧ ـ المحجّة البيضاء: المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء.

تأليف : محمّد محسن بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني المتوفىٰ سنة ١٠٩١ هـ / تحقيق : علي أكبر الغفاري / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٣٨٣ هـ .

٢٣٨ ـ محمّد شاطئ وسحاب.

تأليف : سليمان كتّاني المتوفّىٰ سنة ٢٠٠٤ م / تقديم : موسىٰ الصدر / نشر : دار الهادي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٨ هـ .

٢٣٩ ـ مختصر المعاني.

تأليف : سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني الخراساني الشافعي المتوفّىٰ سنة ٧٩٣ هـ / نشر : دار الفكر ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤١٦ هـ .

٢٤٠ ـ مدارك الأحكام: مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام.

تأليف : شمس الدين محمّد بن علي الموسوي العاملي المتوفّىٰ سنة ١٠٠٩ هـ / تحقيق : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ مشهد / نشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠ هـ .

٢٤١ ـ مرآة الجنان: مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان.

تأليف : أبي محمّد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكّي المتوفّىٰ سنة ٧٦٨ هـ / تحقيق : خليل المنصور / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧هـ .

٢٤٢ ـ مرآة العقول: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول.

تأليف : محمّد باقر بن محمّد تقي بن المقصود علي المعروف بالمجلسي الثاني المتوفّىٰ سنة ١١١١ هـ / نشر : دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الثالثة ـ ١٣٧٠ هـ . ش .

٢٤٣ ـ مروج الذهب: مروج الذهب ومعادن الجوهر.

تأليف : أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفّىٰ سنة ٣٤٦ هـ / تحقيق : محمّد محيي الدين عبدالحميد / نشر : دار المعرفة ـ بيروت.

٢٤٤ ـ المسائل الجارودية للمفيد: المسائل الجارودية.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالمفيد وابن المعلّم المتوفّىٰ سنة ٤١٣ هـ / تحقيق : محمّد كاظم مدير شانجي / نشر : المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٣ هـ .

٢٤٥ ـ مسالك الأفهام: مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام.

تأليف : زين الدين بن علي بن أحمد الجبعي العاملي المعروف بالشهيد الثاني المتوفّىٰ سنة ٩٦٥ هـ / تحقيق ونشر : موسّسة المعارف الإسلاميّة ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٣ هـ .

٢٤٦ ـ المستدرك للحاكم: المستدرك على الصحيحين.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٠٥ هـ / تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١١ هـ .

٢٤٧ ـ مستدرك الوسائل: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل.

تأليف : أبي محمّد حسين بن محمّد تقي بن علي محمّد بن تقي

الطبرسي المعروف بالمحدّث النوري المتوفّىٰ سنة ١٣٢٠ هـ / تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٩ هـ .

٢٤٨ ـ مستمسك العروة: مستمسك العروة الوثقىٰ.

تأليف : محسن بن مهدي بن صالح الطباطبائي الحكيم المتوفّىٰ سنة ١٣٩٠ هـ / نشر : مؤسّسة دار التفسير ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٦ هـ / أُفست عن مطبعة الآداب ـ النجف / الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٢ هـ .

٢٤٩ ـ مستند الشيعة: مستند الشيعة في أحكام الشريعة.

تأليف : أحمد بن محمّد مهدي بن أبي ذرّ النراقي المتوفّىٰ سنة ١٢٤٥هـ / تحقيق : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ مشهد / نشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ .

٢٥٠ ـ مسند ابن الجعد: الجعديّات.

تأليف : أبي الحسن علي بن الجعد بن عُبيد الجوهري المتوفّىٰ سنة ٢٣٠ هـ / رواية وجمع : أبي القاسم عبدالله بن محمّد البغوي المتوفّىٰ سنة ٣١٧ هـ / تحقيق : عامر أحمد حيدر / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٧ هـ .

٢٥١ ـ مسند أحمد: المسند.

تأليف : أبي عبدالله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفّىٰ سنة ٢٤١ هـ / نشر : دار صادر ـ بيروت .

٢٥٢ ـ مسند إسحاق بن راهويه: المسند.

تأليف : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه المتوفّىٰ سنة ٢٣٨ هـ / تحقيق : د . عبدالغفور عبدالحقّ حسين

بُرّ البَلوشي / نشر : مكتبة الإيمان ـ المدينة المنوّرة / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٢ هـ .

٢٥٣ ـ مسند الشاميّين: مسند الشاميّين من مسند الإمام أحمد .

إعداد : د . علي محمّد جمّاز / نشر : دار الثقافة ـ الدوحة / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠ هـ .

٢٥٤ ـ المسند لأبي يعلى: المسند.

تأليف : أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنّى التميمي الموصلي المتوفّى سنة ٣٠٧ هـ / تحقيق : حسين سليم أسد / نشر : دار المأمون للتراث ـ دمشق وبيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٠ هـ .

٢٥٥ ـ مشاهير علماء الأمصار.

تأليف : أبي حاتم محمّد بن حبّان التميمي البستي المتوفّى سنة ٣٥٤ هـ / تصحيح: م . فلايشهمر / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت .

٢٥٦ ـ المصباح المنير: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.

تأليف : أحمد بن محمّد بن علي المقري الفيّومي المتوفّى سنة ٧٧٠ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت .

٢٥٧ ـ المصنّف لابن أبي شيبة: المصنّف في الأحاديث والآثار.

تأليف : عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الكوفي العبسي المتوفّى سنة ٢٣٥ هـ / تحقيق : سعيد محمّد اللحّام / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ .

٢٥٨ ـ المصنّف للصنعاني: المصنّف.

تأليف : أبي بكر عبدالرزّاق بن همّام الصنعاني المتوفّى سنة ٢١١ هـ / تحقيق : حبيب الرحمٰن الأعظمي / نشر : المكتب الإسلامي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣ هـ .

٢٥٩ ـ مطالب السؤول: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول.
تأليف :كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي المتوفّىٰ سنة ٦٥٢ هـ / تحقيق : ماجد أحمد العطيّة / نشر : مؤسّسة أُمّ القرىٰ ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ .

٢٦٠ ـ المطالب العالية لابن حجر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية.
تأليف : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الكناني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / تحقيق : حبيب الرحمٰن الأعظمي / نشر : مكتبة الباز ـ مكّة المكرّمة.

٢٦١ ـ المعارف.
تأليف : أبي محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفّىٰ سنة ٢٧٦ هـ / تحقيق : ثروت عكاشة / نشر : مطبعة دار الكتب / ١٩٦٠ م .

٢٦٢ ـ معارف الرجال: معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء.
تأليف : محمّد بن علي بن عبدالله حرز الدين النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٦٥ هـ / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٥ هـ .

٢٦٣ ـ معالم المدرستين.
تأليف : مرتضى العسكري المتوفّىٰ سنة ١٤٢٨ هـ / نشر : مركز الطباعة والنشر التابع للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ .

٢٦٤ ـ معاني الأخبار.
تأليف : أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق المتوفّىٰ سنة ٣٨١ هـ / تحقيق : علي أكبر الغفاري / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الرابعة ـ ١٤١٨ هـ .

٢٦٥ ـ معجم ألفاظ الفقه الجعفري.

تأليف : د . أحمد فتح الله / طبع : مطبعة المدوخل ـ الدمام / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥ هـ .

٢٦٦ ـ معجم الأمثال العربيّة.

تأليف : د . محمود إسماعيل صيني وناصف مصطفى عبدالعزيز ومصطفىٰ أحمد سليمان / نشر : مكتبة لبنان ـ بيروت / ١٩٩٦ م .

٢٦٧ ـ المعجم الأوسط للطبراني: المعجم الأوسط.

تأليف : أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب بن مُطير اللخمي الشامي الطبراني المتوفّىٰ سنة ٣٦٠ هـ / تحقيق : د . محمود الطحّان / نشر : مكتبة المعارف ـ الرياض / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٥ هـ .

٢٦٨ ـ معجم البلدان.

تأليف : أبي عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي الحموي المتوفّىٰ سنة ٦٢٦ هـ / نشر : دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت / ١٩٩٦ م .

٢٦٩ ـ معجم رجال الفكر والأدب: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام.

تأليف : د . محمّد هادي عبدالحسين الأميني النجفي / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ .

٢٧٠ ـ معجم الشعراء للجبوري: معجم الشعراء (من العصر الجاهلي حتّىٰ سنة ٢٠٠٢م).

تأليف : كامل سلمان الجبوري / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٣ م .

٢٧١ ـ معجم الصحابة لابن قانع: معجم الصحابة.

تأليف : أبي الحسين عبدالباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق البغدادي

المعروف بابن قانع المتوفّى سنة ٣٥١ هـ / تحقيق : د . خليل إبراهيم قوتلاوي / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ .

٢٧٢ ـ المعجم الكبير للطبراني: المعجم الكبير.

تأليف : أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب بن مُطَير اللخمي الشامي الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠ هـ / تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي / طبع : مطبعة الزهراء ـ الموصل / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٤ هـ .

٢٧٣ ـ معجم لغة الفقهاء.

تأليف : محمّد قلعجي / نشر : دار النفائس ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ .

٢٧٤ ـ معجم مقاييس اللغة.

تأليف : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي المتوفّى سنة ٣٩٥ هـ / تحقيق : عبدالسلام محمّد هارون / نشر : مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم / ١٤٠٤ هـ .

٢٧٥ ـ معجم المؤلّفين.

تأليف : عمر رضا كحّالة / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٧٦ ـ المعجم الوسيط.

تأليف : إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيّات وحامد عبدالقادر ومحمّد علي النجّار / مشاركة : عبدالعليم الطحاوي وحسن عطيّة / إشراف : عبدالسلام هارون / إخراج : د . إبراهيم أنيس ود . عبدالحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمّد خلف الله أحمد / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية .

٢٧٧ ـ معرفة الصحابة.

تأليف : أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مهران

الإصفهاني المتوفّىٰ سنة ٤٣٠ هـ / تحقيق : محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل الشافعي ومسعد عبدالحميد السعدني / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٢ هـ .

٢٧٨ ـ معرفة علوم الحديث.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٠٥ هـ / تعليق وتصحيح : د . معظم حسين / نشر : المكتب التجاري ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٧٧ م .

٢٧٩ ـ المغازي للواقدي: المغازي.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن عمر بن واقد الواقدي المتوفّىٰ سنة ٢٠٧ هـ / تحقيق : د . مارسدن جونس / نشر : مركز النشر في مكتب الإعلام الإسلامي ـ إيران / ١٤١٤ هـ .

٢٨٠ ـ مفردات من الحضارة الإسلاميّة.

إعداد : محمّد راجي حسن كتّاس / نشر : دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ .

٢٨١ ـ مقاتل الطالبيّين.

تأليف : أبي الفرج علي بن الحسين بن محمّد بن أحمد المرواني الإصفهاني المتوفّىٰ سنة ٣٥٦ هـ / نشر : مؤسّسة دار الكتاب ـ قم / الطبعة الثانية / أُفست عن المكتبة الحيدريّة بالنجف / ١٣٨٥ هـ .

٢٨٢ ـ مكارم الأخلاق.

تأليف : أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري) / تحقيق : علاء آل جعفر / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الرابعة ـ ١٤٢٥ هـ .

٢٨٣ ـ ملحقات الإحقاق: ملحقات إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل.

تأليف : شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي المتوفّىٰ سنة ١٤١١ هـ / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٨هـ الى ١٤١٨هـ .

٢٨٤ ـ الملل والنحل .

تأليف: أبي الفتح محمّد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني المتوفّىٰ سنة ٥٤٨ هـ / تحقيق : محمّد سيّد كيلاني / نشر : دار المعرفة ـ بيروت .

٢٨٥ ـ مَن هنَّ زوجات الرسول المصطفى ﷺ: مَن هنّ زوجات الرسول المصطفىٰ ﷺ في الآخرة؟

تأليف : محمّد رضا الأنصاري / نشر : ژرف ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٣٨١ هـ . ش .

٢٨٦ ـ مناقب آل محمّد: النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم.

تأليف : أبي محمّد شرف الدين عمر بن محمّد بن عبدالواحد الموصلي المتوفّىٰ سنة ٦٥٧ هـ / تحقيق : علي عاشور العاملي / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ .

٢٨٧ ـ مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه: مناقب علي بن أبي طالب ومانزل من القرآن في علي.

تأليف : أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه الإصفهاني المتوفّىٰ سنة ٤١٠ هـ / جمع و ترتيب وتقديم : عبدالرزّاق محمّد حسين حرز الدين / نشر : دار الحديث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ .

٢٨٨ ـ المناقب لابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب.

تأليف : أبي جعفر رشيد الدين محمّد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني المتوفّىٰ سنة ٥٨٨ هـ / تحقيق : د . يوسف البقاعي / نشر :

دار الأضواء ـ بيروت / الطبعة الثانية المصحّحة ـ ١٤١٢ هـ .

٢٨٩ ـ المناقب لابن المغازلي: مناقب علي بن أبي طالب.

تأليف : أبي الحسن علي بن محمّد بن محمّد الواسطي الجُلّابي الشافعي المعروف بابن المغازلي المتوفّىٰ سنة ٤٨٣ هـ / تحقيق : محمّد باقر البهبودي / نشر : المكتبة الإسلاميّة ـ طهران / ١٤٠٣ هـ .

٢٩٠ ـ المناقب للخوارزمي: المناقب.

تأليف : الموفّق بن أحمد بن إسحاق بن المؤيّد المكّي الحنفي المعروف بأخطب خوارزم المتوفّىٰ سنة ٥٦٨ هـ / تحقيق : مالك المحمودي / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٧ هـ .

٢٩١ ـ المناقب للشيرواني:

تأليف :

٢٩٢ ـ المنتظم: المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك.

تأليف : أبي الفرج عبدالرحمٰن بن علي بن محمّد بن علي المعروف بابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق : محمّد عبدالقادر عطا ومصطفىٰ عبدالقادر عطا / مراجعة وتصحيح : نعيم زرزور / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٢ هـ .

٢٩٣ ـ منتهىٰ الأُصول.

تأليف : محمّد حسن الموسوي البجنوردي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٦ هـ / نشر : مكتبة بصيرتي ـ قم / الطبعة الثانية .

٢٩٤ ـ منتهى المقال: منتهى المقال في أحوال الرجال.

تأليف : أبي علي محمّد بن إسماعيل المازندراني الحائري المتوفّىٰ سنة ١٢١٦ هـ / تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم /

الطبعة الأُولى ـ١٤١٦ هـ .

٢٩٥ ـ المنجد في الأعلام.

تأليف : مجموعة من الباحثين / نشر : دار المشرق ـ بيروت / الطبعة الثانية عشرة .

٢٩٦ ـ المنجد في اللغة.

تأليف : لويس معلوف وجماعة من الاختصاصيين / نشر : دار المشرق ـ بيروت / الطبعة السادسة والعشرون .

٢٩٧ ـ المنطق لمتّى : المنطق.

تأليف : د.كريم متّى / نشر : مطبعة الإرشاد ـ بغداد / ١٩٧٠ م .

٢٩٨ ـ المهذّب البارع: المهذّب البارع في شرح المختصر النافع.

تأليف : جمال الدين أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن فهد الحلّي المتوفّى سنة ٨٤١ هـ / تحقيق : مجتبى العراقي / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / ١٤٠٧ هـ .

٢٩٩ ـ الموجز في الأدب العربي وتاريخه.

تأليف : حنّا الفاخوري / نشر : دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١١ هـ .

٣٠٠ ـ موسوعة أعلام الفلسفة: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب.

إعداد : روني إيلي ألفا / مراجعة : د. جورج نخل / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٢ هـ .

٣٠١ ـ موسوعة أُكسفورد العربيّة.

إعداد وترجمة : مجموعة من الباحثين / إشراف : د . حسن مرضي حسن / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٩٩ م .

٣٠٢ ـ موسوعة التاريخ الإسلامي.

تأليف : محمّد هادي محمود اليوسفي الغروي / نشر : دار الفكر الإسلامي ـ قم / الطبعة

٣٠٣ ـ موسوعة الحضارة العربيّة.

تأليف : د . قصي الحسين / نشر : دار ومكتبة الهلال ودار البحار ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٥ م .

٣٠٤ ـ موسوعة السياسة.

تأليف : د . عبد الوهاب الكيّالي وجماعة من المتخصّصين / نشر : المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٩ م .

٣٠٥ ـ موسوعة طبقات الفقهاء.

إعداد وتحقيق : اللجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام / إشراف : جعفر السبحاني / نشر : مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ .

٣٠٦ ـ الموسوعة العربيّة العالميّة.

إعداد : مجموعة من الباحثين / نشر : مؤسّسة أعمال الموسوعة ـ الرياض / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٩ م .

٣٠٧ ـ موسوعة علم الفيزياء.

تأليف : وفاء فرحات / نشر : دار اليوسف ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٤ م إلى ٢٠٠٥ م .

٣٠٨ ـ موسوعة الفلسفة لبدوي: موسوعة الفلسفة.

تأليف : د . عبد الرحمٰن بدوي / نشر : المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٤ م .

٣٠٩ ـ موسوعة قبائل العرب.

إعداد : عبدالحكيم الوائلي / نشر : دار أُسامة ـ عمّان / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٢ م .

٣١٠ ـ الموسوعة الكبرىٰ عن فاطمة الزهراء عليها السلام.

إعداد : إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئني / نشر : دليل ما ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٨ هـ .

٣١١ ـ موسوعة لالاند الفلسفيّة: معجم مصطلحات الفلسفة التقنيّة والنقديّة.

تأليف : أندريه لالاند / تعريب : خليل أحمد خليل / نشر : دار عويدات ـ بيروت وباريس / الطبعة الثانية ـ ٢٠٠١ م .

٣١٢ ـ موسوعة المصطلحات العلميّة الشاملة.

تأليف : سامر عبدالغني كعكي / نشر : دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٤ م .

٣١٣ ـ موسوعة المورد.

تأليف : منير البعلبكي / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٠ م .

٣١٤ ـ ميزان الاعتدال: ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

تأليف : شمس الدين أبي عبدالله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق : علي محمّد البجّاوي / نشر : دار إحياء الكتب العربيّة ـ مصر / الطبعة الأُولى ـ ١٣٨٢ هـ .

٣١٥ ـ ـ نزهة الأرواح: نزهة الأرواح وروضة الأفراح (تاريخ الحكماء).

تأليف : شمس الدين محمّد بن محمود الشهرزوري / ترجمه للفارسية : مقصود علي تبريزي / مراجعة : محمّد تقي دانش پژوه ومحمّد سرور مولائي / نشر : شركة النشر العلميّة والثقافيّة ـ طهران /

الطبعة الأُولى ـ ١٣٦٥ هـ . ش .

٣١٦ ـ النزاع والتخاصم: النزاع والتخاصم فيما بين بني أُميّة و بني هاشم.

تأليف : أبي العبّاس تقي الدين أحمد بن علي بن علي بن عبدالقادر الحسيني العُبيدي المصري المعروف بابن المقريزي المتوفّىٰ سنة ٨٤٥هـ / تحقيق : د . حسين مؤنس / نشر : مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٢ هـ .

٣١٧ ـ نصوص ومصطلحات فلسفيّة.

تأليف : د . فاروق عبدالمعطي / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٣ هـ .

٣١٨ ـ نظام حقوق المرأة في الإسلام.

تأليف : مرتضىٰ المطهّري / ترجمة : د . أبي زهراء النجفي / نشر : اللجنة العليا لاحتفالات الذكرىٰ السادسة لانتصار الثورة الإسلاميّة في إيران ـ طهران / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٥ هـ .

٣١٩ ـ نظم الدرر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

تأليف : أبي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفّىٰ سنة ٨٨٥هـ / تحقيق : عبدالرزّاق غالب المهدي / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ .

٣٢٠ ـ نظم درر السمطين: نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والسبطين.

تأليف : جمال الدين محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي المدني الحنفي المتوفّىٰ سنة ٧٥٠هـ / تحقيق : علي محمّد عاشور العاملي / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٥ هـ .

٣٢١ ـ نفح الطيب: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.

تأليف : أبي العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد بن أحمد بن يحيى المقّري التلمساني المتوفّىٰ سنة ١٠٤١ هـ / تحقيق : يوسف محمّد البقاعي / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٦ هـ .

٣٢٢ ـ نقد الرجال.

تأليف : مصطفىٰ بن حسين الحسيني التفرشي (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري) / تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨ هـ.

٣٢٣ ـ النكت والعيون.

تأليف : أبي الحسن علي بن محمّد بن حبيب الماوردي البصري المتوفّىٰ سنة ٤٥٠ هـ / تحقيق : سيّد عبدالمقصود عبدالرحيم / نشر : دار الكتب العلميّة ومؤسّسة الكتب الثقافيّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٢ هـ .

٣٢٤ ـ النهاية الأثيريّة: النهاية في غريب الحديث والأثر.

تأليف : أبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمّد الجزري الشافعي المعروف بابن الأثير المتوفّىٰ سنة ٦٠٦ هـ / تحقيق : خليل مأمون شيحا / نشر : دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ .

٣٢٥ ـ نهاية الأفكار (تقريراً لأبحاث الشيخ ضياء الدين العراقي المتوفّىٰ سنة ١٣٦١ هـ).

تأليف : محمّد تقي البروجردي النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٩١ هـ / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤١٤ هـ.

٣٢٦ ـ نهاية الدراية: نهاية الدراية في شرح الكفاية.

تأليف : محمّد حسين بن محمّد حسن بن علي أكبر بن بابا النخجواني الغروي الإصفهاني المتوفّىٰ سنة ١٣٦١ هـ / تحقيق : مهدي أحدي أمير كلائي /نشر : مطبعة سيّد الشهداء ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٧٤ هـ . ش .

٣٢٧ ـ نهج البلاغة.

جمع : الشريف الرضي المتوفّىٰ سنة ٤٠٦ هـ / ضبط نصوص وفهرسة : د . صبحي الصالح / نشر : دار الكتاب المصري ـ القاهرة ودار الكتاب اللبناني ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٢٥ هـ .

٣٢٨ ـ نهج الحقّ: نهج الحقّ وكشف الصدق.

تأليف : جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي المتوفّىٰ سنة ٧٢٦ هـ / تحقيق : عين الله الحسني الأُرموي / نشر : مؤسّسة دار الهجرة ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٤١١ هـ .

٣٢٩ ـ نور الأبصار: نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار.

تأليف : مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي المصري من أعلام القرن الثالث عشر الهجري /نشر : دار الجيل ـ بيروت / ١٤٠٩ هـ .

٣٣٠ ـ نور الأفهام: نور الأفهام في علم الكلام.

تأليف : حسن بن محمّد الحسين اللواساني المتوفّىٰ سنة ١٤٠٠ هـ / تحقيق : إبراهيم الحسيني اللواساني / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٥ هـ .

٣٣١ ـ الهداية الكبرىٰ.

تأليف : أبي عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي الجنبلائي المتوفّىٰ سنة ٣٣٤ هـ / نشر : مؤسّسة البلاغ ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٦ هـ .

٣٣٢ ـ الهداية للصدوق: الهداية في الأُصول والفروع.

تأليف : أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق المتوفّىٰ سنة ٣٨١ هـ / تحقيق ونشر : مؤسّسة الإمام الهادي عليه السلام ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨ هـ .

٣٣٣ ـ الوافي بالوفيات.

تأليف : أبي الصفاء صلاح الدين خليل بن إيبك بن عبدالله الصفدي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٧٦٤ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٥ هـ .

٣٣٤ ـ الوزراء والكتّاب.

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن عبدوس الجهشياري المتوفّىٰ سنة ٣٣١ هـ / تحقيق : مصطفىٰ السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي / نشر : شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي ـ مصر / الطبعة الثانية ـ ١٤٠١ هـ .

٣٣٥ ـ وسائل الشيعة: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة.

تأليف : محمّد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي المتوفّىٰ سنة ١١٠٤ هـ / تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٦ هـ .

٣٣٦ ـ وفيات الأعيان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

تأليف : أبي العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان المتوفّىٰ سنة ٦٨١ هـ / تحقيق : د . إحسان عبّاس / نشر : مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٣٦٤ هـ . ش .

٣٣٧ ـ ينابيع المودّة.

تأليف : سليمان بن إبراهيم بن محمّد بن ترسون الحسيني البلخي القندوزي المتوفّىٰ سنة ١٢٩٤ هـ / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت .